المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
المذكرة التعريفية لكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة القيامة"

أولا ً: نبذة تعريفية عن الكتاب

· اسم الكتاب: المفاهيم القرآنية من سورة القيامة.
· المؤلف: الأستاذ المحامي أحمد عبد الرزاق مربوش العامري.
· المراجعة والتدقيق: الأستاذ منير عبده عثمان الصلوى.
· موضوع الكتاب: يقدم الكتاب رسالة خاصة في تفسير مفاهيم سورة القيامة، بهدف تحويلها إلى طاقة بناء للإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية .وهو جزء من سلسلة المؤلف في استخراج المفاهيم القرآنية من مختلف السور.
· طبيعة الكتاب: دراسة قرآنية منهجية، تجمع بين التحليل الموضوعي للآيات، والاستنباط التربوي و النفسي، والتطبيق العملي، بما يتجاوز التفسير التقليدي إلى بناء "منهج حياة".

ثانياً: محتوى الكتاب ومحاوره

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة مباحث رئيسية، تتناول السورة بالتحليل والتفسير الموضوعي:

.1المبحث الأول: التحليل الموضوعي لسورة القيامة) من الآية 1 إلى(15 : يركز على مفاهيم المحاسبة الذاتية، والرقابة، ودور "النفس اللوامة" في بناء الوعي الفردي، والربط بين الإيمان باليوم الآ خر والضمير الحي.
.2المبحث الثاني: استكمال تحليل سورة القيامة) من الآية 16 إلى(40 : يتناول كيفية تلقي الوحي، وبيان المنهج القرآني في التعلم، ثم ينتقل إلى الحديث عن حب الدنيا وإيثارها على الآخرة، ووصف حال الوجوه يوم القيامة.
.3المبحث الثالث: تحليل الجزء الختامي من السورة) من الآية 26 إلى(40 : يركز على مشاهد سكرات الموت، والفراق، ومصير الكافرين الذين كذبوا واستكبروا، ثم يختم بالبرهان العقلي على إمكانية البعث من خلال مراحل خلق الإنسان.

ثالثاً: أهداف وغايات الكتاب

يسعى الكتاب لتحقيق جملة من الأهداف، منها:

· بناء الشخصية المؤمنة المتزنة: التي تجمع بين الخوف من الله والرجاء في رحمته، وتستشعر المسؤولية الشخصية.
· تفعيل الرقابة الذاتية: من خلال غرس مفهوم "النفس اللوامعة" كجهاز إنذار داخلي، والبعد عن التبرير.
· ترسيخ الإيمان باليوم الآخر: ليس كعقيدة نظرية، بل كواقع مؤثر في السلوك اليومي.
· تحرير الإنسان: من سجن المبررات، والكبرياء، وحب الدنيا المذموم.
· تقديم منهجية عملية: في التعلم والتربية، تعتمد على الإنصات، والفهم، ثم التطبيق.
· إثبات قدرة الله على البعث: من خلال التأمل في بديع خلق الإنسان.

رابعاً: منهجية المؤلف وأسلوبه وأهميته

· المنهجية: يعتمد المؤلف على المنهج الموضوعي التحليلي، حيث لا يكتفي بتفسير الآيات تفسيراً لغوياً، بل يحللها تحليلا ً نفسياً، وتربوياً، وعملياً، ليستخرج منها "مفاهيم" قابلة للتحويل إلى طاقة بناء.
· الأسلوب: أسلوب الكتاب تربوي تعليمي، يعتمد على:
· التقسيم الواضح للموضوعات.

· طرح الأسئلة التحفيزية.
· استخراج الدروس والعبر والخواطر.
· تقديم تطبيقات عملية للحياة اليومية.
· الربط بين الآيات والسياق العام للسورة.
· الأهمية: تكمن أهمية هذا الأسلوب في نقلة نوعية من "تفسير" النص القرآني إلى "توظيف" مفاهيمه في بناء الإنسان والمجتمع، وهو ما يتوافق مع المقصد الأعلى للقرآن كمنهج حياة.

خامساً: المستهدفين في هذا الكتاب

الكتاب موجه لشريحة واسعة، تشمل:

· طالب العلم والمفسر: حيث يقدم رؤية تحليلية معمقة.
· المربي والمعلم: حيث يزود بمنهجية وأدوات تربوية مستنبطة من القرآن.
· الداعية: حيث يقدم مادة دعوية غنية ومؤثرة.
· العالم والمفكر: لاستلهام مفاهيم قرآنية في بناء الحضارة.
· كل مسلم يسعى لتطوير ذاته: فالكتاب يخاطب النفس البشرية بأسلوب مباشر ومؤثر.

سادساً: أهم مفاهيم الكتاب

يؤسس الكتاب لمجموعة من المفاهيم المحورية، منها:

· النفس اللوامعة: هي الضمير الحي، وأداة المحاسبة الذاتية، ودليل حياة القلب.
· الرقابة الذاتية: نظام داخلي للتصحيح، يغني عن الرقيب الخارجي.
· اليقين باليوم الآخر: الدافع الأقوى للعمل والإتقان وضبط السلوك.
· الموازنة بين الدنيا والآخرة: جعل الدنيا وسيلة لا غاية.
· التربية بالتدبر: منهج تعلم قائم على الإنصات، والفهم، ثم التطبيق.
· البناء الحضاري: نهضة الأمة تبدأ من إصلاح الفرد ونفسه اللوامعة.
· الخوف والرجاء: توازن نفسي يدفع للعمل دون يأس أو غرور.

سابعاً: مخرجات الكتاب

يمكن إجمال مخرجات الكتاب فيما يلي:

· فردياً: بناء إنسان واع، مسؤول، متواضع، مستعد للقاء ربه، متقن لعمله، صادق مع نفسه.
· مجتمعياً: نشر ثقافة النقد الذاتي، والمراجعة المجتمعية، والتصحيح، مما يقلل الفساد والظلم.
· حضارياً: تقديم نموذج للحضارة الإسلامية القائمة على القيم الروحية، وإتقان العمل، والعدل، و المسؤولية.

ثامناً: دور هذا الكتاب في خدمة الأمة الإسلامية

يخدم الكتاب الأمة من خلال:

· تقديم منهجية قرآنية لإصلاح الفرد: وهو اللبنة الأساسية لأي نهضة.
· ترسيخ الهوية الإيمانية: في مواجهة التيارات المادية التي تجعل الحياة عبثاً.
· بناء جيل واع: يدرك مسؤوليته، ويستشعر رقابة الله، فيساهم في بناء مجتمع فاضل.
· إحياء سنة التدبر: والعمل بالقرآن، لا الاقتصار على تلاوته.
· تقديم رؤية متكاملة: تجمع بين الجانب الروحي والعملي في بناء الحضارة.

تاسعاً: أقوال مأثورة وردت بلسان المؤلف

وردت في ثنايا الكتاب عبارات تعبر عن جوهر رؤيته، منها:

· "لا نهضة بلا مسؤولية، ولا مسؤولية بلا يقين بالبعث") مستخلص من فلسفة الربط بين سورتي المدثر والقيامة.(
· "النفس اللوامعة هي الضمير الحي، وهي جهاز الإنذار المبكر الذي إن استجبت له نجوت، وإن أعضضت أذنيك عنه هلكت") من تفسير الآيات1 -.(2
· "الدنيا مزرعة الآخرة، فمن أراد الحرث الآجل فليعمل في العاجل") مستخلص من مفهوم الموازنة.(
· "ليس النجاح في جمع المال أو بلوغ المنصب، بل النجاح هو الفوز بالجنة والنظر إلى وجه الله الكريم") من تفسير الآيات20 -.(25
· "لا تكن سدىً، فاللّه لم يخلقك عبثاً، وكل صغيرة وكبيرة ستُحاسب عليها") من تفسير الآيات36 - .(40
· "كيف تتكبر وأنت من نطفة، وكيف تيأس من رحمة الله وهو الذي سواك فأحسن خلقك؟") مستخلص من خواتيم السورة.(

الخلاصة

يعد كتاب "المفاهيم القرآنية من سورة القيامة" للأستاذ المحامي أحمد عبد الرزاق مربوش العامري، دراسة قرآنية معاصرة منهجية، تهدف إلى تحويل مفاهيم السورة إلى طاقة بناء للإنسان والمجتمع . يجمع الكتاب بين التحليل العميق والتطبيق العملي، ويخاطب الفرد والمربي والداعية، ليقدم رؤية متكاملة للإصلاح الذاتي والمجتمعي، من خلال استشعار المسؤولية، وتفعيل الرقابة الذاتية، والإيمان بـ اليوم الآخر، والعمل المتقن، والتواضع، والبعد عن الكبر والغرور .إنه كتاب يساهم في خدمة الأمة الإس لامية من خلال بناء جيل واعٍ بمسؤوليته، قادر على قيادة نهضته.

بسم الله الرحمن الرحيم
المذكرة التعريفية بسورة القيامة

١/ عدد آيات السورة

عدد آيات سورة القيامة هو 40 آية، وفقاً للمصحف العثماني والعد الكوفي.

٢/ مكان نزول السورة

سورة القيامة مكية، نزلت في مكة المكرمة .وهي من السور التي نزلت في مرحلة التأسيس الإيماني الأولى، حيث كان المشركون يستبعدون فكرة البعث والنشور.

٣/ ترتيب السورة

· ترتيبها في المصحف المرتل: السورة رقم.75
· ترتيبها من حيث النزول: هي السورة الحادية والثلاثون (31) في ترتيب النزول، حيث نزلت بعد سورة المدثر.

٤/ أسماء السورة وأسباب التسمية

· الاسم الرئيسي: سورة القيامة.
· سبب التسمية: سُميت بهذا الاسم لافتتاحها بالقسم بـ"يوم القيامة" في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ﴾، ولأن السورة بأكملها تدور حول هذا اليوم العظيم وما يسبقه ويليه.
· أسماء أخرى: قد تُعرف أيضاً بـ "سورة لا أقسم"، أو "سورة النفس اللوامعة"، ولكن الاسم المتداول والمشهور هو "القيامة".

٥/ أسباب نزول السورة وبعض آياتها

· السبب العام لنزول السورة: نزلت السورة في سياق الرد على استبعاد المشركين للبعث، وتهكمهم به، كقولهم:﴿ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾، وتأكيداً لحتمية القيامة، وإبطالا ً للقول بأن الله لا يعيد خلق الإنسان بعد موته.
· أسباب نزول آيات محددة:
.1 الآيات16) -(19: نزلت بسبب حرص النبي ﷺ الشديد على حفظ القرآن أثناء نزوله، حيث كان يحرك لسانه مخافة أن يفوته شيء من الوحي، فأمره الله بالإنصات والاستماع أولا ً، وتكفل له بجمعه وبيانه.
.2 الآيات31) -(35: نزلت في بعض كفار قريش كـ "أبي جهل" أو "الوليد بن المغيرة" أو "العاص بن وائل"، الذين كانوا يجلسون إلى النبي ﷺ، يسمعون القرآن، ثم ينصرفون إلى أهليهم متكبرين متبخترين، ولا يصلون ولا يصدقون بالحق.

٦/ فضائل السورة وأهميتها

· من حيث المحتوى: ليست مجرد سورة تتحدث عن يوم القيامة، بل هي دستور كامل للمحاسبة الذاتية والرقابة الداخلية .فهي تشكل "نفساً لوامة" في الإنسان، وتحوله من حالة الغفلة إلى حالة اليقظة الدائمة.

· من حيث الأثر التربوي: تعتبر من أقوى السور في بناء الشخصية المسؤولة، وترسيخ مبدأ أن كل إنسان رقيب على نفسه قبل أن يُحاسب يوم القيامة.
· من حيث الأسلوب: تتميز بالتصوير البليغ المؤثر، والأسلوب الحواري الذي يخاطب العقل والقلب معاً، مما يجعلها تترك أثراً عميقاً في النفس.
· من حيث البرهان: تقدم برهاناً عقلياً قاطعاً على إمكانية البعث من خلال التأمل في مراحل خلق الإ نسان، وهو ما يجعلها حجة على كل منكر.

٧/ ما انفردت به السورة

.1الجمع بين القسم بالكون) يوم القيامة (والقسم بالنفس الإنسانية) النفس اللوامعة(: وهو جمع يربط بين أكبر حدث كوني وأدق حدث نفسي.
.2تفصيل الحديث عن "النفس اللوامعة" وجعلها محوراً رئيسياً للقسم: مما يؤكد على أهمية الضمير الحي في حياة الإنسان.
.3الربط الوثيق بين "الإيمان باليوم الآخر" و"وجود الضمير": حيث جعلت السورة النفس اللوامعة دليلا ً على الإيمان بالآخرة، وأداة للاستعداد لها.
.4الجمع بين مشهدين عظيمين في سورة واحدة: مشهد أهوال القيامة، ومشهد سكرات الموت، للربط بين النهاية الكبرى والنهاية الصغرى لكل إنسان.

٨/ أهم المواضيع التي تتحدث عنها السورة والقضايا التي تعالجها

أ .الموضوعات الرئيسية:

.1إثبات يوم القيامة والبعث: وهو الموضوع المحوري الذي تبدأ به وتنتهي به.
.2النفس اللوامعة والرقابة الذاتية: تقديم النفس اللوامعة كجهاز إنذار مبكر، وآلية للمحاسبة اليومية.
.3أهوال يوم القيامة: تصوير مشاهد مروعة من برق البصر، وخسف القمر، وجمع الشمس والقمر، وهروب الإنسان وطلبه للمفر.
.4سكرات الموت: وصف دقيق للحظات الاحتضار، والفراق، والبحث عن منقذ.
.5سلوك الكافرين في الدنيا: بيان أسباب شقائهم، وهي: التكذيب، والإعراض عن الصلاة، والكبر و التبختر.
.6البرهان على البعث: عرض مراحل خلق الإنسان) نطفة، علقة، خلق وتسوية، تذكير وتأنيث (كدليل عقلي قاطع على قدرة الله على إعادة الخلق.

ب .القضايا التي تعالجها:

.1قضية الغفلة: معالجة غفلة الإنسان عن الموت والبعث، وتذكيره بأنه ليس سدىً.
.2قضية التبرير الذاتي: كشف حقيقة تبرير الإنسان لأخطائه، وأن السبب الحقيقي هو حب الدنيا والا نغماس في الشهوات.
.3قضية الكبر والغرور: معالجة داء الكبر بتذكير الإنسان بأصله الحقير) نطفة من مني يمنى.(
.4قضية الموازنة بين الدنيا والآخرة: تقديم منهج متكامل للعيش في الدنيا مع الاستعداد للآخرة، دون إفراط أو تفريط.
.5قضية النجاة الحقيقية: إعادة تعريف النجاح بأنه الفوز بالجنة والنظر إلى وجه الله، لا جمع المال والجاه.
.6قضية منهجية التعلم: تقديم نموذج تربوي في تلقي العلم يقوم على الإنصات، والفهم، ثم التطبيق.

٩/ مقاصد السورة

.1المقصد العام: إيقاظ الإنسان من غفلته، وإعداده للقاء ربه، من خلال تفعيل الرقابة الذاتية والإيمان باليوم الآخر، وجعل الدنيا وسيلة للآخرة.
.2المقاصد التفصيلية:

· ترسيخ الإيمان بالبعث والجزاء: كحقيقة يقينية تؤثر في السلوك.
· بناء الضمير الحي: من خلال إحياء "النفس اللوامعة" كجهاز رقابة داخلي.
· تزكية النفس: بتصحيح المفاهيم الخاطئة) الظن بأن الحياة عبث، والكبر، والتبرير.(
· تحرير الإنسان: من عبودية الدنيا والشهوات، وتوجيهه للعمل للآخرة.
· إقامة الحجة على المنكرين: بتقديم الأدلة العقلية والكونية على قدرة الله المطلقة.
· تهذيب السلوك: بالحث على الصلاة، والتواضع، والتوبة، والاستعداد للموت.
· بيان المنهج القرآني في التلقي والتعلم: بالإنصات، والتدبر، وطلب البيان.

الخلاصة

سورة القيامة هي "دستور المحاسبة الذاتية ومنهج الاستعداد للقاء الله" .إنها ليست مجرد سورة تتحدث عن أهوال يوم القيامة، بل هي رحلة متكاملة تبدأ بغرس اليقين بالبعث، وتفعيل الرقابة الداخلية) النفس اللوامعة(، وتنتهي بتقديم البرهان العقلي القاطع على إمكانية الإعادة .تعالج السورة أعمق القضايا الإنسانية: الغفلة، الكبر، التبرير، حب الدنيا، وتقدم حلولا ً عملية لبناء إنسان واع، مسؤول، متواضع، مستعد للموت، طالب للفوز بالجنة .هي سورة النهضة الحقيقية، لأنها تبني الإنسان من الداخل، وتجعله قوة إيجابية في نفسه ومجتمعه.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة القيامه
مدخل السورة
التناسب بين ما اختتمت به سورة المدثر وافتتاحيه سورة القيامه
يُعد التناسب بين خواتيم السور وفواتح ما يليها من لطائف علم التفسير (علم المناسبات)، وفي حالة سورة **المدثر** وسورة **القيامة**، نجد رابطاً موضوعياً وعقائدياً قوياً يربط بين الخاتمة و البداية:
1. ختام سورة المدثر: "ذِكْرَى"
خُتمت سورة المدثر بقوله تعالى:
> **﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾**
>
* **المعنى:** القرآن الكريم "تذكرة" وموعظة للناس، وفيه بيان طريق النجاة لمن أراد أن يتذكر، مع التأكيد على أن مشيئة الله هي التي تعصم العبد وتوفقه للذكرى، وأن الله هو المستحق لأن يُتقى وهو أهل لأن يغفر لمن تاب.
2. افتتاح سورة القيامة: "بَعْثٌ وحساب"
افتُتحت سورة القيامة بقوله تعالى:
> **﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾**
>
* **المعنى:** جاءت السورة لتثبيت الحقيقة التي يغفل عنها الناس، وهي "يوم القيامة". هي تأكيد عملي على ما ورد في سورة المدثر من وجوب التذكر والتقوى.
3. وجوه التناسب بينهما
يمكن إجمال أوجه التناسب في النقاط التالية:
* **من التذكرة إلى الواقع المشهود:**
سورة المدثر دعت إلى "التذكر" والاتعاظ، وسورة القيامة جاءت لتجسد أعظم ما يجب أن يتذكره الإنسان وهو "يوم القيامة". فكأن الله يقول: يا أيها الإنسان، لقد دعوتك للتذكر في السورة السابقة، وها أنا أقسم لك بأعظم يوم ستلقاني فيه ليكون التذكر واقعاً ملموساً.
* **بين "أهل التقوى" و"النفس اللوامة":**
في ختام المدثر ذُكر "أهل التقوى"، وفي مطلع القيامة أُقسم بـ "النفس اللوامة". والمناسبة هنا دقيقة؛ فالمتقي هو الذي يمتلك نفساً لوامة تلوم صاحبها على التقصير في حق الله، وتدفعه لامتثال "التذكرة" التي وردت في نهاية المدثر.
* **الرد على المكذبين:**
سورة المدثر تحدثت عن "المكذبين بالحق" ووصفهم (كالوليد بن المغيرة)، وسورة القيامة جاءت لتفند شبهاتهم حول البعث، فكأنها جواب عملي لإنكارهم. فبعد أن حُذر المكذبون في المدثر، جاءت القيامة لتريهم حقيقة ما كانوا يستبعدونه.
* **التكامل في المضمون:**
سورة المدثر تدور حول الإنذار والقيام بالدعوة والتذكير بالقرآن، وسورة القيامة تدور حول الإيمان بالبعث والحساب. ولا يستقيم الإيمان بالقيامة إلا بقبول التذكرة (القرآن)، ولا قيمة للتذكرة إلا إذا أثمرت إيماناً باليوم الآخر.
خلاصة القول:
سورة المدثر وضعت "قاعدة التذكر والتقوى"، وسورة القيامة وضعت "الهدف والغاية" من هذا التذكر، وكأن افتتاحية القيامة هي التطبيق العملي والبرهاني للوعظ الذي انتهت به سورة المدثر.
الوحده الموضوعية للسورتين (المدثر ..والقيامه) ماذا تعنى الوحده الموضوعية وماهى الحاجه اليها ؟
يمكن القول إن **الوحدة الموضوعية الجامعة** لسورتي "المدثر" و"القيامة" في إطار مشروع "بناء الإنسان"، وذلك من خلال المحور التالي:
الوحدة الموضوعية: "مشروعية الاستخلاف: من التكليف بالدعوة إلى اليقين بالجزاء"
تنتظم السورتان حول مفهوم **"الإنسان المسؤول أمام الله"**، حيث تشكل السورتان وحدة واحدة في مسار بناء الفرد الذي يسعى للنهضة، وذلك عبر الركيزتين التاليتين:
1. الركيزة الأولى: التكليف والفاعلية (سورة المدثر)
هذه السورة هي **"دستور الحركة"**. الوحدة الموضوعية هنا هي "إخراج الإنسان من حالة السكون إلى حالة الفاعلية".
* **المفهوم المركزي:** إن الإنسان وُجد ليقوم بمهمة ("قُمْ فَأَنذِرْ")، وهذه المهمة تتطلب طهارة (تزكية)، وتواضعاً أمام المنهج، وتجاوزاً للذات ("المدثر" رمزاً للراحة أو العزلة).

* **الغاية:** إثبات أن النهضة تبدأ بقرار فردي واعي يحمل "التذكرة" (القرآن) للناس، مع التحرر من قيود المصلحة الشخصية.
2. الركيزة الثانية: الرقابة واليقين (سورة القيامة)
هذه السورة هي **"دستور المحاسبة"**. الوحدة الموضوعية هنا هي "تأصيل الرقابة الذاتية كضمانة لاستمرار الحركة".
* **المفهوم المركزي:** "اليقين باليوم الآخر". الإنسان لا يمكنه أن يستمر في "مشروع النهضة" (الذي بدأه في المدثر) ما لم يربط كل حركة في حياته بلقاء الله.
* **الغاية:** جعل "يوم القيامة" مرجعية معيارية لتقييم الأداء، حيث تتحول "النفس اللوامة" إلى أداة رقابة داخلية تمنع الانحراف عن الغاية النبيلة.
كيف تتوحد السورتان في "وحدة موضوعية واحدة"؟
يمكن صياغة الوحدة الموضوعية في عبارة جامعة: **"الإنسان الفاعل والمراقب لنفسه في رحلة العودة إلى الله"**.
* **الارتباط البنيوي:**
* **في المدثر:** يتم بناء **"الإرادة"** (القرار بالقيام والعمل).
* **في القيامة:** يتم بناء **"الوعي"** (الإدراك العميق للنتيجة والمآل).
لا تكتمل النهضة بإرادة بلا وعي، ولا بوعي بلا إرادة. فالسورة الأولى (المدثر) تمنحك "المحرك"، و السورة الثانية (القيامة) تمنحك "البوصلة".
لماذا هذه الوحدة الموضوعية مهمة لباحث في علوم القرآن مثلك؟
لأنها تنقلك من "التفسير التجزئي" (التعامل مع كل آية كأنها وحدة مستقلة) إلى **"التفسير البنائي"** (فهم السورة كجزء من مشروع أكبر). هذا الارتباط الموضوعي هو الذي يحول النص القرآني من "معلومات مقروءة" إلى "نظام تشغيل" للعقل والروح، وهو بالضبط ما تحتاجه لصناعة التطور والنهضة؛ فالمجتمع لا ينهض إلا بأفراد يمتلكون (إرادة التغيير) و(وعي المصير).
الارتباط الموضوعى بين السورتين وأهميته ودوره في صناعه النهضه

إن الارتباط الموضوعي بين سورة **المدثر** وسورة **القيامة** ليس مجرد ترتيب مصحفي، بل هو **منهجية بنائية متكاملة** تهدف إلى تحويل الإنسان من حالة "الاستغراق في الغفلة" إلى حالة "اليقظة الاستراتيجية" التي تصنع النهضة.
يمكن بيان هذا الارتباط ودوره في صناعة التطور والنهضة من خلال المحاور التالية:
أولا ً: الارتباط الموضوعي (منهج الحركة نحو الغاية)
يمكن تلخيص الربط بينهما في علاقة **(الرسالة ← المحاسبة)**:
1. **سورة المدثر (رسالة التكليف):** بدأت بنداء المبادرة: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾**. هي سورة "الحركة" والعمل، حيث تطالب الإنسان بترك الراحة (التدثر) والنهوض لإنقاذ المجتمع وتصحيح مفاهيمه. هي "مشروع بناء" يبدأ بالتزكية وينتهي بـ **﴿التقوى والمغفرة﴾**.
2. **سورة القيامة (المنظور الاستراتيجي):** جاءت لتجيب على سؤال: لماذا نتحرك؟ وما هي الغاية؟ إنها تربط حركة الإنسان في الدنيا (التي بدأت في المدثر) بحقيقة الحساب (القيامة). فـ السورة تجعل "القيامة" معياراً لتقييم كل فعل في الحياة الدنيا.
ثانياً: دور هذا الارتباط في بناء الإنسان والنهضة
هذا التكامل يساهم في صناعة نهضة حقيقية من خلال ثلاثة أبعاد:
1. تحويل "التقوى" إلى "طاقة عمل"
في ختام المدثر، عرّف الله بأنه **﴿أَهْلُ التَّقْوَى﴾**. وفي مطلع القيامة، نجد **﴿النَّفْسُ اللَّوَّامَةِ﴾**.
* **في النهضة:** بناء الإنسان لا يحدث بدون "رقابة ذاتية". النفس اللوامة هي التي تراجع أداءها (التطوير المستمر)، والتقوى هي التي تضبط البوصلة الأخلاقية. هذا الارتباط يولد إنساناً "يقظاً" لا يغتر بإنجازه ولا ييأس من تقصيره.
2. التحرر من "عقيدة الاستعجال والإنكار"
سورة القيامة تفضح العقلية التي لا تؤمن إلا بما تراه مادياً (الإنكار). النهضة تبدأ عندما يتجاوز الإ نسان النظرة المادية الضيقة إلى "النظرة المستقبلية الكبرى" (الإيمان بالآخرة). حين يؤمن الإنسان بأن هناك حساباً دقيقاً على أصغر أفعاله، يتحول من "عامل لأجل اللحظة" إلى "عامل لأجل الأثر الباقي"، وهذا جوهر التنمية المستدامة.
3. الوحدة بين "الذكرى" و"الواقع"
سورة المدثر جعلت القرآن **﴿تَذْكِرَةٌ﴾**. وسورة القيامة جعلت هذا القرآن **﴿بَيَانَهُ﴾** على لسان النبي صلى الله عليه وسلم.
* **في النهضة:** التطور لا يحدث بلا مرجعية. الربط بين "التذكرة" و"البيان" يعني أن العلم (القرآن) يجب أن يتحول إلى "برنامج عمل" مفسر للواقع. الإنسان المنهض هو الذي يقرأ "التذكرة" ليفهم "الواقع"، ثم يتحرك ليغيره وفقاً للمنهج.

ثالثاً: فلسفة النهضة في هذا السياق
الارتباط بين السورتين يؤسس لقاعدة نهضوية ذهبية:
> **"لا نهضة بلا مسؤولية (المدثر)، ولا مسؤولية بلا يقين بالمصير (القيامة)."**
>
* إذا تحرك الإنسان دون غاية (القيامة)، ضاع جهده في صراعات جانبية.
* وإذا آمن بالغاية دون حركة (المدثر)، تحول إيمانه إلى سلبية وعزلة.

الخلاصة:
سورة المدثر تعلمنا **"كيف نقوم"**، وسورة القيامة تعلمنا **"لماذا نقوم"**. إن التطور والنهضة التي تنشدها المجتمعات تبدأ عندما يدرك الفرد أن دوره في الحياة هو "مهمة مقدسة" (مدثر) لها حساب دقيق أمام الله (قيامة)، وهذا الوعي المزدوج هو أقوى دافع للإتقان، والنزاهة، والعمل الدؤوب، وتجاوز العقبات.

القسم الاول
المبحث الأول
تفسير الايه 2-1من سورة القيامه
أولا ً: تفسير الايه
الأمر الأول: مقدمة تمهيدية تربط الآية بما قبلها

سورة القيامة هي سورة مكية، نزلت في مرحلة التأسيس الإيماني، حيث كان المشركون يستبعدون فكرة البعث أشد الاستبعاد، ويقولون:} أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً{، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على تعجيل حفظ القرآن خوفاً من أن يفوته شيء، فنزلت الآيات لتربط بين قدرة الله على جمع العظام يوم القيامة وقدرته على جمع القرآن في صدره.

الآية رقم 1 و 2 تأتي بعد سورة المدثر التي اختتمت بآيات عن النذارة والإنذار، وكأن الانتقال هنا هو انتقال من "الإنذار العام" إلى "التفصيل الدقيق" لمشهد القيامة .القسم في مطلع السورة هو مدخل عظيم، لأن الله - عز وجل - لا يقسم إلا بأمور عظيمة، ليُثير انتباه السامع، وليوقظ القلب الغافل، وليجهّز العقل لاستقبال حقائق كبرى .هذا الأسلوب يجعل القارئ في حالة "ترقب شديد" لما سيأتي بعد القسم، فيكون أكثر استعداداً لتلقي الرسالة.

الأمر الثاني: تفسير الآية
}لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ{:

اختلف المفسرون في "لا" هنا على قولين رئيسيين:

· القول الأول) الجمهور(: "لا" صلة زائدة، وهي زيادة للتوكيد كما في قوله تعالى:} لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ{، والمعنى: "أقسم بيوم القيامة" .وهذا قول سيبويه والخليل والفرّاء والزجاج، وهو الأرجح لأن القسم أداة تأكيد، وزيادة "لا" تزيد التأكيد قوة.
· القول الثاني) فريق من المفسرين(: "لا" نافية، والمعنى: لا حاجة بي إلى القسم، فالأمر أوضح من أن يُقسم عليه، ولكنه أقسم تكريماً للمُقسَم به .وهذا قول ابن عباس في رواية، والأخفش.

المقصود بـ "يوم القيامة": هو اليوم الذي يقوم فيه الناس من قبورهم لرب العالمين، وفيه تقوم الساعة، وتقوم الحجة، وتقوم الموازين، وتقوم الأرواح للأجساد .سمي قيامة لقيام الناس فيه، ولقيام الحجة، ولقيام العدل الإلهي.

}وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ{:

· النفس اللوامة: هي النفس المؤمنة التي تلوم صاحبها على تقصيره في الخير، وتلومه على فعله للشر ، وتلومه حتى على الوسوسة والخواطر الرديئة .سميت بذلك لكثرة لومها وتأنيبها.
· أقوال المفسرين فيها: قيل: هي كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة، وقيل: هي نفس المؤمن خاصة، وقيل: هي نفس الإنسان مطلقاً لأن الإنسان يلوم نفسه في الدنيا والآخرة.
· لماذا أقسم الله بها؟ تكريماً لها، وتشريفاً لمنزلتها، لأن وجودها دليل على حياة القلب ويقظة الضمير . وهي النقيض للنفس الأمارة بالسوء التي لا تلوم ولا تشعر.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

1.فكرة إثبات عظمة يوم القيامة: وجعلها محوراً للقسم الإلهي.

.2فكرة بيان منزلة النفس اللوامة: ورفع قدرها لتكون مقسماً بها.
.3فكرة الربط بين الإيمان بالآخرة ووجود الضمير الحي: فالضمير هو صورة مصغرة للمحاسبة الكبرى.
.4فكرة تأكيد أن الحياة ليست عبثاً أو لهواً: بل هي مسؤولية ومحاسبة وبناء.
.5فكرة أن الإنسان يملك أداة داخلية للتصحيح: لا يحتاج إلى رقيب خارجي إذا فعلّ هذه الأداة.

الأمر الرابع: مغزى الآية وأسباب النزول

المغزى العام:
المغزى العميق للآية هو أن الله سبحانه يريد للإنسان أن يعيش في حالة من "اليقظة الدائمة"، فلا يغفل عن مصيره النهائي) يوم القيامة(، ولا يغفل عن حاله الداخلي) النفس اللوامة .(إنها دعوة إلى أن تكون حياة الإنسان "حياة مراجعة مستمرة"، وأن يعلم أن الله قد جعل في داخله "جهاز إنذار مبكر" هو الضمير، فمن استجاب لهذا الجهاز نجا، ومن أغمض أذنيه عنه هلك.

أسباب النزول:
لم يرد في كتب التفسير سبب نزول خاص لهاتين الآيتين تحديداً، ولكن السياق العام للسورة وأوائلها يشير إلى أنها نزلت رداً على استبعاد المشركين للبعث، وتأكيداً لحتمية القيامة، وإبطالا ً لقول من ق ال:} مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ .{كما أن بعض المفسرين أشار إلى أن "النفس اللوامة" نزلت في المؤمنين الذين كانوا يلومون أنفسهم على تقصيرهم في الطاعات.

الأمر الخامس: أهداف وغايات ومقاصد الآية

.1هدف تزكية النفس وتطهيرها: بتفعيل الرقابة الذاتية، لأن الإنسان إذا عود نفسه على محاسبة ذاته، ترقى أخلاقياً وروحياً.
.2هدف ترسيخ الإيمان باليوم الآخر: ليس كعقيدة جامدة، بل كواقع حي يؤثر في السلوك اليومي.
.3هدف بناء شخصية متوازنة: تجمع بين الخوف من يوم القيامة) الذي يدفع للعمل (والرجاء في رحمة الله) الذي يمنع القنوط.(
.4هدف تحرير الإنسان من سجن المبررات: كثير من الناس يظلون أسرى لأخطائهم لأنهم يبررونها، وا لآية تدعو إلى كسر دائرة التبرير عبر "لوم النفس" الإيجابي.
.5هدف ربط السلوك بالمصير: بحيث يشعر الإنسان أن كل صغيرة وكبيرة تُحسب، وأن لا شيء يضيع عند الله.

ثانياً: تحليل الآية (مع إثبات الرسائل)

المحور الأول: لا أقسم بيوم القيامة

الأمر الأول: لماذا افتتحت السورة بالقسم؟

افتتحت السورة بالقسم لعدة أسباب بلاغية ونفسية:

.1استثارة الانتباه: القسم في اللغة العربية من أقوى أدوات التأكيد، وعندما يبدأ الله كلامه بالقسم، فإنه يلفت انتباه السامع فوراً، كأنه يقول: "انتبه، ما سأقوله عظيم".
.2تعظيم المقسم به: الله لا يقسم إلا بأمور عظيمة، فالقسم بالقيامة والنفس اللوامة يشير إلى عظم شأنهما.
.3تهيئة القلوب الغافلة: الإنسان المعرض عن الحق يحتاج إلى "صدمة إيجابية" تعيد توجيهه، والقسم يخلق هذه الصدمة اللطيفة.
.4تأكيد الخبر: في موضوع يحتاج إلى تأكيد شديد مثل البعث، كان القسم ضرورياً لقطع الطريق على المشككين.

لماذا بدأ الله السورة بـ "لا أقسم"؟ وهل يدل ذلك على نفي القسم أم تأكيده؟ وماذا يوقع هذا الأ سلوب في النفس؟ وما الرسائل الأربع؟

تحليل "لا أقسم":

· نفياً أم تأكيداً؟ هو تأكيد بليغ .فالعرب تستخدم "لا" الزائدة في القسم لتوكيده، كقوله: "لا والله لا أفعل" .أو قد تكون نافية بمعنى: الأمر أعظم من أن يحتاج إلى قسم.
· ماذا يوقع في النفس؟ يوقع "الدهشة المحببة للتدبر" .القارئ يتوقف متسائلا ً: لماذا "لا أقسم"؟ هل

الله ينفي القسم؟ ثم يبحث فيتذكر أن "لا" هنا تأكيد، فيزداد تمسكاً بالمعنى .هذا التوقف هو نقطة التحول من القراءة السطحية إلى القراءة التدبرية.

الرسائل والتوجيهات الأربع التي تحملها هذه الدلالة:

.1الرسالة النفسية:
يخلق أسلوب "لا أقسم" حالة من "الترقب الممزوج بالرهبة" .النفس البشرية تحب اليقين وتكره التردد، وعندما تسمع قسماً يبدأ بـ "لا"، يتوتر انتباهها، ثم يهدأ عندما تدرك أنه تأكيد .هذا التقلب الا نفعالي يثبت المعلومة في أعماق النفس أكثر من الأسلوب المباشر.
.2الرسالة العقلية) الفكرية(:
يعلمنا هذا الأسلوب أن "الحقائق الكبرى" قد تكون أوضح من أن نحتاج إلى إثباتها بالطرق التقليدية .القيامة، وإن كانت غيباً، فإن أدلتها في الكون والنفس أوضح من أن نحتاج إلى جدال طويل .فالعقل المدقق يجد أثرها في كل شيء.
.3الرسالة التربوية:
يعلم هذا الأسلوب المربي) الأب، المعلم، الداعية (أن "التأكيد بالتكرار" أحياناً يكون أقل تأثيراً من "التأكيد بالاستفهام أو التوقف" .فترك مساحة للسامع ليتساءل ويبحث هو أبلغ من حشر المعلومات في رأسه .هذا أسلوب "التعليم غير المباشر".
.4الرسالة العملية:
عملياً، هذا الأسلوب يدرب الإنسان على "القراءة بين السطور" .في الحياة، ليست كل الرسائل مباشرة .أحياناً يُقال لك شيء بمعنى ضده، أو يُقال لك النفي لإثبات المعنى .فتنمية هذه المهارة تجعل الإنسان أكثر فهماً للناس والمواقف.

ما هي الأمور التي يتناول إثباتها القسم؟

القسم هنا يتناول إثبات ثلاثة أمور رئيسية، وإن لم تذكر صراحة في الآيتين، فإن السياق يؤكدها:

.1إثبات البعث: أن الله سيبعث الخلائق من قبورهم.
.2إثبات الجزاء: أن هناك حساباً وجزاءً على الأعمال.
.3إثبات قدرة الله: على جمع العظام المتناثرة وإعادة خلق الإنسان.

العلاقة بين القسم بيوم القيامة والقسم بالنفس اللوامة(

العلاقة بينهما هي علاقة "الغاية بالوسيلة" و"الموعد بالاستعداد" و"المحاسبة الكبرى بالمحاسبة الصغرى":

· يوم القيامة هو "الحدث الكوني الأكبر"، والنفس اللوامة هي "الحدث النفسي الأعمق".
· يوم القيامة يُذكر بالنهاية، والنفس اللوامة تذكر بالطريق.
· من عاش بنفس لوامة، استعد لقيامة ناجحة.

ما الذي يخبرنا به هذا الربط عن غاية الحياة؟) مفصلاً (

هذا الربط يخبرنا أن غاية الحياة ليست جمع المال أو المتعة أو السلطة، بل غاية الحياة هي "الوصول إلى الله بقلب سليم"، وهذا لا يتحقق إلا بـ:

.1الإيمان باللقاء) يوم القيامة.(
.2المحاسبة المستمرة) النفس اللوامة.(

إذاً، الحياة رحلة من "النفس الأمارة" إلى "النفس المطمئنة"، وهذه الرحلة تستخدم "النفس اللوامة" كجسر، و"يوم القيامة" كوجهة.

الأمر الثاني(من المحور الأول(:
ما هو سر هذا القسم وجواب القسم؟ وما الدلالة النفسية له؟ وما أهمية هذا الأسلوب وقدرته على إيقاع التأثير النفسي ودوره في إيصال الرسائل التربوية والفكرية والعملية؟ وما هي هذه الرسائل؟

سر القسم:

السر العميق في هذا القسم هو أن الله جمع بين "أعظم حدث كوني" و"أدق حدث نفسي"، ليُعلم الإ نسان أن:

· ما في داخلك) نفسك اللوامة (له وزن عند الله كما للكون كله.
· وأن استقامة الكون مرتبطة باستقامة القلب.
· وأن النجاة يوم القيامة تبدأ بصدق المحاسبة اليومية.

جواب القسم:

جواب القسم محذوف تقديره: "لتبعثن ولتحاسبنّ ولتجزنّ بأعمالكم" .والحذف هنا ليس عبثاً، بل هو سر من أسرار البلاغة القرآنية.

الدلالة النفسية لحذف الجواب:

· يخلق حالة من "الرهبة الممتدة" في نفس السامع .حين لا يُذكر الجواب مباشرة، يظل العقل معلقاً يبحث عنه، وهذا البحث يجعله يعيش في حالة "توقع" دائمة لما سيأتي.
· كما أن الحذف يُشعر السامع بأن الجواب عظيم جداً لدرجة أن اللفظ لا يستوعبه، فالنفس ترهب المجهول العظيم أكثر مما ترهب المعلوم.

أهمية هذا الأسلوب وقدرته على إيقاع التأثير النفسي:

هذا الأسلوب) القسم + حذف الجواب (يمتلك قدرة فائقة على التأثير لأن:

.1يُفعّل "محرك البحث الداخلي": القارئ لا يبقى سلبياً، بل يصبح باحثاً عن الجواب المحذوف.
.2يُطيل زمن التأثير: الأسلوب المباشر يؤثر لحظة قراءته، أما هذا الأسلوب فيظل أثره يمتد في النفس حتى بعد الانتهاء من القراءة.
.3يُربك الغافلين: يُخرجهم من حالة الألفة مع النص إلى حالة اليقظة والذهول.

دور هذا الأسلوب في إيصال الرسائل الأربع:

أولا ً: الرسالة النفسية:
هذا الأسلوب يُحدث في النفس ثلاثة تفاعلات متتالية:

· التفاعل الأول: الحيرة .حين يقرأ القارئ "لا أقسم" يتساءل: أينفي القسم؟ هذه الحيرة تجعله يتوقف.
· التفاعل الثاني: الاستنفار .يبدأ العقل بالبحث عن معنى "لا"، وهنا تنتبه النفس تماماً.
· التفاعل الثالث: الإدراك .عندما يعرف أن "لا" صلة أو نفي بمعنى التأكيد، يشعر بقوة المعنى وثباته.
· النتيجة النفسية: تثبت حقيقة البعث في النفس تثبيتاً لا يتزعزع، لأنها وصلت إليها عبر جهد فكري ذاتي، وليس عبر تلقين فقط.

ثانياً: الرسالة العقلية) الفكرية:

· يعلم هذا الأسلوب العقل أن "الحقيقة لا تحتاج دائماً إلى تصريح، بل قد تُفهم من السياق".
· يدرّب العقل على "استنتاج المحذوف") الاستدلال بالقرائن(، وهذه مهارة عقلية عليا.
· يُرسخ مبدأ أن "العقل البشري يقتنع أكثر عندما يصل بنفسه إلى النتيجة، مما لو قدمت له جاهزة".

ثالثاً: الرسالة التربوية:

· يعلم المعلم والمربي أن "الصمت المتبوع بتلميح" أحياناً أبلغ من الكلام المباشر.
· يرشد إلى أن "ترك مساحة للمتعلم ليكتشف الخطأ بنفسه" هو أسلوب تأديبي يفوق التوبيخ المباشر.
· يُظهر أن "القسم" أداة تربوية لتعظيم القيمة، فينبغي أن نستخدم أسلوب "التأكيد بالعظمة" في تربية النشء.

رابعاً: الرسالة العملية:

· عملياً، يعلمنا هذا الأسلوب ألا نستعجل في فهم النصوص، بل نتوقف ونتدبر.

· يعلمنا أن في الحياة "جواباً محذوفاً" لكل سؤال، وعلينا أن نبحث عنه.
· يطبق في القيادة والإدارة: أحياناً ترك المرؤوس ليكتشف الخطأ بنفسه) الجواب المحذوف (يكون أبلغ من توجيهه مباشرة.

الأمر الثالث) من المحور الأول(:
ما السر في تقديم "يوم القيامة" على "النفس اللوامة"؟ وما علاقة هذا بترتيب الأولويات في حياتي؟ وما الرسائل الأربع من هذه الدلالة؟ وما مفهوم لوم النفس ودوره في تصحيح المسار قبل فوات الأ وان بدلا ً من تبرير الأخطاء؟

السر في تقديم يوم القيامة على النفس اللوامة:

التقديم هنا له حكمة بالغة:

.1السر الأول) تقدم الغاية على الوسيلة(: يوم القيامة هو الغاية، والنفس اللوامة هي الوسيلة .فلا معنى للوسيلة دون غاية .إذاً، قدم الله الغاية ليعلمك أن تعرف "لماذا" قبل "كيف".
.2السر الثاني) تقدم الدافع على الأداة(: الإيمان بالقيامة هو الدافع لتفعيل النفس اللوامة .فمن آمن بـ اليوم الآخر، انطلق ضميره تلقائياً.
.3السر الثالث) العظمى قبل الصغرى(: يوم القيامة هو الحدث الأعظم، فذكره أولا ً يهيئ النفس لا ستقبال الحديث عن النفس اللوامة في سياق من الهيبة.

علاقة هذا بترتيب الأولويات في حياتي:

هذا التقديم يعطيني درساً في ترتيب الأولويات:

· أولا ً: حدد "غايتك الكبرى") لقاء الله والجنة.(
· ثانياً: نظم "وسيلتك") نفسك اللوامة التي تراقب وتصحح.(
· الخلاصة: لا تبدأ بتفاصيل الإصلاح الذاتي قبل أن تستقر عندك رؤية الهدف النهائي .من يعرف "القيامة" حق المعرفة، تسهل عليه "محاسبة النفس".

الرسائل الأربع من هذه الدلالة) التقديم(:

الرسالة النفسية:
تقديم يوم القيامة أولا ً يُحدث في النفس "قلقاً مقدساً"، ثم يأتي ذكر النفس اللوامة فيُحدث "طمأنينة" .فالإنسان قد يخاف من يوم القيامة المجهول، لكنه حين يعلم أن في داخله أداة للاستعداد، يهدأ .هذا التناوب بين الخوف والرجاء هو ما يحقق التوازن النفسي للمؤمن .كما أن تقديم الأكبر)القيامة (قبل الأصغر) النفس (يُعطي النفس شعوراً بأن همومها الداخلية ليست صغيرة عند الله، بل هي مقسَم بها، مما يرفع من تقدير الذات الإيمانية.

الرسالة العقليه :
عقلياً، التقديم يعلمني "منطق الأسبقية": أي شيء هو الغاية يُقدّم على الوسيلة .هذا المنطق يمكن تطبيقه في كل مجالات الحياة: في العمل) الهدف الكبير يُقدّم على الخطط التفصيلية(، وفي العلاقات)المبدأ يُقدّم على التنفيذ .(كما أنه يعلم العقل ألا ينشغل بالتفاصيل) النفس اللوامة (قبل أن يثبت الأ ساس) الإيمان بالقيامة.(

الرسالة التربوية
تربوياً، هذا التقديم يعلم المربي أن يبدأ بـ "تثبيت الغايات الكبرى" في نفس المتعلم قبل أن ينتقل إلى "تفاصيل السلوك" .لا تطلب من طفل أن يلتزم بسلوك معين قبل أن تشرح له "الهدف الأسمى" من وراء هذا السلوك .فالإنسان يتحرك نحو غايته أولا ً، ثم يُعد أدواته ثانياً.

الرسالة العملية ا:
عملياً، هذا التقديم يُترجم إلى قاعدة: "لا تصلح الفرع إلا بعد إصلاح الأصل" .في حياتك اليومية، إذا أردت تغيير عادة سيئة) النفس اللوامة(، ابدأ بإحياء إيمانك بالآخرة وبأنك ستُسأل عنها .متى استحضرت "يوم القيامة" في وعيك، أصبح تغيير العادة أسهل .فالروحيات هي التي تُحرك الجوارح، وليس العكس.

**مفهوم لوم النفس ودوره في تصحيح المسار قبل فوات الأوان بدلا ً من تبرير الأخطاء) مفصلا

1):

تعريف لوم النفس الإيجابي:
هو أن يتوقف الإنسان بعد كل خطأ، وبدلا ً من أن يبحث عن مبررات أو يلقي اللوم على الظروف أو الآخرين، فإنه يقول لنفسه: "أخطأت، وهذا خطئي، وسأصلح" .اللوم هنا هو "مرآة نقدية" وليس "مطرقة عقابية".

لماذا اللوم أداة تصحيح وليس التبرير؟:

· التبرير هو "مخدر أخلاقي" .عندما تبرر خطأك، تشعر براحة مؤقتة، لكنك تستمر في الخطأ .التبرير يحمي الأنا، لكنه يدمر الروح .المبرر يقول: "لم يكن بيدي حيلة"، أو "الكل يفعل ذلك" .هذا يقتل النفس اللوامة.
· اللوم الإيجابي هو "منبه مؤلم لكنه شافٍ" .عندما تلوم نفسك، تشعر بضيق لحظي، لكنه يدفعك للتغيير .اللوّام يقول: "أنا السبب، وسأتغير".

دور اللوم في تصحيح المسار قبل فوات الأوان:

· اللوم المبكر يمنع تراكم الأخطاء إلى ذنوب، والذنوب إلى عادات، والعادات إلى طبائع.
· النفس اللوامة تعمل كـ "صمام أمان"؛ فكلما مال الإنسان عن الطريق، أطلق هذا الصمام إنذاراً) اللوم(، فيصحح المسار فوراً ولا ينتظر حتى يصل إلى الهاوية.
· المثل: النائم الذي يستيقظ على صوت المنبه) اللوم (ينجو من التأخير، أما الذي يكتم المنبه)التبرير (فيستمر في النوم ويفوته اليوم كله.

خلاصة: الإنسان الناجح ليس من لا يخطئ، بل من يخطئ ثم يلوم نفسه ثم يصحح .والإنسان الفاشل هو من يخطئ ثم يبرر، فيظل في دائرة الخطأ المغلقة.

ثانياً: تكملة تحليل الآية

المحور الثاني: ولا أقسم بالنفس اللوامة

الأمر الأول) من المحور الثاني(: لماذا جُعلت النفس اللوامة رديفاً ليوم القيامة في القسم؟ وما دلالة هذا الاقتران؟ وما الرسائل النفسية والتربوية والفكرية والعملية من هذه الدلالة؟

لماذا جُعلت رديفاً؟

جُعلت النفس اللوامة رديفاً ليوم القيامة لعدة أسباب:

.1لأنها "القيامة الصغرى" : كما أن يوم القيامة هو يوم الحساب الأكبر، فالنفس اللوامة هي "يوم حساب أصغر" في داخل الإنسان كل يوم.
.2لأنها دليل على الإيمان بالقيامة : لا توجد نفس لوامة حقاً إلا في قلب مؤمن بالآخرة .فالملحد أو الغافل لا يلوم نفسه لأنه لا يرى للحياة معنى.
.3لأنها الأداة التي تجعل القيامة مؤثرة في السلوك : القيامة دون نفس لوامة تبقى فكرة نظرية، و النفس اللوامة دون قيامة تفقد بوصلة الهدف.

دلالة هذا الاقتران(:

هذا الاقتران يحمل عدة دلالات:

· دلالة التطابق بين الظاهر والباطن : كما أن الله سيقيم العدل ظاهراً يوم القيامة، فقد جعل العدل باطناً في نفسك.
· دلالة أن الحساب يبدأ من الداخل : لا تنتظر يوم القيامة لتحاسب، بل حاسب نفسك اليوم.
· دلالة كرامة الإنسان : النفس اللوامة أقسم الله بها كما أقسم بالقيامة، مما يعني أن همك الداخلي وخطاياك ومحاسبتك لها شأن عند الله عظيم.

الرسائل الأربع من هذه الدلاله :

الرسالة النفسية:
هذا الاقتران يحدث في نفس المؤمن "طمأنينة غريبة"؛ فهو يدرك أن صراعه الداخلي) لوم النفس على التقصير (ليس عبثاً أو وسوسة، بل هو شرف إلهي .يشعر الإنسان أن همومه الروحية مفهومة عند الله، بل إن الله جعل هذه الهموم مادة للقسم .هذا يرفع من "تقدير الذات الإيماني"، فلا يشعر المؤمن بالوحدة في صراعه مع نفسه .كما يخلق الاقتران "توازناً نفسياً" بين الخوف من يوم القيامة) الذي قد يؤدي للقلق المرضي (وبين الرجاء في النفس اللوامة) التي تؤكد أن الله لم يتركنا بلا أداة نجاة .(النفسية التي تعيش هذا الاقتران تتحول من "قلق مرضي" إلى "خوف منتج"، ومن "يأس" إلى "أمل".

الرسالة العقلية) الفكرية :
عقلياً، هذا الاقتران يُعلم الإنسان "النظر الكلي" إلى الأشياء .فهو يربط بين علم الكون) القيامة (وعلم النفس) النفس اللوامة(، بين الغيب والشهادة، بين المستقبل والحاضر .العقل الذي يتدبر هذا الاقتران يكتسب "رؤية تركيبية" لا تجزئية؛ أي أنه يرى كل شيء في سياقه، ويرى الجزء في علاقته بالكل . كما يزرع الاقتران في العقل "منطق السببية الأخلاقية": القيامة هي سبب الجزاء، والنفس اللوامة هي سبب النجاة .هذا المنطق يحمي العقل من الانزلاق إلى الفكر المادي الجاف الذي يرى الحياة مجرد تفاعلات كيميائية.

الرسالة التربوية:
تربوياً، هذا الاقتران يعلم المربي والأم والمعلم ألا يفصلوا بين "تربية الضمير" و"تربية الإيمان بالآخرة" . كثير من المناهج التربوية الحديثة تركز على بناء "الضمير" دون مرجعية دينية، وهذا الضمير سيكون هشاً لأنه بلا جذور .القرآن يربط بينهما: الضمير الحي) النفس اللوامة (ينمو في تربة الإيمان باليوم الآ خر .إذاً، التربية الناجحة هي التي تغرس في الطفل كلا ً من الخوف من الله والمراقبة الذاتية في آن واحد .كما يعلم الاقتران المربي أن "المحاسبة المدرسية" يجب أن تكون صورة مصغرة للمحاسبة الكبرى، فيتعلم الطالب أن كل فعل له رد فعل، وكل خطأ له عقاب عادل.

الرسالة العملية:
عملياً، هذا الاقتران يعطيني منهج حياة: "يومياً، أحاسب نفسي كما سأحاسب يوم القيامة" .أستطيع أن أطبق هذا في حياتي العملية عبر:

· في العمل: لا أنتظر رقيباً ليرى أخطائي، بل أراجع عملي بنفسي) نفس لوامة (لأنني أعلم أن الله سيسألني عن أمانتي.
· في الأسرة: لا أنتظر من زوجتي أو أولادي أن يذكروني بتقصيري، بل أكون أول من يلوم نفسه ويعتذر.
· في المجتمع: لا ألوم الآخرين على مشاكل المجتمع، بل أبدأ بنفسي: ماذا قدمت؟ أين قصرت؟
هذا الاقتران يجعل الإنسان "مبادراً" في الإصلاح، لا "متفرجاً" ينتظر من يصلحه.

**الأمر الثاني) من المحور الثاني(:
ما هي النفس اللوامة وما هي أنواع النفس؟
وما هي خصائص النفس المطمئنة والنفس اللوامة؟ لماذا جاء التخصيص للقسم بالنفس اللوامة؟
وما الطريق إلى الكمال الإنساني) النفس المطمئنة(؟ وما علاقة النفس اللوامة بحياة القلب وموته؟
لماذا عدم الشعور بالذنب دليل موت القلب؟
ماذا يعني أن النفس الأمارة بالسوء هي نفس انقطعت عن ربها؟
متى ينتج الشر؟ وما وظيفة النفس اللوامة؟

أنواع النفس في القرآن :

القرآن الكريم ذكر ثلاثة أنواع رئيسية للنفس:

النوع الأول: النفس الأمارة بالسوء

· تعريفها: هي النفس التي تغلب عليها الشهوات، وتأمر صاحبها بالشر، وتزين له المعصية، وتدفعه للتمرد على أوامر الله.
· صفاتها: لا تشعر بالذنب، تبرر أخطاءها، تتبع الهوى، غافلة عن العواقب.
· ذكرها الله في قوله:} إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي.{
· هي أقل درجات النفس.

النوع الثاني: النفس اللوامة

· تعريفها: هي النفس التي استيقظت من غفلتها، تعصي ثم تندم، وتذنب ثم تلوم نفسها، وتقصر ثم تأنب.
· صفاتها: يقظة، نقد ذاتي، سرعة رجوع إلى الله، لا ترضى بالدون.
· ذكرها الله في الآية محل التفسير.
· هي المرحلة الانتقالية بين الأمارة والمطمئنة.

النوع الثالث: النفس المطمئنة

· تعريفها: هي النفس التي استقرت على الإيمان وسكنت إلى ذكر الله، واطمأنت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً.
· صفاتها: سكينة، رضا، توكل، لا قلق ولا حزن، تهفو إلى الله بشوق.
· ذكرها الله في قوله:} يَا أَيَتُهَا النَفْسُ المُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً.{

خصائص النفس المطمئنة والنفس اللوامة) تفصيل مقارن(:

الخصيصه	النفس اللؤامه	النفس المطمئنة
الحركه	حركة دائمه تلوم، تندم، تصحح	(سكون مطمئن رضا، استقرار
علاقتها بالخطأ	تخطئ ثم تندم وتصحح	تكره الخطأ وتنفر منه فطرياً
الصراع الداخلي	صراع قائم بين الخير والشر	صراع منتهٍ بانتصار الخير
الشعور الغالب	ارة قلق، تارة أمل وسكينه	سكينة وطمأنينة دائمة
مستوى الايمان	إيمان جاهد متعب	ايمان ثابت راسخ المشاعر ندم، توبة، خوف رضا، حب، شوق

لماذا جاء التخصيص للقسم بالنفس اللوامة دون غيرها؟

جاء التخصيص لأن النفس اللوامة هي "مرحلة التحول" و"منطقة الصدق" .الله لم يقسم بالأمارة لأنها غافلة، ولم يقسم بالمطمئنة لأنها وصلت، بل أقسم باللوامة لأنها:

· هي التي تظهر "صدق العبد" في سعيه.
· هي التي تمثل "جهاد النفس" الأكبر.
· هي "الأمل" لكل من يريد التغيير، فهي تخبرنا أن الله يقبل التائب ولو أخطأ ألف مرة.
· هي "المرآة" التي يرى فيها الإنسان حقيقته.

الطريق إلى الكمال الإنساني) النفس المطمئنة (عبر النفس اللوامة:

الطريق إلى النفس المطمئنة يمر حتماً بالنفس اللوامة .لا قفز إلى المطمئنة دون عبور جسر اللوامة . الخطوات العملية:

.1تفعيل جهاز اللوم: أن تجعل نفسك تلومك على كل صغيرة وكبيرة، ولا تكتم صوت الضمير بـ الملهيات أو المبررات.
.2تحويل اللوم إلى خطة تصحيح: لا تكتفِ بالندم، بل اكتب: ماذا سأفعل غداً لأكون أفضل؟
.3الذكر والدعاء: اللوم وحده قد يثبط، لكن إذا صاحبه ذكر الله ودعاء "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"، يتحول إلى طاقة إيجابية.
.4الصحبة الصالحة: جالس من يذكرك بالله، ومن تلوم نفسها كما تلوم نفسك، فتجد الدعم و التشجيع.
.5الصبر على النفس: لا تيأس إذا رجعت إلى الخطأ بعد التوبة، فالترقي بطيء لكنه ثابت.

علاقة النفس اللوامة بحياة القلب وموته:

· القلب الحي: هو الذي يشعر بألم الذنب .حين يخطئ صاحبه، ينقبض قلبه، ويشعر بضيق، فيسرع إلى التوبة .هذا القلب هو الذي تسكنه النفس اللوامة.
· القلب المريض: هو الذي يشعر بالذنب لكنه يبرر ويتأخر في التوبة .هذا القلب فيه حياة ضعيفة، لكنها موجودة.
· القلب الميت: هو الذي لا يشعر بالذنب إطلاقاً، يرتكب المعاصي وكأنه يمارس أمراً عادياً .هذا القلب

لا تلومه نفسه لأنه فقد الإحساس.

العلاقة المباشرة: النفس اللوامة هي "نبض القلب الإيماني" .كلما زاد اللوم، دلّ على حياة القلب .كلما ضعف اللوم أو انعدم، دلّ على مرض القلب أو موته.

لماذا يعتبر عدم الشعور بالذنب دليلا ً على موت القلب؟

لأن الشعور بالذنب هو "رد فعل طبيعي" للروح السليمة تجاه ما يؤذيها، كما أن الشعور بالألم هو رد فعل طبيعي للجسم السليم تجاه ما يؤذيه.

· الجسم الذي يفقد الإحساس بالألم) مرض نادر وخطير (يعرض نفسه للخطر لأنه لا يشعر بالحروق أو الجروح.
· كذلك القلب الذي يفقد الإحساس بالذنب يعرض نفسه لهلاك أخلاقي وروحي، لأنه لا يشعر بالخطأ.
· إذاً، الشعور بالذنب ليس عيباً، بل هو نعمة تدل على أن قلبك لا يزال حياً .المشكلة الحقيقية هي انعدام الشعور بالذنب.

ماذا يعني أن النفس الأمارة بالسوء هي نفس انقطعت عن ربها؟

النفس الأمارة هي نفس قطعت "خط الاتصال" مع الله .لم تعد تستقبل إشارات الوحي، ولم تعد تؤثر فيها التذكرة، أصبح هوىها هو "الله" الذي تطيعه، وشهوتها هي "القبلة" التي تتوجه إليها .هذا الانقطاع ليس بالضرورة قطعاً كاملا ً) كفراً(، بل قد يكون انقطاعاً تدريجياً بسبب تراكم الذنوب وتكرار المعاصي دون توبة .فكل معصية بلا توبة تصدىء القلب، حتى يُحجب عن الله تماماً، فتتحول النفس من لوامة) تشعر بالذنب (إلى أمارة) تأمر بالسوء بلا ندم.(

متى ينتج الشر؟) تحليل ثلاثي الأبعاد(:

الشر ينتج عندما يجتمع ثلاثة عوامل:

.1انعدام الإحساس) موت الضمير(: فلا يشعر الإنسان بألم الخطأ أو أذى الآخرين.
.2استعباد الشهوة : تصبح الشهوة هي الموجه الوحيد، فلا يرى الإنسان إلا ما يشتهي، ولا يهمه حلا ل أم حرام.
.3عدم الرؤية) غشاوة البصيرة(: يُحجب عن القلب نور الإيمان، فلا يرى عاقبة الذنب، ولا يرى جلال الله، ولا يرى نفسه الحقيقية.
النتيجة: إنسان بلا ضمير، تتحكم فيه شهوته، أعمى البصيرة – هذا هو المصدر الحقيقي للشر في الأرض.

وظيفة النفس اللوامة) جهاز المناعة الروحي(:

لو شبهنا الروح بالجسد، فالنفس اللوامة هي جهاز المناعة:

· الكشف: تكشف لك عيوبك وأمراض روحك قبل أن تستفحل.
· التنبيه: تنبهك بالألم) الندم (إلى وجود خلل.
· التصحيح: تدفعك للعلاج الفوري) التوبة والعمل الصالح.(
· المناعة: كلما تدربت على الاستجابة للوم، ازدادت مناعتك ضد الذنوب مستقبلا ً.
· الاستمرارية: لا تتوقف عن العمل، فهي معك مدى الحياة، لأن الكمال لله وحده، والإنسان في حاجة دائمة للمراجعة.

الأمر الثالث) من المحور الثاني(: كيف يمكن تحويل الشعور باللوم إلى خطوات إيجابية؟
تحويل اللوم من شعور معطل إلى طاقة منتجة يتطلب خطوات عملية منهجية:

الخطوة الأولى: إعادة تسمية اللوم
بدلا ً من أن تقول في نفسك: "أنا أشعر بالذنب"، قل: "جهاز الإنذار الروحي لدي يعمل بشكل جيد" .
هذا التحويل اللغوي يحول اللوم من "عبء" إلى "نعمة".

الخطوة الثانية: قاعدة "المدة الزمنية للوم"

لا تترك اللوم يطول أكثر من 5 دقائق .استخدم أول دقيقة لاستشعار الندم، والدقائق الأربع التالية للا نتقال إلى الحل .اللوم الطويل بلا حل هو تعذيب نفس لا فائدة منه.

الخطوة الثالثة: تقنية "المحامي الداخلي"
تخيل أنك محام يدافع عن نفسك أمام قاضٍ عادل .اسأل نفسك: "ما هو التفسير المنطقي للخطأ؟ ما هي الضغوط التي أدت إليه؟"، ثم اسأل: "ما هو الحل العادل؟" .هذه التقنية تمنع انزلاق اللوم إلى جلد الذات.

الخطوة الرابعة: "التعويض الفوري"
كل خطأ يقابله عمل صالح يمحوه أو يخففه .أسرع طريقة لإنهاء اللوم هي أن تفعل فوراً شيئاً إيجابياً مضاداً:

- أخطأت في حق شخص؟ اتصل به واعتذر فوراً.
- قصرت في عبادة؟ صل ركعتين أو تصدق.
- ضيعت وقتاً؟ استثمر الساعة التالية في عمل نافع.

الخطوة الخامسة: "مفكرة الإصلاح اليومية"
خصص دفتراً صغيراً تكتب فيه:

- العمود الأول: الخطأ الذي لامني عليه ضميري.
- العمود الثاني: سببه) بموضوعية، دون تبرير.(
- العمود الثالث: خطة الإصلاح) إجراء واحد فقط.(
- العمود الرابع: تاريخ التنفيذ.

بهذا، يتحول اللوم من عاطفة عابرة إلى وثيقة عمل.

الخطوة السادسة: الفصل بين "لوم الفعل" و"لوم الذات"
كرر هذه العبارة كلما شعرت باللوم: "أنا لست خطئي، أنا إنسان تعلمت من خطئي" .لُمْ سلوكك، لا جوهرك .لُمْ فعل الأمس، لا قيمة غدك.

الخطوة السابعة: مكافأة النفس على التصحيح
بعد أن تصحح خطأك، كافئ نفسك بطريقة إيجابية) مثلا ً: استراحة قصيرة، أو نشاط تحبه .(هذا يعلم عقلك الباطن أن "تصحيح الخطأ" له مكافأة، مما يجعلك أكثر استباقية في الإصلاح في المرات القادمة.

الأمر الرابع) من المحور الثاني(: الفرق بين اللوم الإيجابي واللوم السلبي

وجه المقارنه	اللؤم الايجابى البناء	اللؤم السلبى جلد الذات
التعريف	نقد ذاتي يهدف إلى التصحيح والتعلم	تأنيب ذاتي يهدف إلى العقاب والتشفي
السؤال المحرك	ماذا أتعلم؟ كيف أصلح؟"	لماذا أنا سيء؟ لماذا أخطأت دائما؟"
محور التركيز	الفعل والخطأ	الشخص والقيمة الذاتية
اللغه المستخدمة	"أخطأت في هذا الموقف	"أنا فاشل، أنا غبي"
المدة الزمنية	قصيرة) تنتهي بالحل (	(طويلة) تمتد لأيام أو أسابيع
النتيجة السلوكية	دفع إلى العمل والتحسين	شلل وإحباط وتكرار الخطأ
المشاعر المصاحبة	مسؤولية، حزم، أمل	خزي، عجز، يأس، كراهية للذات
التأثير على المستقبل	يبني عادات إيجابية جديدة	يعزز الشعور بالفشل المستمر
علاقته بالله	يقود إلى التوبة والاستغفار	يقود إلى القنوط من رحمة الله
مثاله	"تأخرت عن الاجتماع بسبب	أنا إنسان فاشل لا يستحق

	سوء تنظيم، سأضع منبهات غداً"	العمل، لن أتغير أبداً"
خلاصة الفرق	اللوم الإيجابي يبنيك، . اللوم الإيجابي يجعلك أقوى .اللوم الإيجابي هو "النفس اللوامة" التي أقسم الله بها،	واللوم السلبي يهدمك. السلبي يجعلك أصغر. واللوم السلبي هو "تزييف شيطاني" لهذه النعمة.

خلاصة الفرق: اللوم الإيجابي يبنيك، واللوم السلبي يهدمك .اللوم الإيجابي يجعلك أقوى، والسلبي يجعلك أصغر .اللوم الإيجابي هو "النفس اللوامة" التي أقسم الله بها، واللوم السلبي هو "تزييف شيطاني" لهذه النعمة.

المحور الثالث: دلالة إبهام جواب القسم وأثره

الأمر) من المحور الثالث(: ما دلالة إبهام جواب القسم وأثره، وما الرسائل النفسية والتربوية والفكرية والعملية من هذا الإبهام؟

ما هو جواب القسم ولماذا أبهم؟

جواب القسم في الآيتين محذوف تقديره: "لتبعثن ولتحاسبنّ ولتجزنّ" .حُذف لعدة أسباب بلاغية:

· تعظيم الجواب: الأمر عظيم جداً لدرجة أن اللفظ لا يستوعبه.
· استثارة الفكر: ترك مجال للسامع ليبحث عن الجواب بنفسه.
· إطالة أمد التأثير: العقل المعلق يظل مشغولا ً بالبحث، فيطول زمن التدبر.

دلالة الإبهام(:

.1دلالة التعظيم : كلما كان الأمر أعظم، كان التصريح به أقل .فهناك أسرار لا تقال، بل تترك للإدراك.
.2دلالة الشمول : الجواب المحذوف يحتمل كل معاني الجزاء والحساب والبعث، أما لو صُرّح به لكان محدوداً.
.3دلالة التهييج العاطفي : الإنسان يتأثر بالمجهول العظيم أكثر من تأثره بالمعلوم المتوقع.

الرسائل الأربع من هذا الإبهام(:

الرسالة النفسية
إبهام الجواب يخلق في نفس المؤمن حالة فريدة هي "الخوف الممزوج بالأمل" .الخوف لأنه لا يدري ما هو الجواب المحذوف تحديداً) وإن علم إجمالا ً(، والأمل لأنه يدرك أن الله رحيم .هذه الحالة المزدوجة تمنع الإنسان من الاستقرار على شعور واحد، فيظل في حالة "استعداد دائم" .نفسياً، هذا أفضل من أن يقال له الجواب مباشرة؛ لأن المباشر قد يسبب روتيناً وملا ً، أما المبهَم فيظل محفزاً . كما أن الإبهام يُحدث "قلقاً إيجابياً"(، وهو قلق يدفع للعمل والإنجاز، وليس للانهيار.

الرسالة العقلية) الفكرية:
عقلياً، يعلمنا الإبهام ألا ننظر إلى النصوص الدينية كنصوص مغلقة، بل كنصوص مفتوحة على التأويل . ويعلمنا أن "الحقائق الكبرى" لا يمكن حصرها في عبارات .كما يدرّب العقل على "تحمل الغموض المعرفي"، وهي مهارة عقلية نادرة وقيمة، تمكن الإنسان من التعامل مع الأمور غير القطعية في الحياة بحكمة وصبر، دون انهيار أو تشدد.

الرسالة التربوية :
هذا أعظم درس تربوي في الآية: "لا تلقن المتعلم كل شيء، بل اترك له مجالا ً ليكتشف بنفسه" . المربي الناجح هو الذي يطرح سؤالا ً) القسم (ثم يسكت) يبهم الجواب (ليفكر الطالب .هذا الأسلوب يبني:

· الاستقلالية الفكرية: يعتاد المتعلم على ألا ينتظر الإجابة الجاهزة.
· فضول المعرفة: يظل يبحث لأنه لم يعطَ كل شيء.
· التفكير الناقد: يحاول أن يستنتج الجواب الأنسب.
لو أن الله صرّح بجواب القسم مباشرة، لفاتتنا كل هذه الفوائد التربوية.

الرسالة العملية :
عملياً، هذا الإبهام يعلمنا في حياتنا اليومية:

· في القيادة: لا تعط مرؤوسيك حلولا ً جاهزة، بل اطرح عليهم مشكلة واتركهم يجدون الحل.
· في التربية: لا تجب على سؤال طفلك مباشرة، بل اسأله: "ماذا تعتقد أنت؟".
· في العلاقات: لا تفترض أن الطرف الآخر يفهم كل ما تريد قوله، لكن لا تفسر كل شيء تفصيلا ً، بل اترك مساحة للحوار.
· في التعلم الذاتي: لا تبحث عن الإجابات الجاهزة فوراً، بل حاول أن تصل إليها بنفسك، فهذا يثبت المعلومة في عقلك أكثر.

ثالثاً: دلالات الآية والجوانب البلاغية والتصويرية والخواطر والتأملات

الأمر الأول: دلالات الآية وأبعادها المتعددة ودورها كمحفز لتحويل النص إلى سلوك

الدلالات المتعددة للآية:

1.الدلالة الوجودية: تؤكد أن الوجود الإنساني ليس عشوائياً، بل له غاية ومسؤولية.
2.الدلالة الأخلاقية: تضع اللوم الذاتي كأساس للأخلاق، لا الخوف الخارجي فقط.
3.الدلالة النفسية: تمنح الشرعية للصراع الداخلي، وتجعله دليل حياة وليس عيباً.
4.الدلالة التربوية: تقدم نموذجاً تربوياً يقوم على التحفيز الداخلي لا الترهيب الخارجي.
5.الدلالة الحضارية: تؤكد أن المجتمعات القوية تبدأ بأفراد يملكون ضميراً حياً ورقابة ذاتية.

دور الآية كمحفز لتحويل النص إلى سلوك:

الآية ليست مجرد معلومة تحفظ، بل هي "محرك سلوكي" يعمل عبر آلية:

1.التعظيم : عندما تعلم أن الله أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة، تتعظم هذه الحقائق في قلبك.
2.الاستشعار : تشعر بأن يوم القيامة ليس بعيداً، وبأن نفسك اللوامة ليست مجرد صوت عابر.
3.التفعيل : يتحول الشعور إلى قرار: "سأحاسب نفسي اليوم".
4.الممارسة : تبدأ فعلياً بمراجعة يومك، والاعتذار عند الخطأ، والتصحيح الفوري.

تحويل النص إلى سلوك عملياً:

· بعد قراءة الآية، خصص 5 دقائق لـ "محاسبة الذات".
· اكتب ثلاثة أخطاء لامك عليها ضميرك اليوم، وخطط لإصلاحها غداً.
· اجعل من هذه الآية ورداً يومياً، تتلوها كل صباح لتستيقظ النفس اللوامة فيك.

الأمر الثاني: خواطر الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها في حياتنا العملية

خواطر متنوعة حول الآية:

الخاطرة الأولى: "أقسم بيوم القيامة"
يا رب، يوم ستقوم فيه الأرض والجبال وتكور الشمس والقمر، يوم تعرض فيه القلوب وتنكشف الأ سرار، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .كيف أستعد لهذا اليوم؟ بكل نفس لائمة في داخلي.

الخاطرة الثانية: "أقسم بالنفس اللوامة"
إنها نفسي التي تنبض بالحياة، تشعر حين أخطئ وتتألم حين أقصر .كم كنت أظن هذا الألم عبئاً، فإذا هو شرف من الله .أشكرك يا رب على هذا الضمير الحي، فهو دليل أن قلبي لم يمت بعد.

الخاطرة الثالثة: "لا أقسم"
عجيبة هذه البلاغة! "لا أقسم" فإذا هي أشد إقساماً .كأن الله يقول: الأمر أوضح من القسم، لكني أقسم تأكيداً وتربية لكم .ما أرحمك بي يا رب حين ترفق بي في تعليمي!

الخاطرة الرابعة: "الربط بين يوم القيامة والنفس اللوامة"
لن أنتظر يوم القيامة لأحاسب، سأجعل من نفسي محكمة عدل تحاكمني كل مساء .يوم القيامة هو

الموعد، والنفس اللوامة هي البوصلة .من عرف الطريق استعد للقاء.

كيفية استشعار هذه الخواطر عملياً:

· اجلس بعد كل صلاة لحظة تأمل، وكرر الآية ببطء، ودع الخواطر تمر على قلبك.
· دون خاطرة اليوم عن الآية في مفكرة صغيرة، واربطها بموقف حصل معك.
· شارك خاطرة مع صاحب أو زميل، فالمناقشة تثبت المعنى.

الاستفادة العملية من الخواطر:

· الخاطرة الأولى تدفعك لـ "الإعداد للآخرة" بعمل الخير.
· الخاطرة الثانية تدفعك لـ "شكر الله على نعمة الضمير".
· الخاطرة الثالثة تدفعك لـ "التدبر في بلاغة القرآن".
· الخاطرة الرابعة تدفعك لـ "المحاسبة اليومية المنهجية".

الأمر الثالث: التصوير البياني للآيات وأغراضه

عناصر التصوير البياني في الآيتين:

.1تصوير القسم بـ "لا أقسم":
· هذا تصوير لحالة "التوكيد المقلوب"، حيث يُنفي الشيء ليُؤكد .كمن يقول: "والله لا أقولها" ثم يقولها بأعلى صوته .هذا التصوير يخلق في ذهن السامع "صورة المفاجأة"، فينتبه.
.2تصوير يوم القيامة:
· لم يصف الله القيامة بصفاتها المعروفة) الأرض تهتز، السماء تشقق(، بل أشار إليها فقط باسمها . هذا التصوير بـ "الإبهام المقصود" يترك للخيال مساحة لتصور عظمتها، وكل إنسان يتخيلها بما يراه مناسباً لعظمة الله.
.3تصوير النفس اللوامة:
· صورها كـ "كائن حي" يلوم .الفعل "تلوم" يوحي بحركة دائمة، كأن النفس إنسان آخر داخل الإ نسان .هذا التصوير يجعل القارئ يستشعر "انقساماً نفسياً مقدساً" بين الأنا والضمير، وكأنه في حوار داخلي مستمر.
.4تصوير الاقتران بين القيامة والنفس:
· صورة "المفارقة العجيبة"؛ حدث كوني هائل إلى جانب حدث نفسي دقيق .هذا التصوير يوحي بأن ما في داخل الإنسان لا يقل أهمية عما في خارج الكون.

أغراض التصوير البياني:

· التأثير العاطفي: الصورة أسرع إلى القلب من المعلومة المجردة.
· التثبيت في الذاكرة: الصورة تبقى أطول من العبارة الجافة.
· الإقناع بالفطرة: النفس البشرية تتأثر بالصور أكثر من البراهين المنطقية وحدها.

الأمر الرابع: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة؟

الآية تغير نظرة الإنسان للحياة تغييراً جذرياً في أربعة مستويات:

.1تغيير النظرة إلى "المصير":

· قبل الآية: الحياة تبدأ وتنتهي عند الموت، أو مصير غير واضح.
· بعد الآية: الحياة رحلة تنتهي بيوم عظيم) القيامة(، فيه جزاء دقيق .هذا يمنح الحياة "جدية" و "معنى".

.2تغيير النظرة إلى "الذات":

· قبل الآية: الإنسان مجرد جسد وشهوات ومطالب.
· بعد الآية: الإنسان يحمل في داخله "نفساً لوامة" هي أثمن ما عنده .يصبح الاهتمام بالباطن) الضمير

، النية، المحاسبة (أهم من الاهتمام بالظاهر.

.3تغيير النظرة إلى "الخطأ":

· قبل الآية: الخطأ كارثة تستدعي التبرير أو الكتمان.
· بعد الآية: الخطأ فرصة للتعلم، واللوم طريق للنمو .لا تخف من الخطأ، بل خف من الاستمرار فيه دون مراجعة.

.4تغيير النظرة إلى "الوقت":

· قبل الآية: الوقت يمضي دون معنى خاص.
· بعد الآية: كل لحظة هي فرصة للمحاسبة والتصحيح .الوقت ليس مجرد عمر، بل هو "رأس مال" يقدم للإنسان ليسأل عنه يوم القيامة.

أثر هذا التغيير على السلوك العملي:

· تصبح أكثر حرصاً على استثمار وقتك.
· تصبح أكثر شجاعة في الاعتراف بأخطائك وتصحيحها.
· تصبح أكثر سلاماً مع نفسك، لأنك تعلم أن اللوم نعمة.
· تصبح أكثر استعداداً للموت واللقاء.

الأمر الخامس: تأملات ووقفات تدبرية ودورها في إعادة تشكيل وجدان الإنسان وذهنه وسلوكه(

أولا ً: وقفات تدبرية مقترحة:

الوقفة الأولى: مع "لا أقسم"
تأمل: لماذا اختار الله هذا الأسلوب المقلوب؟ ما الذي يشعرك به؟ هل يجعلك أكثر انتباها؟ كيف يمكنك أن تستخدم هذا الأسلوب في حياتك لتأكيد كلامك؟

الوقفة الثانية: مع "بيوم القيامة"
أغمض عينيك وتخيل يوم القيامة: الأرض تبدل غير الأرض، والناس حفاة عراة، والكتب تطير، و الموازين توزن .كيف ستكون أنت في ذلك اليوم؟ ماذا تتمنى لو كنت فعلت اليوم؟

الوقفة الثالثة: مع "النفس اللوامة"
جسّد صوت هذه النفس في داخلك: كيف تلومك؟ بأي عبارات؟ هل تلومك بقسوة مفرطة أم بلطف؟ هل تستمع إليها أم تكتمها؟ ماذا لو جعلتها صديقتك لا عدوتك؟

الوقفة الرابعة: مع الاقتران
لماذا جمع الله بين أعظم حدث وأدق حدث؟ ماذا يعني أن النفس اللوامة عند الله كيوم القيامة في المنزلة؟ هل تدرك الآن قيمة صراعك الداخلي؟

ثانياً: دور هذه الوقفات في إعادة تشكيل الإنسان:

إعادة تشكيل الوجدان) البعد العاطفي(:

· الوقفات تجعلك تشعر بالرهبة والخشية في آن، فتنمو في وجدانك "مراقبة الله".
· تتحول مشاعرك من اللامبالاة إلى الاهتمام، ومن الغفلة إلى اليقظة.
· تنمو في قلبك "محبة المحاسبة" بدلا ً من الخوف منها.

إعادة تشكيل الذهن) البعد المعرفي(:

· تكتسب "عقلية التدبر" التي تبحث عن المعاني العميقة وراء الألفاظ.
· تتعلم "ربط الظاهر بالباطن" و"ربط الدنيا بالآخرة".
· تنمو لديك قدرة على "الاستنتاج والتحليل" بدلا ً من التلقي السلبي.

إعادة تشكيل السلوك) البعد العملي(:

· تبدأ تطبيق "المحاسبة اليومية" كعادة راسخة.
· تتوقف عن التبرير وتبدأ التصحيح.
· تصبح أكثر مبادرة في الإصلاح، وأقل انتظاراً لمصلح خارجي.
· تتعلم "التوازن" بين الرجاء والخوف، فلا تغتر ولا تقنط.

النتيجة النهائية:
الإنسان الذي يتدبر هذه الآية ويتأملها يومياً يتحول من "إنسان غافل منقاد لهواه" إلى "إنسان يقظ قائد لنفسه" .يصبح كالقائد الحكيم الذي يدير دولته الداخلية) نفسه (بحكمة وعدل، استعداداً للقاء الملك الأعلى.

رابعاً: أهم الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الأول: كيفية ترويض النفس وتوجيهها بلوم إيجابي

ترويض النفس ليس قمعها، بل هو تدريبها على الانضباط الذاتي بلطف وحكمة .إليك المنهج الكامل:

المرحلة الأولى: الترويض بالوعي) أسبوعان(

· ابدأ بأن تلاحظ متى تلوم نفسك، دون أن تحاول تغيير شيء.
· سجل في دفتر: في أي المواقف يحدث اللوم؟ ما هي شدته) من 1 إلى(10 ؟
· الهدف: أن تصبح "مراقباً" للومك لا "عبداً" له.

المرحلة الثانية: الترويض بالحوار) شهر(

· عندما تلوم نفسك، حوّل اللوم من صيغة اتهام إلى صيغة سؤال: بدلا ً من "لماذا أنا فاشل؟"، قل "كيف أصلح هذا الموقف؟".
· مارس "تقنية الكرسي الفارغ": تخيل أن نفسك اللوامة جالسة أمامك، تحدث معها كصديق حكيم، لا كجلاد.
· علم نفسك أن تقول: "شكراً لك على التنبيه، سأتعامل مع الأمر الآن".

المرحلة الثالثة: الترويض بالتعويض) شهر(

· ضع قاعدة: كل خطأ يقابله عمل صالح فوري .هذا يعيد توازن النفس بسرعة.
· مثال: إذا لامتك نفسك على كلمة قاسية قلتها لزوجتك، فوراً اعتذر وقدم لها خدمة صغيرة.
· بهذا تتحول الطاقة السلبية للوم إلى حركة إيجابية.

المرحلة الرابعة: الترويض بالروتين) شهر فأكثر(

· اجعل "جلسة المحاسبة" عادة يومية لا تتخلى عنها، مدتها 5 دقائق قبل النوم.
· استخدم أسئلة ثابتة: ما أجمل ما فعلت اليوم؟ ما أخطائي؟ كيف أصلحها غداً؟
· لا تتجاوز الوقت المحدد، حتى لا يتحول الروتين إلى هوس.

الفرق بين الترويض والقمع:

· القمع: تكتم صوت اللوم بالملهيات أو المبررات .النتيجة: موت الضمير.
· الترويض: تستمع للوم، تحترمه، تتعامل معه، ثم تمضي .النتيجة: يقظة ومرونة.

الأمر الثاني: ما هو النقد الذاتي البناء وفق ما تصوره الآية، وكيف يمكن تفعيل دور النفس اللوامة في حياتنا العملية دون الوقوع في جلد الذات(

تعريف النقد الذاتي البناء وفق الآية:
هو عملية يقوم بها الإنسان بنفسه، فينظر إلى أخطائه وتقصيره بعين موضوعية، بغرض التعلم و

التحسين، مع الحفاظ على تقديره لذاته وإيمانه برحمة الله .سماته:

· الموضوعية : ينظر إلى الخطأ كحدث، لا إلى نفسه كفشل.
· التركيز على الحل : يسأل "ماذا أفعل؟" لا "ماذا حدث؟" فقط.
· المدى الزمني المحدود : لا يستمر ساعات، بل ينتهي بخطة عمل.
· الاقتران بالرجاء : لا يصل أبداً إلى اليأس من رحمة الله.

كيف نفعّل النفس اللوامة دون جلد الذات؟) خطوات عملية(:

الخطوة1 : الفصل بين "الفعل" و"الذات"
كرر هذا التوكيد الإيماني: "أنا إنسان أخطئ، لكني لست خطئي .أفعالي قابلة للتغيير، لكن جوهرتي التي كرمني الله بها ثابتة" .هذا يمنع النقد من التحول إلى هدم.

الخطوة2 : قاعدة "المدة الزمنية"
امنح نفسك حق أن تحزن أو تندم، ولكن بحد أقصى 10 دقائق .بعد ذلك، قل: "وقت الانتهاء حان، الآ ن انتقل إلى الحل" .هذه القاعدة تمنع النقد من التمدد وتسميم باقي اليوم.

الخطوة3 : توثيق النقد لا تخزينه
لا تبق النقد في رأسك) فهناك يتضخم ويصبح وحشاً(، بل اكتبه .عندما تكتب: "أخطأت في كذا"، يصبح الخطأ شيئاً خارجياً ملموساً، تسهل معالجته .كما أن كتابة الحل بجانبه تعيد التوازن النفسي فوراً.

الخطوة4 : الاستعانة بـ "صديق المراجعة"
اختر شخصاً تثق به) صالحاً، حكيماً، لا قاسياً ولا متساهلا ً(، واتفق معه أن تراجع معه مرة أسبوعياً ما لامتك عليه نفسك .الصديق سيساعدك على تقييم نقدك: هل هو بناء أم مدمر؟ وسيذكرك برحمة الله إذا زاد القنوط.

الخطوة5 : لا تنقد وأمعاؤك فارغة
علمياً، الجوع والحرمان من النوم وقلة شرب المياه تزيد من حدة النقد الذاتي .لا تحاسب نفسك وأنت مجهد أو جائع أو غاضب .اختر وقتاً تكون فيه هادئاً جسدياً ونفسياً.

الفرق بين "نفس لوامة" و"جلاد الذات":

· نفس لوامة: بعد أن تخطئ، تقول "أنا آسف، سأصلح"، ثم تصلح.
· جلد الذات: بعد أن تخطئ، تقول "أنا لا قيمة لي"، ثم تنهار ولا تصلح.

الأمر الثالث: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا؟

الآية تدعونا إلى سبعة أشياء عظيمة:

.1تدعونا إلى الإيمان بالآخرة إيماناً عملياً : ليس مجرد تصديق نظري، بل إيمان يؤثر في سلوكنا اليومي، ويجعلنا نعيش وكأن القيامة غداً.
.2تدعونا إلى تفعيل الضمير : أن نجعل "النفس اللوامة" قاضياً عاماً في حياتنا الداخلية، نستمع إليها ونطيعها.
.3تدعونا إلى المراجعة الذاتية اليومية : أن نتخذ من كل نهاية يوم محطة وقفة ومحاسبة.
.4تدعونا إلى التوبة الفورية : ألا نؤجل توبتنا، لأن تأخير التوبة هو كبت للنفس اللوامة وإماتتها.
.5تدعونا إلى الصدق مع النفس : أن نعترف بأخطائنا لأنفسنا قبل أن نعترف بها للناس .التزييف الداخلي هو أكبر عدو للنفس اللوامة.
.6تدعونا إلى التوازن بين الخوف والرجاء : نخاف يوم القيامة فنعمل، ونرجو رحمة الله فنحيا ونتحرك.
.7تدعونا إلى التصحيح لا التبرير : كل طاقة كنا نستهلكها في البحث عن أعذار، نستثمرها في البحث عن حلول.

الأمر الرابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية؟

في المجال الشخصي) الذاتي(:

· أتعلم أن أكون صديقاً لنفسي، لا عدواً لها.
· أتعلم أن أراجع يومي قبل أن أنام.
· أتعلم أن شجاعة الاعتراف بالخطأ هي بداية النجاح.

في المجال العائلي:

· أتعلم كيف أربي أطفالي على المحاسبة الذاتية بدلا ً من الترهيب الخارجي.
· أتعلم أن أعتذر لزوجتي وأولادي عندما أخطئ، فهذا ليس ضعفاً بل قوة نفس لوامة.
· أتعلم أن أجعل بيتي "مدرسة محاسبة" لا ساحة اتهامات.

في المجال المهني:

· أتعلم أن أراجع عملي بنفسي قبل أن يراجعه مديري.
· أتعلم أن أطلب تقييماً صادقاً لعملي، وأتقبل النقد بفكر النقد الذاتي البناء.
· أتعلم أن المؤسسة التي تملك "نفساً لوامة") ثقافة المراجعة والتصحيح (هي التي تنجح.

في المجال الاجتماعي:

· أتعلم ألا ألوم المجتمع على مشاكلي، بل أسأل نفسي: ماذا قدمت لحل هذه المشكلة؟
· أتعلم ألا أكون إنساناً "يتفرج وينتقد" بل إنساناً "يشارك ويصحح".

الأمر الخامس: الدروس العملية من الآية في حياتنا)

الدرس الأول: "اللوم ليس عيباً، العيب هو التبرير"
أكثر الناس يظنون أن لوم النفس علامة ضعف أو اكتئاب .الآية تعلمنا عكس ذلك: النفس اللوامة مقسم بها عند الله، أي أنها شرف .العيب الحقيقي هو أن تبرر خطأك وتخدر ضميرك.

الدرس الثاني: "ابدأ بالغاية الكبرى تُصلح الوسيلة الصغرى"
لا تنشغل بمحاسبة نفسك على تفاصيل السلوك قبل أن تستحضر يوم القيامة في قلبك .من عاش همّه "اللقاء بالله"، هانت عليه مراجعة النفس.

الدرس الثالث: "لا تصلح نفسك وحدك، بل في جماعة"
الآية نزلت في سورة مكية، حيث كان المؤمنون يربون بعضهم بعضاً .لا تكتف بمحاسبة ذاتية فردية، بل اجعل لك "رفقة تذكر" يساعدونك على البقاء يقظاً.

الدرس الرابع: "كن رحيماً بنفسك في محاسبتها"
النفس اللوامة في القرآن ليست قاسية، بل هي منبه لطيف .لا تجلد ذاتك بل صحح مسارك .الرفق بـ النفس أثناء المحاسبة يضمن استمراريتها، بينما القسوة تؤدي إلى الهروب من المحاسبة كلية.

الدرس الخامس: "يوم القيامة يبدأ اليوم"
لا تؤجل الاستعداد إلى الغد .كل يوم تمر به هو يوم قيامتك الصغرى .في نهاته، تحاسب كما ستحاسب في النهاية الكبرى .اجعل كل يوم فرصة جديدة.

خامساً: مفاهيم وأبعاد وآفاق وقيم الآية

الأمر الأول: آفاق وأبعاد الآيه (

البعد الأول: البعد العقدي الإيماني
تثبت الآية أهم ركنين في الإيمان: الإيمان باليوم الآخر) القسم بيوم القيامة(، والإيمان بالقضاء والقدر مع المسؤولية الأخلاقية) النفس اللوامة تدل على أن للإنسان قدرة على الاختيار والمحاسبة.(

البعد الثاني: البعد النفسي
تقدم الآية نظرية متكاملة في "الصحة النفسية الإيمانية": فالنفس السوية هي التي تملك ضميراً حياً يلومها، وتعرف أن لومها نعمة لا نقمة، وتستطيع أن تحول هذا اللوم إلى طاقة إيجابية.

البعد الثالث: البعد التربوي
تقدم الآية نموذجاً تربوياً يقوم على "التأكيد غير المباشر") القسم بـ "لا"(، و"الاكتشاف الذاتي") إبهام جواب القسم(، و"بناء الرقابة الذاتية") النفس اللوامة.(

البعد الرابع: البعد الحضاري
تشير الآية إلى أن أي نهضة حقيقية لا تبدأ من الخارج) قوانين، شرطة(، بل من الداخل) ضمير حي، نفس لوامة .(المجتمعات التي تنتشر فيها "النفس اللوامة" هي مجتمعات قادرة على النقد الذاتي، وبالتالي على التطور والتصحيح.

البعد الخامس: البعد الأخلاقي
تؤسس الآية للأخلاق على أساس "الدافع الداخلي" لا "الإكراه الخارجي" .أعلى درجات الأخلاق هي أن تفعل الخير لأن ضميرك يلومك إن لم تفعل، لا لأنك تخاف عقاباً أو تريد مكافأة.

البعد السادس: البعد الوجودي
تجيب الآية عن أسئلة الوجود الكبرى: لماذا نحن هنا؟) لنستعد ليوم القيامة .(ما قيمة صراعنا الداخلي ؟) إنه نفس لوامة أقسم الله بها .(هل حياتنا عبث؟) لا، فهي تمهيد ليوم عظيم.(

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفوس وكيفية تطبيقها في حياتنا العملية

القيمة الأولى: قيمة المحاسبة الذاتية

· مفهومها: أن يراقب الإنسان نفسه، ويلومها على التقصير، ويصحح مسارها.
· تطبيقها عملياً: خصص دفتراً يومياً لعملية "محاسبة النفس" في نهاية كل يوم، دوّن فيه إنجازاً واحداً وتقصيراً واحداً وهدفاً واحداً للغد.

القيمة الثانية: قيمة الشجاعة الأخلاقية

· مفهومها: الشجاعة على مواجهة الذات، والاعتراف بالخطأ، والاعتذار، وطلب التصحيح.
· تطبيقها عملياً: في المرة القادمة التي تخطئ فيها بحق شخص ما، بادر بالاعتذار الفوري، مهما كلفك ذلك من شعور بالحرج .اعتبر هذا "تمريناً" على النفس اللوامة.

القيمة الثالثة: قيمة التوازن بين الخوف والرجاء

· مفهومها: الخوف من يوم القيامة يدفع للعمل، والرجاء في رحمة الله يمنع القنوط.
· تطبيقها عملياً: حين تحاسب نفسك، لا تنس أن تذكر نفسك بأن "رحمتي وسعت كل شيء" .لا تجعل محاسبتك قسوة تُخرجك من رحمة الله.

القيمة الرابعة: قيمة البصيرة

· مفهومها: القدرة على رؤية الغيب من وراء الشهادة، والآخرة من وراء الدنيا.
· تطبيقها عملياً: كلما نظرت إلى شيء في الدنيا، اسأل نفسك: كيف سينظر إليّ هذا الشيء يوم القيامة؟ هذا التدريب يبني البصيرة.

القيمة الخامسة: قيمة المبادرة

· مفهومها: ألا تنتظر من يصلحك، بل تبادر أنت بإصلاح نفسك.
· تطبيقها عملياً: لا تقل "سأبدأ من الأسبوع القادم" أو "سأصلح نفسي بعد رمضان" .ابدأ اليوم، من هذه اللحظة، بخطوة واحدة صغيرة: توبة، اعتذار، أو عمل صالح.

الأمر الثالث: المفاهيم(

المفهوم الأول: مفهوم "اليقظة الروحية"
تعريفه: حالة من الوعي المستمر بالله، وبالذات، وبالمصير .الإنسان اليقظ لا يغفل عن هدفه، ويحاسب نفسه آناء الليل وأطراف النهار .هذا المفهوم هو جوهر النفس اللوامة.

المفهوم الثاني: مفهوم "المسؤولية الفردية"
تعريفه: أن كل إنسان مسؤول عن نفسه أولا ً وأخيراً .لا ينفعه مال أبيه ولا جاه قومه يوم القيامة . والطريق إلى تحمل المسؤولية هو تفعيل النفس اللوامة داخله.

المفهوم الثالث: مفهوم "التعلم من الخطأ"
تعريفه: النظر إلى الخطأ كفرصة للتعلم، لا كارثة للنهاية .كل خطأ يحتوي على درس، والنفس اللوامة هي التي تستخرج هذا الدرس.

المفهوم الرابع: مفهوم "الغائية"
تعريفه: الإيمان بأن للحياة غاية، وأن وجود الإنسان ليس عبثاً .الغاية هي الاستعداد ليوم القيامة، و الوصول إلى الله بقلب سليم.

المفهوم الخامس: مفهوم "الرقابة الداخلية"
تعريفه: نظام رقابي ذاتي لا يحتاج إلى شرطة أو قوانين خارجية، مصدره الإيمان بالله وباليوم الآ خر، وأداته النفس اللوامة.

الأمر الرابع: كيف يمكن تحويل هذه المفاهيم إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية ً(

أولا ً: تحويل المفهوم إلى طاقة لبناء الإنسان

· عبر "برامج تدريبية" تعتمد على "المحاسبة الذاتية المنهجية".
· بإدخال "مراجعة النفس" كروتين يومي في حياة كل مسلم، مثل الصلاة.
· عبر "مناهج تعليمية" في المدارس والجامعات تدرس "فقه النفس" ومهارات النقد الذاتي.

ثانياً: تحويل المفهوم إلى طاقة لبناء المجتمع

· نشر "ثقافة المراجعة المجتمعية"؛ أي أن يكون من الطبيعي أن ينتقد المجتمع نفسه بنفسه، دون خوف أو تعصب.
· إنشاء "مجالس محاسبة مجتمعية") صورة عصرية للنفس اللوامة الجماعية (تراجع أداء المؤسسات وتقترح تصحيحات.
· إحياء مبدأ "الحسبة" بالمعنى الحديث: أن يكون لكل مجتمع هيئات رقابة ذاتية تنبع من ضمير المجتمع، لا من سلطة خارجية.

ثالثاً: تحويل المفهوم إلى طاقة لبناء الحضارة الإسلامية

· الحضارة الحقيقية هي التي تملك "قدرة على النقد الذاتي المؤسسي" .الأمم التي لا تلوم نفسها تندثر.
· بناء حضارة تزاوج بين "القيم الروحية") النفس اللوامة (و"التقدم المادي") العلم والتكنولوجيا.(
· تطبيق مفهوم "المراجعة المستمرة" في كل مؤسسات الدولة: السياسية، الاقتصادية، التعليمية.

رابعاً: صناعة التطور والنهضة والتقدم

· العامل الأول: الأفراد المصلحون : كلما زاد عدد الأفراد الذين يملكون "نفساً لوامة" في المجتمع، زادت قدرته على التطور الذاتي.
· العامل الثاني: المؤسسات المراجعة : مؤسسات تملك آليات نقد وتصحيح داخلي) إدارات جودة، هيئات نزاهة، مجالس أمناء.(
· العامل الثالث: القيادة المتعلمة : قادة يطبقون على أنفسهم ما يطبقون على غيرهم، ويستمعون للنقد،

ويصححون مسارهم.
· العامل الرابع: الإعلام الواعي : إعلام ينشر ثقافة النقد البناء، لا ثقافة التبرير أو التشهير.

الأمر الخامس: أهمية الأسلوب القرآني الذي تجسده الآية في إعداد وتأهيل وتدريب وإصلاح الإنسان)

أولا ً: أهمية الأسلوب من حيث "بناء اليقين"
الأسلوب القرآني) القسم، الاقتران، الإبهام (يبني يقيناً عميقاً في القلب، ليس يقيناً نقلياً فقط، بل يقيناً ذوقياً وشعورياً .الإنسان عندما "يشعر" بعظمة القسم، يستقر الإيمان في وجدانه.

ثانياً: أهمية الأسلوب من حيث "تحفيز العقل"
هذا الأسلوب لا يخاطب العقل البارد، بل يخاطبه بطريقة تجعله يبحث ويستنتج .العقل المدعو للمشاركة) في البحث عن جواب القسم المحذوف (يصبح أكثر التزاماً بالنتيجة من العقل الذي يُلقن فقط.

ثالثاً: أهمية الأسلوب من حيث "تربية الإرادة"
عندما يدرك الإنسان أن الله أقسم بنفسه اللوامة، يشعر بأن إرادته قادرة على التغيير، وبأن الله يؤمن بقدرته على النهوض بعد السقوط .هذا يبني إرادة قوية لا تنكسر.

رابعاً: الأسلوب القرآني كمنهج تدريبي

· مرحلة التهييج : "لا أقسم" توقع القارئ في حالة انتباه ودهشة.
· مرحلة التعظيم : القسم بالقيامة والنفس يرفع من قيمة المقسم عليه في نفس القارئ.
· مرحلة الإثارة : إبهام الجواب يدفع العقل للبحث.
· مرحلة الاكتشاف : يصل القارئ إلى النتيجة بنفسه، فتثبت.
· مرحلة الالتزام : يتحول المعنى إلى سلوك.

رسالة ختامية

أخي الكريم،

هاتان الآيتان العظيمتان ليستا مجرد كلمات في كتاب، بل هما "دستور نفس" و"منهاج حياة".

·﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾: تذكيرك بأن لك موعداً مع الله، وأن يوماً سيأتي تقف فيه وحيداً بين يديه، لا مال ولا بنون ولا شفاعة إلا بإذنه.

·﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾: طمأنة من الله بأن صراعك الداخلي لم يذهب هدراً، وأن صوت ضميرك الذي يشعرك بالذنب حين تخطئ هو أثمن ما تملك .لا تكتمه، لا تبرر، لا تغطيه بالملهيات .اسمع له، واحترمه، واتخذه صديقاً وقائداً.

مهمتك في الحياة ليست أن تكون معصوماً لا تخطئ، بل أن تكون "لوّاماً" يخطئ ثم يتوب، يقصر ثم يندم، يقع ثم ينهض، ثم يحاسب نفسه كل مساء على ما قدمت وما أخرت.

تذكر:

· كل يوم تمر به هو "قيامة صغرى"؛ في نهاته، اجلس مع نفسك دقائق، حاسبها محاسبة الراعي الرحيم، لا محاسبة الجلاد الغضوب.
· عندما تشعر بالذنب، لا تخف منه، بل اشكر الله عليه، فهو دليل أن قلبك لم يمت.
· لا تقل "أنا سيء"، بل قل "فعلت سيئاً، وسأفعله حسناً بعد اليوم".
· الآخرة تبدأ من اليوم .اجعل كل نهارك استعداداً، وكل ليلك مراجعة.

اللهم اجعلنا من أهل النفس اللوامة في الدنيا، والنفس المطمئنة في الآخرة .اللهم أرنا الحق حقاً

وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا ً وارزقنا اجتنابه.
ثانيا
تفسير قوله تعالى

}أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ{

أولا ً: تفسير الآية

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية تربط الآية بما قبلها

سورة القيامة افتُتحت بقسم إلهي عظيم: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}. هذا القسم أثار في نفس السامع ترقباً: ما هو المقسم عليه؟ ما هو الجواب الذي سينتظر هذا القسم المهيب؟

ثم جاءت الآيات التي بعدها لتفصح عن هذا الجواب المحذوف الذي كان مبهماً. فبعد أن أقسم الله بيوم القيامة والنفس اللوامة، بدأ يرد على منكري البعث من المشركين الذين كانوا يستبعدون قدرة الله على إحياء الموتى. هؤلاء المنكرون كانوا يأخذون العظام البالية، يفتتونها بأيديهم، ويقولون: "من يحيي هذه العظام وهي رميم؟" فرد الله عليهم برد حاسم قاطع.

الآيات 3 و4 هي أول رد إلهي على هذه الشبهة. والربط بين ما قبل وما بعد هو ربط بين "القسم" و "جوابه"، وبين "عظمة المقسم به" و"عظمة المقسم عليه". فقد أقسم الله بالقيامة، ثم بدأ يثبت وقوعها عبر براهين عقلية قاطعة. فالسياق يسير من "التأكيد بالقسم" إلى "الإثبات بالبرهان". وهذه طريقة قرآنية فريدة: تجمع بين إثارة المشاعر (بالقسم) وإقناع العقل (بالبرهان).

الأمر الثاني: تفسير الآية
}أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ{:

· أيحسب: أي أيظن ويتوهم ويفكر ظناً خاطئاً مبني على الجهل والغرور .والاستفهام هنا ليس طلباً لـ لإجابة، إذ لا أحد يجيب بأن الله لن يجمع عظامه سوى المنكر الجاهل .بل هو استفهام إنكاري توبيخي .معناه: كيف يتجرأ هذا الإنسان على هذا الظن الباطل؟ وكيف يظن بالله هذا الظن الذي لا يليق بجلاله وكمال قدرته؟
· الإنسان: الجنس المراد به المشرك المنكر للبعث .وقيل هو خاص بالإنسان الكافر .وقيل هو الإنسان الذي غلب عليه وصف "الجهل والظلم" .وقيل هو أُبي بن خلف أو العاص بن وائل أو الوليد بن المغيرة .والمفسرون على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .فكل من ينكر البعث أو يستبعده في أي زمان وفي أي مكان، فهو داخل في خطاب هذه الآية.
· ألن نجمع عظامه: أي أيظن الإنسان أن الله لن يقدر على جمع عظامه المتفرقة في الأرض بعد أن تموت وتتمزق وتصير رفاتاً وتراباً .والعظام ذكرت لأنها أقوى أجزاء الجسد وأصلبها، ولأنها آخر ما يبقى من الإنسان بعد الموت .والمشركون كانوا يتخذون العظام دليلا ً على استحالة البعث، لأنها تصير رميماً فلا يمكن إعادتها .فرد الله عليهم بأن جمعها أهون شيء عليه .ولفت الانتباه إلى أن من خلق العظام أول مرة قادر على جمعها مرة ثانية.
· دلالة ذكر العظام: تذكير للإنسان بأنه مجرد عظام ستفنى، لا جباراً في الأرض .وتذكير له بأن البداية كانت من عظام أيضاً، فالخلق الأول كان من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم كسا العظام لحماً . فمن قدر على هذه المراحل كلها فهو على المرحلة الأخيرة) البعث (أقدر.

}بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ{:

· بلى: حرف جواب لإثبات المنفي ونفي المثبت .معناها: ليس الأمر كما ظننت أيها الإنسان المنكر، بل نحن قادرون على جمع عظامك، بل على ما هو أدق وأصغر من ذلك ."بلى" هنا تفيد الإيجاب القاطع بعد النفي القاطع .فكأنها تقول: إنكارك مردود، وظنك باطل، وحسبانك خاطئ .نحن نفعل ما تظن أننا لا نفعله، ونزيد عليه.
· قادرين: حال من فاعل "نجمع" أو من الضمير في "نسوي" .وهذا الموضع مهم جداً .الحال في اللغة العربية تبين هيئة الفاعل أثناء وقوع الفعل .أي أن الله متصف بصفة القدرة في حال جمعه للعظام وتسويته للبنان .فهو لا يحتاج إلى أن يكتسب قدرة، بل هو قادر بذاته دائماً .ولفظة "قادرين" جمع عظمة دل على كمال القدرة .وهي نصب على الحال، والمعنى: بلى نجمعها في حال كوننا قادرين على تسوية بنانه .أي أن قدرتنا لا تقتصر على جمع الكبار، بل تمتد لخلق الصغار الدقائق.

· نسوي: التسوية لها معانٍ متعددة .أولاً: الخلق والإيجاد من العدم .ثانياً: الإحكام والإتقان و التناسب .ثالثاً: جعل الشيء مستوياً معتدلاً لا عوج فيه ولا تفاوت .رابعاً: التقويم والتعديل .فخلق البنان وإحكامه وتناسبه وتعديله هو المقصود .فالله لم يقل "نخلق" فقط، بل قال "نسوي" ليدل على الإتقان البديع .وهذا منتهى الإحكام في الخلق: تسوية كل شيء في موضعه، تسوية كل إصبع بطولها المناسب، تسوية كل مفصل بمكانه الصحيح، تسوية كل عروق وأعصاب بما يناسبها، تسوية كل بصمة على حدة.
· بنانه: هي أطراف الأصابع .وقيل الأنامل .وقيل الأصابع كلها .وأصل البَنان في اللغة: الإصبع، وجمعها بنان .قال ابن عباس: البنان: الأصابع .وقيل: هو أطراف الأصابع التي عليها الخطوط والتعرجات)البصمات .(وقد اختار كثير من المفسرين المعنى الأعم: الأصابع وما عليها من أنامل .وتخصيص البنان من بين أعضاء الإنسان له حكمة عظيمة: فهي أصغر ما في الإنسان وأدقه وأكثر استخداماً .فإذا قدر الله على تسويتها بهذا الإتقان، فهو على غيرها أقدر .وهو أبلغ في التحدي وأوضح في البرهان.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

.1تفنيد شبهة منكري البعث التي تقوم على استبعاد جمع العظام المتناثرة.
.2إثبات قدرة الله المطلقة التي تشمل الكبير) جمع العظام (والصغير) تسوية أطراف الأصابع.(
.3التحدي الإلهي المباشر للإنسان الغافل المتعالي المتكبر.
.4بيان جهل الإنسان بحقيقة قدرة الله حيث يقيس قدرة الخالق بقدرة المخلوق.
.5لفت الانتباه إلى آية الصغر) البنان (كدليل أعظم من آية الكبر) العظام (في الدلالة على كمال القدرة.
.6بيان عظمة الخلق الأول ودلالته على إمكانية الخلق الثاني) البعث.(
.7إثبات كمال علم الله وحكمته) ضمنياً في دقة التسوية.(
.8تذكير الإنسان بضعفه وأنه مجرد عظام وبنان، لا رب ولا إله.
.9إبطال الغرور الإنساني الذي يظن أنه يعلم قدرة الله أو يحدها.
.10تأسيس مبدأ "قياس الأولى" : من قدر على الأدق فهو على الأكبر أقدر.

الأمر الرابع: مغزى الآية وأسباب النزول)

أسباب النزول:
ذكر علماء التفسير أن هذه الآيات نزلت جواباً على إنكار المشركين للبعث بشكل عام، ورداً على أشخاص معينين بأسمائهم في بعض الروايات.

· الرواية الأولى: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "أتى أبي بن خلف النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل) بال(، ففته بيده وقال: يا محمد، أترى الله يحيي هذا بعد ما بلي ورمّ؟ فقال النبي: نعم، ويدخلك النار، فأنزل الله:} أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه{".
· الرواية الثانية: قال مقاتل: نزلت في العاص بن وائل، أخذ عظماً رميماً من بطحاء مكة، ففته، ثم ق ال للنبي: أترى هذا يحيى بعد ما بلي؟ فقال النبي: نعم، يحييه الله ويميتكم ثم يبعثكم، فأنزل الله هذه الآية.
· الرواية الثالثة: قيل في أمية بن خلف وكان يفعل ذلك.

والعبرة بعموم اللفظ كما هو مقرر في أصول التفسير. فالآية تتحدث عن كل من ينكر البعث أو يستبعده، حتى في عصرنا، فتدخل تحته كل ملحد أو مادي أو غافل يحسب أن الله لن يعيد الخلق.

المغزى العام للآيتين:
المغزى الأول: أن الله يعلم ما في قلوب المنكرين ويسمع أقوالهم، فرد عليهم بأقوى رد: يا من تستبعد جمع عظام بالية، انظر إلى أطراف أصابعك ترَ عجباً. كيف تستبعد من خلق هذا الإصبع الصغير بهذه ا لأسرار (العظام والمفاصل والأعصاب والبصمات) أن يعيد خلق عظامك كلها؟

المغزى الثاني: أن التفكر في خلق الإنسان، لا سيما أصغر أجزائه، يؤدي إلى الإيمان بالله وبقدرته وبالبعث. فمن أراد دليلاً على وجود الخالق وبعث الخلق، فلينظر إلى يديه وأصابعه.

المغزى الثالث: أن التحدي الإلهي مستمر لكل من ينكر البعث: أنا قادر على خلقه من جديد، فانظر وتمعن وادرس.

المغزى الرابع: أن الإنسان في غروره يظن أن تفككه هو النهاية، متناسياً أن بدايته كانت من نطفة ضعيفة، فكيف يستبعد النهاية الجديدة.

المغزى الخامس: أن تسوية البنان تحمل إشارة إلى المسؤولية الفردية، فكل بنان سيشهد على صاحبه بما فعل أو كتب أو بطش به يوم القيامة.

الأمر الخامس: أهداف وغايات ومقاصد الآية)

.1هدف إثبات البعث بالبرهان العقلي البسيط : ليس بالخبر فقط، بل بقياس مباشر: من خلق البنان الدقيق أولا ً، فهو قادر على جمع العظام الكبيرة ثانياً .أو ليس الذي خلق أولا ً بقادر على أن يخلق ثانياً؟ هذا برهان عقلي لكل إنسان مهما كان مستواه.
.2هدف تفنيد شبهة المنكرين من جذورها : لم يرد الله على المنكرين برد غامض أو بعيد، بل رد عليهم بما رأوه وشاهدوه في أنفسهم كل يوم .العظام التي يستبعدون جمعها هو يراها في جسده كل يوم قائمة منتصبة .والبنان الذي يتحدى به أراهم إياه قائماً بين أيديهم .الرد حاضر ومشاهد وملموس.
.3هدف تربية المؤمن على التفكر والتدبر : ليس الإيمان مجرد تسليم، بل هو يقين مبني على تفكر وعلم .وهذه الآيات تفتح باب التفكر في خلق الإنسان، لا سيما في التفاصيل الدقيقة التي يمر عليها الناس غافلين .فكلما رأى المؤمن يده وأصابعه، تذكر قدرة الله وعظمته، وتذكر أيضاً مسؤوليته عن هذه النعمة.
.4هدف إيقاظ الضمير الغافل والمنكر : عبر أسلوب الاستفهام الذي يزلزل الغرور البشري .فالاستفهام "أيحسب" يجعل الإنسان يقف متسائلا ً عن نفسه، ليعيد حساباته ويصحح مساره .هذا الأسلوب يوقظ حتى أقسى القلوب.
.5هدف ربط الإيمان بالآخرة بالإيمان بقدرة الله في الدنيا : كثير من الناس يؤمن بالله ولكنه يشك في قدرته على إعادة الخلق .فالآية تذكر أن من آمن بقدرة الله على خلق البنان بهذا الإتقان، فليؤمن بقدرته على البعث .إنه جسر بين "الإيمان بالله" و"الإيمان باليوم الآخر".
.6هدف تعظيم الخالق في نفوس المؤمنين : بلفت انتباههم إلى أدق صنع الله وأعجبه في خلق الإ نسان، مما يزيدهم إيماناً وتعظيماً وخشيةً ومحبة.
.7هدف تذكير الإنسان بضعفه : لئلا يتكبر أو يغتر، فكل ما فيه من قوة وعظمة هو من الله ومخلوق بالله .والعظام الضعيفة والبنان الصغير تذكره بحقيقته: إنه مخلوق هش سيفنى.
.8هدف تحفيز العمل الصالح : إذا كان الإنسان سيبعث ويحاسب على كل شيء وصولا ً إلى بنانه الذي سيشهد عليه، فهذا يدفعه إلى إحسان العمل وإتقانه وتطهير جوارحه.

ثانياً: تحليل الآية)

المحور الأول: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ}

الأمر الأول: لماذا جاءت الآية على صيغة استفهام إنكاري؟ وما الذي يعكسه هذا الأسلوب من صورة التحدي والغرور لدى الإنسان الغافل؟ وما أهمية هذا الأسلوب في التربية والتعليم؟

أولا ً: دلالة صيغة الاستفهام الإنكاري:

الاستفهام في الآية ليس لغرض الجواب. فلو سألت أحداً: "أتظن أن الله لن يبعثك؟" لقال المنكر: "نعم"، ولقال المؤمن: "لا". وليس هذا هو المطلوب.

بل الاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ والتعجيب. أي: كيف يتجرأ هذا الإنسان على هذا الظن الباطل؟ كيف يتصور أن الله الذي خلق السماوات والأرض يعجز عن جمع عظام بالية؟ أيُّ جهل هذا وأي غرور وأي تعالٍ على الله؟

وهذا الأسلوب في البلاغة القرآنية من أشد الأساليب تأثيراً في النفس، لأنه يضع المخاطب موضع التهمة ويطالبه بتبرير موقفه. الإنسان إذا سئل بـ "أيحسب" يشعر بأن هناك خطأً في حسبانه، وأن هناك من يراقب حسابه ويصححه.

ثانياً: ما الذي يعكسه هذا الأسلوب من صورة التحدي والغرور لدى الإنسان الغافل؟

هذا الأسلوب الاستفهامي يرسم صورة ثلاثية الأبعاد للإنسان المنكر:

البعد الأول: صورة التحدي الجاهل
الإنسان في هذه الصورة يقف متحدياً قدرة الله، لكن تحديه نابع من جهل مطبق بعظمة الله. كالطفل الذي يحدي الجبار! إنه يظن أن ما لا يستطيع هو فعله، لا يستطيع الله فعله. هذا قياس فاسد وغرور عظيم. فكأنه يقول: كيف يعيد الله خلق هذه العظام وأنا لا أستطيع إعادة خلقها؟ متناسياً أن الله ليس كمثله شيء.

البعد الثاني: صورة الغرور المتعالي
الاستفهام "أيحسب" يشير إلى أن هذا الإنسان يحسب ويظن ويقدر ويعقد معادلات، ولكنه يحسب على هواه لا على علم. هذا الحسبان المنفرد من دون استشارة أو هداية هو صورة الغرور: أن تعتمد على عقلك القاصر في الحكم على ما لا تطاله قدراتك. إنه يتعالى على الله كأنه نِد له.

البعد الثالث: صورة الإنكار المستكبر
ليس الإنكار هنا نابعاً من شك عقلي حقيقي، بل من كبر واستكبار عن التسليم للحق. الأسلوب القرآني يكشف هذا التكبر ويوبخه. فأداة الاستفهام "أيحسب" تحمل نبرة توبيخية واضحة: أتظن ظناً كهذا وأنت تعلم أنك مخلوق وأن الله خالقك؟ هذا لا يكون إلا متكبراً جاهلاً.

ثالثاً: أهمية هذا الأسلوب في التربية والتعليم :

هذا الأسلوب القرآن العظيم الذي خاطب به البشر، ينبغي أن يكون منهجاً لنا في تربية أولادنا وتدريس طلابنا. وإليك الأهمية تفصيلاً:

الأهمية الأولى: تحويل المتعلم من سامع سلبي إلى مفكر نشط:
عندما يُطرح سؤال أمام الطالب، لا يبقى في حالة سلبية كما لو أعطي خبراً جاهزاً. السؤال يوقظ عقله، ويدفع دماغه للبحث عن إجابة. في أسلوب "أيحسب"، الطالب هو مَن يكتشف بنفسه خطأ حسبان الغافلين، مما يثبت المعلومة في ذهنه أكثر من أي تلقين.

الأهمية الثانية: كسر حاجز الألفة والروتين التعليمي:
التكرار الممل للمعلومات يقتل الشغف. لكن أسلوب الاستفهام المفاجئ "أيحسب" يخلق صدمة معرفية إيجابية، يخرج المتعلم من الروتين إلى حالة من اليقظة والانتباه. هذه الحالة تفتح مسارات التعلم العميق.

الأهمية الثالثة: خلق حالة الحيرة المحببة للتعلم:
علماء التربية يعرفون أن "الحيرة" هي بداية التعلم. عندما يُسأل الطالب: "أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه؟" فهو يتوقف متسائلاً: لماذا يسأل الله هذا السؤال؟ كيف يحسب الإنسان ذلك؟ هل هذا الحسبان صحيح أم خاطئ؟ هذه الحيرة تدفعه للبحث عن الجواب، وعندما يجده يثبت عنده.

الأهمية الرابعة: تدريب المتعلم على النقد الذاتي:
الاستفهام هنا ليس موجهاً إلى الآخر فقط، بل يمكن لكل إنسان أن يوجهه لنفسه: "أيَحسبُ ألن يُبعث؟ " و"أيَحسب أن الله غافل عنه؟". هذا يعلم الطالب كيف ينقد نفسه ويصحح مسار فكره وسلوكه بنفسه.

الأهمية الخامسة: التربية بالاستفهام لا التلقين:
كان النبي صلى الله عليه وسلم أعظم معلم، وكان أسلوبه أن يكثر من السؤال: "أتدرون من المفلس؟ أتدرون من الغني؟ أتدرون ما العدل؟". وهذا الأسلوب نابع من القرآن. التربية الحقيقية ليست حشواً للمعلومات، بل هي تدريب على التفكير النقدي من خلال الأسئلة المحفزة.

الأمر الثاني: لماذا ركز الله على العظام تحديداً في معرض الرد على المنكرين؟

هذا السؤال يحتاج إلى تفصيل وافٍ لأنه مهم جداً لفهم أسلوب القرآن في الجدال.

السبب الأول: أن العظام كانت أداة الإنكار نفسها:
المنكرون لم ينكروا البعث نظرياً فقط، بل كانوا يأتون بعظم رميم بال، يفتته بأيديهم ويقولون: "من يحيي هذه العظام وهي رميم؟". فجاء الرد القرآني بذكر نفس الأداة التي اتخذوها دليلاً على الإنكار، وحولوها إلى دليل على الإثبات. أيها المنكر: هذه العظام التي تتخذها حجة علي، سأجعلها حجة لك، وسأجمعها من جديد.

السبب الثاني: أن العظام تمثل أقصى درجات التفكك والموت:
في التصور البشري، أقصى مراحل الموت والفناء هي أن يصير الجسد عظاماً بالية ثم رفاتاً ثم تراباً. فإذا كان الله قادراً على جمع العظام بعد هذا التفكك المدقع، فهو على ما هو أسهل من ذلك (مثل جمع لحم أو جلد) أقدر. العظام هي "رمز الصعوبة" في مفهوم الناس، فأتى الرد الإلهي ليظهر أن هذه الصعوبة المزعومة ليست صعوبة عنده.

السبب الثالث: أن العظام هي أصل البنية وأقوى الأجزاء:
خلق الإنسان بدأ من عظام، ثم كسيت لحماً. والعظام هي الإطار الذي يقوم عليه الجسد. فذكرها يذكر الإنسان بأصل خلقه، وبأن هذه العظام التي يفخر بقوتها ورزانتها هي في الحقيقة ضعيفة أمام قدرة الله، تفنى وتذوب ثم يجمعها الله مرة أخرى.

السبب الرابع: أن العظام أطول الأعضاء بقاءً بعد الموت:
اللحم والجلد يذهبان سريعاً، لكن العظام تبقى سنين طويلة. ولذلك صارت العظام مثار شبهة للمنكرين: كيف يعيد الله خلق شيء بقي زمناً طويلا ً ثم تآكل وتفرق؟ فجاء الرد بأن العظام وإن تفرقت، فعند الله مجموعة محفوظة.

السبب الخامس: أن العظام تشير إلى مبدأ "الخلق من العدم":
أول مرة خلق الله الإنسان، لم يكن هناك عظام ولا لحم. خلق من لا شيء. فإذا كان خلق العظام أول مرة من العدم ممكناً، فإعادة جمعها بعد تفرقها أهون. فذكر العظام هنا يربط بين الخلق الأول والخلق الثاني.

السبب السادس: أن العظام تعطل منطق المنكرين القائم على المشاهدة:
المنكرون يقولون: "لا نرى بعثاً، إذن لا بعث". والقرآن يقول لهم: العظام التي ترونها متفرقة لا تدرون أين ذهبت، هي عند الله مجموعة. فالإيمان بالبعث يتطلب الانتقال من عالم الشهادة إلى الإيمان بـ الغيب. والعظام هي ذلك الجسر.

الأمر الثالث: {أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ} ودلالة الاستبعاد عند المنكرين، وكيف يؤثر اليقين بالوقوف بين يدي الله على تعاملات الإنسان المسلم؟

أولا ً: دلالة الاستبعاد في نفس الإنسان المنكر:
المنكر لا ينكر وجود الله غالباً، بل ينكر "قدرة الله على البعث"، أو ينكر "إرادة الله للبعث"، أو ينكر "حكمة الله في البعث". الاستفهام "ألن نجمع" يكشف عن هذا الاستبعاد بطبقاته:

طبقة أولى: استبعاد القدرة: يظن أن الله لا يقدر على جمع العظام لأنه يقيس قدرة الخالق بقدرة المخلوقين. يقول في نفسه: نحن البشر لا نستطيع جمع عظام متفرقة، فالخالق -كذلك- لا يستطيع. وهذا خطأ فادح.

طبقة ثانية: استبعاد الإرادة: يظن أن الله وإن كان قادراً، لكنه لا يريد البعث لأنه عبث أو لأنه لا فائدة منه. وهو لا يعلم أن مشيئة الله لا تسأل، ولكنه أيضاً يجهل الحكمة العظيمة من البعث.

طبقة ثالثة: استبعاد الحكمة: يظن أن البعث ليس حكيماً، لأنه لو كان هناك بعث وحساب، لرأينا الناس يجزون في الدنيا. يجهل أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخير الجزاء إلى يوم القيامة ليتميز المؤمن من الكافر بالغيب.

ثانياً: كيف يؤثر اليقين بالوقوف بين يدي الله على تعاملات الإنسان المسلم (استشعار المسؤولية و الفاعلية الإيجابية):

هذا مطلب مهم طلبت تفصيله. ويقين المؤمن بأنه سيقف بين يدي الله يوم القيامة له تأثيرات عميقة على سلوكه، تحوله إلى "إنسان فاعل إيجابي" كما يلي:

التأثير الأول: يقظة الضمير والرقابة الذاتية (التأثير النفسي):
المؤمن الذي استقر في قلبه أنه سيقف بين يدي الله لا يحتاج إلى رقيب شرطي أو كاميرا مراقبة. هو نفسه رقيب نفسه، لأنه يعلم أن الله يراه ويسمعه ويعلم سره وعلنه. هذا الشعور الدائم بالمراقبة ا لإلهية يجعله في حالة "يقظة دائمة". وعندما يهم بفعل شيء، يسأل نفسه: "هل سأرضى بهذا الموقف بين يدي الله؟ هل سأستطيع النظر في وجه ربي وأنا أفعل هذا؟". هذا السؤال الداخلي هو أعلى درجات الرقابة.

التأثير الثاني: تحويل الخوف من الموت إلى طاقة بناء وعمل (التأثير النفسي - العقلي):
كثير من الناس يخافون الموت فيعطلهم الخوف، يعيشون في حالة رعب وقلق. أما المؤمن العارف ب الله، فيخاف من الموقف بين يدي الله وليس من الموت نفسه. وهذا الخوف ليس مشللا ً، بل محرك. هو الخوف الذي يدفعه إلى العمل الصالح، وإلى إتقان عمله، وإلى التوبة من ذنوبه. يتحول الخوف إلى "طاقة إيجابية" تجعله أكثر إنتاجية، لا أقل. المثل: خوف الطالب من الامتحان يجعله يدرس أكثر، لا يتوقف عن الدراسة. كذلك خوف المؤمن من لقاء الله يجعله يبذل أكثر في طاعته وأخلاقه.

التأثير الثالث: ضبط السلوك بالجزاء وليس بالخوف الدنيوي (التأثير الأخلاقي العملي):
الإنسان الذي لا يؤمن بالآخرة قد لا يسرق لأنه يخاف الشرطة أو القانون. لكنه عندما تكون الفرصة مواتية ولا شرطة ولا رقيب، قد يسرق. أما المؤمن المستيقن بالجزاء، فهو يعلم أن الله رقيبه في كل مكان وزمان، وأنه لا يختفي عنه. فهو لا يحتاج إلى شرطة ليعدل ولا إلى قوانين ليصدق. هذا الضبط الداخلي هو أعلى مراتب السلوك الأخلاقي.

التأثير الرابع: الاستقامة في السر والعلن (التأثير السلوكي العملي):
الكثير من الناس لهم وجهان: وجه أمام الناس ووجه آخر وراء الأبواب المغلقة. المؤمن المستحضر للقاء الله، يعلم أن سريرته عند الله علانية. فلا يختلف سلوكه في الخفاء عنه في العلانية. هذه الا ستقامة تجعله شخصاً موثوقاً به، قائداً في مجتمعه، إنساناً لا ينافق ولا يخادع.

التأثير الخامس: التعامل الحسن مع الناس بدافع المسؤولية (التأثير الاجتماعي العملي):
الإيمان باللقاء يجعله شديد الحرص على حقوق الناس. يعلم أنه سيسأل يوم القيامة عن كل درهم أين اكتسبه وأين أنفقه، وعن كل جار حقه، وعن كل مظلوم صرخة. هذا يجعله كريماً، عادلا ً، متسامحاً، مبادراً بالخير. وكل هذه الصفات تجعل منه "عنصراً فاعلا ً إيجابياً" في محيطه، لأنه ليس سلبياً ينتظر من يوجهه، بل هو مبادر بإحسانه.

التأثير السادس: الأمل والصبر في مواجهة الشدائد (التأثير النفسي والوجودي):
عندما يمر المؤمن بمحن الحياة (فقر، مرض، ظلم)، لا ينكسر، لأنه يعلم أن هذه الدنيا ليست النهاية. عنده أمل بثواب الله في الآخرة، وأمل بعدالة الله هناك. هذا الأمل يمنحه طاقة للصبر والتحمل و العمل والإنتاج، لا للانهزام والخمول.

الخلاصة في نقطة واحدة: اليقين باللقاء الإلهي ليس مهدئاً للأعصاب فقط، بل هو أعظم محرك للطاقة الإنتاجية والأخلاق الفاعلة، لأنه يمنح الحياة هدفاً ويجعل كل عمل له قيمة أبدية. الإنسان الفاعل إيجابياً هو الذي يعمل كأنه يرى الله.

الأمر الرابع: دلالة "حسبان الإنسان" (الظن والغرور)، واستبعاد البعث في وقتنا الحالي

أولا ً: دلالة "أيحسب" في كشف الغرور الإنساني:
الفعل "يحسب" يدل على ظن يخالطه تقدير وحساب. الإنسان لا يظن فقط أن الله لن يجمعه، بل "يحسب" أي يقدر ويحسب حساباً. إنه يجري معادلة ذهنية: العظام تفرقت + العظام بليت = لا يمكن جمعها. هذه المعادلة صحيحة في عالم البشر، لكنها خاطئة في حق الله. والغرور في "الحسبان" هو أن الإنسان يضع نفسه في مقام من يحاسب الله ويقدر قدرته. كأنه يقول بقدر عقله المحدود: هذا ممكن، هذا غير ممكن. وهذا غرور فاحش.

ثانياً: استبعاد البعث في وقتنا الحالي: هل هو إنكار للقدرة أم تكذيب للوعد؟

في عصرنا الحالي، توجد عدة أنماط من الناس بالنسبة لمسألة البعث:

النمط الأول: الملحد المادي:
هذا لا يؤمن بوجود إله أصلا ً، فمن باب أولى لا يؤمن بالبعث. بالنسبة له، استبعاد البعث ناتج عن إنكار القدرة (لأنه لا يعترف بوجود قادر) وتكذيب للوعد (لأنه لا يعترف بوجود واعد). لكن الآية الكريمة تخاطبه من حيث المبدأ: لو كان هناك خالق، أفلا يقدر على البعث؟ وهو في هذه الحالة يرد على نفسه لأنه لا يعترف بالأساس. لكن بعض الملحدين اليوم يجادلون بأن "القوانين الفيزيائية تمنع إعادة تكوين الجسد بعد التحلل"، فنرد عليهم بأن خالق القوانين الفيزيائية لا تخضع لقوانينه. الآية تظل حجة عليهم حتى لو لم يؤمنوا.

النمط الثاني: المؤمن النظري الغافل:
هذا يؤمن بالله والبعث نظرياً، لكنه في سلوكه العملي "يحسب" أنه لن يبعث. يعيش كأن القيامة لن تقوم، يظلم، يغش، يكذب، يأكل الحرام، ويتجاهل حقوق الناس. استبعاده ليس عقلياً بل سلوكياً. والآية تخاطبه أيضاً: كيف تحسب أنك لن تبعث وأنت تظلم وتعتدي؟ هذا الحسبان هو غرور وعصيان.

النمط الثالث: المشكك الذي استعصى عليه التصور:
هذا إنسان نشأ في بيئة مادية، صعُب عليه أن يتصور إعادة خلق الجسد بعد أن يتحول إلى تراب وعناصر كيميائية متفرقة. ليس لديه عداء للإيمان، لكن عقله لا يستطيع تصور الآلية. الآية ترد عليه بـ البرهان العملي: انظر إلى خلقك الأول، وإلى تسوية بنانك، تجد أن إعادة الخلق أسهل على الله من الخلق الأول.

الخلاصة: الآية تتسع لكل الأزمان، وتخاطب كل من يستبعد البعث أو يغفل عنه أو ينكره، سواء كان إنكاره نابعاً من مادية علموية أو من غفلة عملية أو من مجرد ضعف تصور.

المحور الثاني: {بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}

الأمر الأول: دلالات الرد الرباني بـ "بَلَى)

كلمة "بلى" من أقوى كلمات الإثبات في اللغة العربية. ولها دلالات عظيمة في هذا السياق.

الدلالة الأولى: إبطال الظن وإثبات النقيض:
"بلى" تأتي رداً على نفي، فتنفي ذلك النفي وتثبت ضده. الإنسان قال في نفسه أو بقوله: "لن يجمع الله عظامي". فنزل الرد الإلهي: "بلى" (أي سيجمعها). إنها كلمة تزلزل أركان الإنكار، وتهدم ما بناه المنكر من شبهات. كمن يقول: "لن تشرق الشمس غداً" فيرد عليه قائل: "بلى ستشرق". كلمة واحدة تهدم جداراً من الإنكار.

الدلالة الثانية: القطع والحسم:
"بلى" تفيد القطع. لا ترديد فيها، ولا شك، ولا احتمال. هي جواب جازم يقطع الطريق على كل مراء وجدال. كأن الله يقول: انتهى الأمر، لا مجال لشكك، أنا قادر، وسأفعل.

الدلالة الثالثة: الانتقال من النفي إلى الإثبات بقوة:
أداة "بلى" في العربية تفيد الانتقال من نفي إلى إثبات، لكن ليس أي إثبات، بل إثبات قوي مؤكد. كأن الله يقول: ليس الأمر كما تظن، بل الحق خلاف ظنك تماماً. وكلمة "بل" لوحدها تفيد الإضراب، لكن "بلى" تجمع بين الإضراب والإثبات معاً، فمعناها "بل وأيضاً أنا سأفعل".

الدلالة الرابعة: الرد بأدب وحزم:
لم يقل الله "كذبت" أو "أخطأت"، بل قال "بلى". هذه كلمة أدبية رفيعة، تجمع بين الرد الحازم واحترام المخاطب. كأن الله يقول: "أنا لا أريد أن أجرحك، لكني أريد أن أصحح خطأك بألطف أسلوب وأحزمه". وفي هذا تعليم لنا كيف نرد على من يخطئ في حقنا أو حق ديننا.

الدلالة الخامسة: التوكيد بما بعدها:
بعد "بلى" أتى "قادرين" في حال النصب للتوكيد. فالتوكيد يتوالى: "بلى" إيجاب جازم، و"قادرين" حال مؤكدة للقدرة. والمعنى: ليس فقط سنجمع، بل نحن قادرون على الجمع وقادرون على الأكثر.

أهمية هذا الأسلوب في التربية والتعليم:

في التربية، عندما يخطئ الطالب أو المتلقي في فهمه، لا ينبغي أن يكون الرد قاسياً (مثلاً: "خطأ"، "أنت جاهل")، بل ينبغي أن يكون رداً مؤدباً ولكنه حازماً مثل "بلى" في معناها. التعبيرات مثل: "ليس الأمر كذلك، بل الصواب هو..." أو "ما قلته غير دقيق، والصحيح أن..." تحقق هدف الرد على الخطأ دون إذلال المخطئ. وهذا من رقي أسلوب القرآن.

الأمر الثاني: {قَادِرِينَ} (الحال) ودلالات كمال القدرة

أولاً: لماذا جاءت "قادرين" حالاً؟:
الحال كما تعلم تبين هيئة الفاعل أثناء الفعل. أي أن الله لا يتصف بالقدرة في وقت ويخلو منها في وقت، بل قدرته ملازمة له، وهو في كل وقت متلبس بها. فحين يجمع العظام، هو متصف بالقدرة.

وحين يسوي البنان، هو متصف بالقدرة. ولو كان الفعل "سنقدر" لكان وعيداً بالمستقبل، لكن "قادرين" حال تدل على أن القدرة صفة أزلية أبدية لا تنفك عن الله.

ثانياً: دلالات كمال القدرة في الآية:

· القدرة على الكبير) جمع العظام (: أول دليل على كمال القدرة.
· القدرة على الصغير) تسوية البنان (: دليل أبلغ وأقوى.
· القدرة على الخلق والإعادة : فالمقدر عليه هو الخلق والبعث معاً.
· القدرة على الإحكام والإتقان : التسوية تدل على قدرة لا تقتصر على الوجود، بل تمتد للإحكام و التناسب.
· القدرة المطلقة غير المحدودة : صيغة "قادرين" بصيغة الجمع الدالة على العظمة، والنصب على الحال الدالة على الاستمرار.

ثالثاً: كيف يؤثر التفكر في قدرة الله وعظمته في نفس الإنسان

التفكر في قدرة الله التي تتجلى في خلق الإنسان له آثار عميقة على نفس المؤمن:

الأثر الأول: انكسار الغرور البشري:
عندما يتأمل الإنسان جسده، يجد نفسه مخلوقاً ضعيفاً. خلقه الله من نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظاماً، ثم كسا العظام لحماً. هذا المسار يذكره بحقيقة بدايته الضعيفة، فينكسر غروره. كيف يتكبر من كان نطفة، وكيف يتجبر من مصيره العظام البالية. هذا الانكسار ليس مهانة، بل هو تحرر من وهم العظمة، مما يجعله عبداً لله لا عبداً لنفسه.

الأثر الثاني: تعظيم الخالق في القلب:
كلما رأى الإنسان إصبعاً من أصابعه وتأمل في خلقها، تعظم عنده خالق هذا الإصبع. من قدر على خلق هذا البنان الصغير بهذه الدقة والأسرار، فهو أعظم مما يظن العباد. التعظيم يتبعه الخشية، و الخشية تتبعه الطاعة. فالتفكر في القدرة يبني إيماناً قوياً.

الأثر الثالث: اليقين بالبعث:
هو أثر مباشر للآية. فإذا كان الله قادراً على خلق البنان أول مرة، فهو قادر على جمع العظام ثاني مرة. بل إعادة الخلق أهون من بدء الخلق. هذا اليقين بالبعث هو ثمرة التفكر في قدرة الله على خلق الإنسان.

الأثر الرابع: الشعور بالمسؤولية:
من كان على يقين أنه سيبعث ويحاسب، فإنه يستشعر المسؤولية في كل أعماله. خصوصاً إذا علم أن بنانه (يديه وأصابعه) سيشهد عليه يوم القيامة بما عمل. هذا الشعور يدفعه لاستثمار يديه فيما يرضي الله، لا فيما يسخطه.

الأثر الخامس: الطمأنينة والسكينة:
من عرف قدرة الله وعظمته، اطمأن قلبه. لأنه يعلم أن الله على كل شيء قدير، فإذا ابتلي علم أن الله قادر على كشف البلاء، وإذا حزنه أمر علم أن الله قادر على تفريج همه. هذه الطمأنينة تجعله متزناً نفسياً لا تقلقه الدنيا.

الأمر الثالث: {نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} دلالات التسوية ومعناها الإعجازي

أولا ً: معنى التسوية في اللغة والاصطلاح:
التسوية مصدر سوى يسوي تسوية. وهي تأتي بمعان متعددة:

.1الخلق والإيجاد : لأن من سوى الشيء فقد أوجده مستوياً متناسباً.
.2الإحكام والإتقان : تسوية الشيء تعني جعله محكماً لا خلل فيه.
.3التناسب والتعديل : جعل الأجزاء متناسبة مع بعضها.
.4التقويم : جعل الشيء معتدلا ً قويماً.
.5التصوير : تشكيل الشيء على صورة معينة.

في الآية، تحمل التسوية كل هذه المعاني: خلق للبنان من عدم، وإحكام لخلقه، وتناسب بين أصابعه ومفاصله، وتقويم لشكله وهيئته، وتصوير على الصورة التي نراها.

ثانياً: لماذا خص الله البنان (أطراف الأصابع) بالتسوية؟

هذا سؤال محوري طلبت تفصيله، وفيه إجابة تعجيزية وإعجازية:

السبب الأول: البنان أصغر ما في الإنسان وأدقه:
لو أراد الإنسان أن يدل على قدرة خالق عظيم، فسيذكر أعظم المخلوقات: السماوات، الأرض، الجبال. أما القرآن، فيذكر أصغر ما في الإنسان: أطراف أصابعه. وهذه عظمة إلهية: من خلق هذا الأدق بهذا ا لإتقان، فهو على ما هو أكبر أقدر. هذه طريقة "الإعجاز بالصغر" أو "الاستدلال بالأدق على الأعظم".

السبب الثاني: البنان هو الأكثر استخداماً في الخير والشر:
الأصابع هي أدوات الإنسان في كل شيء: يكتب بها، يأكل بها، يبني بها، يبطش بها، يظلم بها، يعدل بها. وتخصيص البنان بالتسوية في معرض البعث يشير إلى أن هذه الأصابع ستشهد على صاحبها يوم القيامة. وما خلقها الله بهذا الإتقان إلا لتكون أداة مسؤولية، لا أداة عبث.

السبب الثالث: التفرد والتميز (البصمات):
في زمن نزول القرآن، لم يكن أحد يعلم أن أطراف الأصابع تحمل بصمات فريدة لكل إنسان. لكن الله الذي خلق البنان وسواه، يعلم هذه الأسرار. فإشارة التسوية تشمل هذه البصمات الفريدة. وكلما تقدم العلم، اكتشف المزيد من أسرار هذا "البنان" الصغير. وهذا دليل إعجازي قوي جداً.

السبب الرابع: التعقيد الشديد مع صغر الحجم:
كل إصبع (عدا الإبهام) يحتوي على ثلاث عظام (سلاميات) متصلة بمفاصل دقيقة جداً. ويحتوي على أوتار وعضلات وأعصاب تتحكم في حركته بدقة بالغة. وهذا التعقيد موجود في حجم صغير جداً (أطراف الأصابع). وهذا الخلق المعجز يُظهر قدرة الله الخارقة.

السبب الخامس: الإبهام كمعجزة إضافية:
الإبهام له عظمان فقط (لا ثلاث) وحركته مخالفة لبقية الأصابع. حركة مقابلة للإصبع. هذه الحركة هي ما ميز الإنسان عن سائر الحيوانات، وجعلته قادراً على الإمساك والصنع. وهذا "عدم التساوي" بين الإ بهام وسائر الأصابع هو في الحقيقة "تسوية" من نوع خاص. فلو كان الإبهام كباقي الأصابع (ثلاث س لاميات وحركة محدودة)، لما استطاع الإنسان أن يمسك بالقلم أو الأداة. فالتسوية هنا تعني جعل كل شيء في موضعه المناسب لا المساواة الحسابية.

ثالثاً: الإعجاز العلمي في تسوية البنان):

هذا من أعظم أبواب الإعجاز في القرآن، وفيه من البراهين على صدق الرسالة ما لا يحصى.

الحقيقة العلمية الأولى: تفرد البصمات:
اكتشف العلماء في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أن بصمات أطراف الأصابع فريدة لكل إنسان. لا يمكن أن تتطابق بصمة شخص مع بصمة شخص آخر، حتى لو كان توأماً متماثلا ً تماماً (متطابق الجينات). وهذه البصمات تتكون في الشهر السادس من الحمل ولا تتغير مدى الحياة. هذا التفرد لم يكن معروفاً عند نزول القرآن. فالذي أخبر بأن الله "يسوي البنان" بهذا الإتقان، هو الذي يعلم أن كل بنان له تسويته الفريدة التي لا تشبه أي تسوية أخرى. فالإشارة الخفية في الآية إلى هذا التفرد تعتبر إعجازاً علمياً بليغاً.

الحقيقة العلمية الثانية: التركيب التشريحي الدقيق:
البنان (أطراف الأصابع) تحتوي على أعلى كثافة من النهايات العصبية في جسم الإنسان. طرف الإصبع الواحد يحتوي على آلاف من المستقبلات العصبية التي تستشعر الحرارة، البرودة، الضغط، الألم، الملمس. هذه الشبكة العصبية الدقيقة المعقدة في حجم صغير جداً تظهر إعجازاً في الخلق. القرآن وصف هذا الإتقان بـ "التسوية". والتسوية تعني الإحكام والتناسب، وهذا ما يراه العلماء اليوم تحت المجهر.

الحقيقة العلمية الثالثة: لا يمكن مساواة الإبهام (الإعجاز الخاص):
ما ذكرته في طلبك عن أنه "لا يمكن مساواة الإبهام" يشير إلى حقيقة تشريحية: الإبهام هو الإصبع الوحيد الذي له عظمان فقط (السلامية القريبة والبعيدة) بينما لبقية الأصابع ثلاث عظام. وحركة الإ بهام هي الحركة المقابلة التي تجعله يلامس أطراف الأصابع الأخرى، وهذه الحركة هي ما ميز الإ نسان. هذا عدم المساواة الظاهري بين الإبهام وغيره من الأصابع هو في الحقيقة عين التسوية الإ

إلهية. فلو ساوى الله بين الإبهام وغيره، لتعطلت وظيفة اليد. فـ "تسوية البنان" تعني جعل كل شيء في محله بما يناسبه، لا جعل كل شيء متطابقاً.

كيف تكشف هذه الحقائق صدق الرسالة المحمدية؟:

هذا السؤال مهم جداً: كيف أن هذه الاكتشافات العلمية الحديثة (البصمات - التعقيد العصبي - خصوصية الإبهام) تثبت أن القرآن من عند الله؟

وجه الإثبات الأول: الإخبار بالغيب العلمي:
محمد صلى الله عليه وسلم عاش في بيئة أمية لا تعرف هذه الأسرار. لم يكن لديه ميكروسكوب ليرى خلايا البنان، ولا مختبراً ليكتشف تفرد البصمات. فكيف أخبر بأن الله "سوى البنان" تسوية محكمة دقيقة؟ كيف عرف أن في هذا البنان الصغير من الإتقان ما يصلح أن يكون دليلا ً على البعث؟ هذا لا يمكن أن يكون إلا وحياً من الله خالق البنان.

وجه الإثبات الثاني: عدم التناقض مع العلم:
القرآن نزل قبل 1400 سنة، ومع تقدم العلم، لم يكتشف العلماء أي خطأ في هذه الآية. بل على العكس، كلما تقدم العلم، زاد إعجازه. فكيف يكون كتاباً من عند بشر، والبشر خطاؤون؟ كيف لم يخطئ في وصف شيء بهذه الدقة لم يكن معروفاً وقتها؟ هذا دليل على أنه وحي من الله.

وجه الإثبات الثالث: دقة التعبير القرآني:
التعبير بكلمة "نسوي" بدلا ً من "نخلق" هو تعبير دقيق علمياً. فخلق البنان لا يقتصر على الإيجاد، بل يشمل الإحكام والتناسب والتفرد. فلو قال "نخلق" لفات هذا المعنى. وهذا يدل على أن المتكلم بهذه الآية هو من يعلم حقيقة التسوية، وهو الله سبحانه.

وجه الإثبات الرابع: ربط الإعجاز العلمي بالغرض الأساسي للآية:
الغرض من الآية هو إثبات البعث. فالله يقول: إذا كنت قادراً على هذا البنان الدقيق، فأنا قادر على بعثك. فالعلم الحديث أظهر مقدار الإعجاز في خلق البنان، مما يجعل برهان الآية أقوى وأقوى. كل اكتشاف جديد يزيد الآية قوة وصدقاً. وهذا لم يكن ممكناً لو كان القرآن من عند بشر، لأن البشر لا يخبرون عن أمور لم تكتشف بعد إلا إذا كانوا أنبياء مرسلين.

الأمر الرابع: لماذا تقوم البراهين في القرآن على ثلاثة أصول (كمال القدرة - كمال العلم - كمال الحكمة)؟

هذا سؤال تأسيسي عميق فهذه الأصول الثلاثة هي الأسس التي يقوم عليها الرد على منكري البعث في القرآن كله.

الأصل الأول: كمال القدرة (ظاهر في آيتنا: {قَادِرِينَ}):
المنكرون كانوا يشكون في قدرة الله على جمع العظام وإعادة الخلق. فرد الله عليهم بإثبات كمال قدرته: من خلق العظام والبنان أولا ً فهو قادر على إعادة خلقها ثانياً. بل هو قادر على أضعاف أضعاف ذلك. والقدرة الإلهية مطلقة غير محدودة، لا يعجزها شيء في السماوات ولا في الأرض. وكل من ينكر البعث على أساس أنه "صعب" أو "مستحيل" فهو يجهل كمال قدرة الله.

الأصل الثاني: كمال العلم (غير مذكور في آيتنا ولكنه لازم عقلا ً ومنصوص عليه في آيات كثيرة):
لو شك إنسان في قدرة الله، فقد يرد عليه بقدرة الله. لكن بعض المنكرين شكوا في علم الله: كيف يعلم أين تفرقت العظام؟ كيف يميز بين العظام المتشابهة؟ فرد الله: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}. فمن خلق الإنسان فهو يعلم كل شيء عنه، حتى البصمات الفريدة التي تفرق بين شخص وآخر. وكمال العلم الإلهي يعني أنه لا يخفى عليه شيء، مهما دق أو صغر أو تفرق.

الأصل الثالث: كمال الحكمة (وارد في الآية التالية: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}):
بعض المنكرين لا يشكون في قدرة الله ولا في علمه، لكنهم يشكون في حكمة البعث: لماذا يبعثنا الله ؟ لماذا نحاسب؟ هذا ليس في مصلحته. فرد الله عليهم بأنه حكيم، ومن حكمته أن يبعث الخلق ليحاسبهم، ليميز الخبيث من الطيب، ويكافئ المحسن و يعاقب المسيء. فترك الناس سدى (بلا حساب ولا عقاب) لا يليق بالحكيم. فكمال الحكمة يوجب البعث.

لماذا اجتمعت هذه الأصول الثلاثة في الرد على منكري البعث؟:

لأن منكري البعث - قديماً وحديثاً - ينقسمون إلى ثلاث فرق:

الفرقة الأولى: تشك في قدرة الله. تقول: كيف يعيد الله خلق هذه العظام وقد تفرقت واختلطت؟ الآ ية ترد بكمال القدرة: أنا قادر.

الفرقة الثانية: تشك في علم الله. تقول: كيف يعرف الله أي العظام لي وأيها لغيري؟ الآيات الأخرى ترد بكمال العلم: أنا أعلم.

الفرقة الثالثة: تشك في حكمة الله. تقول: لماذا البعث أصلا ً؟ ما الفائدة؟ الآية التالية ترد بكمال الحكمة: أنا حكيم، ولا أخلق شيئاً عبثاً.

فالقرآن أقام الحجة على كل منكر من أي زاوية هاجم بها. وهذه الحجج الثلاث متكاملة: لا بعث بدون إله قادر، ولا جمع بدون إله عليم، ولا جزاء بدون إله حكيم. وإثبات البعث يستلزم إثبات هذه الصفات الثلاث مجتمعة.

كيف تتجسد هذه الأصول الثلاثة في آيتنا تحديداً:

· كمال القدرة : في قوله} بَلَى قَادِرِينَ {مباشرة.
· كمال العلم : مستفاد من قوله} نُسَوِّيَ بَنَانَهُ{، فالتسوية بهذا الإحكام تستلزم علماً تاماً بتركيب الإ نسان وكل فرد فرد.
· كمال الحكمة : سيأتي في الآية التالية} أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى{، لكنه مقرون بهذه الآية في السياق، فكل الكلام في سورة القيامة هو لبيان حكمة البعث.

ثالثاً: دلالات الآية والجوانب البلاغية والخواطر والتأملات

الأمر الأول: دلالات الآية وأبعادها ودورها كمحفز لتحويل النص إلى سلوك

الآية تحمل دلالات متعددة تحفز على تغيير السلوك:

الدلالة الأولى (النفسية): تدعو إلى التخلص من الشعور بالغرور والتعالي. إذا كان الإنسان مجرد عظام وبنان، فأين موضع الكبر؟

الدلالة الثانية (العملية): إذا كانت الأصابع ستشهد عليك يوم القيامة، فاحرص الآن على أن تشهد لك لا عليك. استخدم يديك في الخير، واكتب بها الحق، واعمل بها الصدقة، وامسح بها دمعة يتيم. كل حركة الآن ستراها غداً.

الدلالة الثالثة (الفكرية): تدعو إلى التفكر في خلق الله، ونبذ النظرة المادية الضيقة التي ترى فقط ما تحت المجهر دون ما وراءه.

الدور المحفز للسلوك: عندما تقرأ "أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه"، يجب أن تتوقف وتسأل نفسك: هل أنا من هؤلاء الذين يحسبون حسباناً خاطئاً؟ هل أحسب أنني لن أبعث، فأهمل في عملي وأتساهل في ديني؟ الآية تحفزني على إعادة حساب نفسي.

الأمر الثاني: خواطر الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: مع "أيحسب الإنسان":
أتدبر نفسي: كم مرة حسبتُ أمراً مستحيلا ً ثم وقع؟ كم مرة ظننت أن الله لن يستجيب لي فاستجاب؟ إذا كنت أخطئ في حساباتي الصغيرة، فكيف أحسب على الله حساباً يقدر قدرته؟ اللهم اغفر لي سوء ظني بك.

الخاطرة الثانية: مع "ألن نجمع عظامه":
أتأمل أن عظامي هذه، التي تمشيني وتحملني وتحركني، ستصير يوماً بالية رميماً. ثم بعد ذلك، سيجمعها الله من جديد. يا له من مشهد! كيف سيكون الشعور عندما أقف وقد جمعت عظامي، وأكسيت لحماً، ونفخ في روحي؟ هذا المشهد يملؤني خوفاً ورجاءً. الخوف من الحساب، والرجاء في الرحمة.

الخاطرة الثالثة: مع "بَلَى":
كلمة واحدة، لكنها تهدم جبال الشك. "بلى" من الله رد على كل من ظن أن النهاية هي القبر. بلى ستبعثون. بلى ستحاسبون. بلى لكل من تراجع عن وعده. بلى لكل من ظن أنه سيفلت من العدل الإ لهي. هذه الكلمة تستحق أن تكون شعاراً لحياتي.

الخاطرة الرابعة: مع "قَادِرِينَ":
الله قادر، ليس سيكون قادراً. هو قادر الآن، قادر يوم خلق السماوات، قادر يوم يبعث الخلق. هذه الصفة ملازمة له. أفليس القادر على خلق هذا البنان العجيب بقادر على بعثي؟ بلى.

الخاطرة الخامسة: مع "نُسَوِّيَ بَنَانَهُ":
أرفع يدي، أنظر إلى أصابعي، أتأمل طرف كل إصبع. هذه الخطوط المتعرجة، هذه البصمة التي لا يشبهها أحد. من خلقها؟ من سواها؟ من جعلها فريدة؟ إنه الله. وكلما تأملتها، ازددت إيماناً ويقيناً. وأستشعر أن هذه الأصابع ستسألني يوم القيامة: ماذا عملتِ بي؟

كيفية استشعار هذه الخواطر عملياً:

· كرر الآية ببطء في صلاتك، وتوقف عند كل كلمة.
· اجعل من عادتك اليومية أن تنظري إلى يديك وتتأملي أصابعك ولو لدقيقة.
· احتفظ بدفتر خواطر، واكتب كل خاطرة تطرأ على قلبك عند تلاوة الآية.
· شارك هذه الخواطر مع أهلك وأصحابك، فالمناقشة تعمق الاستشعار.

الأمر الثالث: التصوير البياني للآيات وأغراضه

أولا ً: تصوير الاستبعاد البشري:
{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ}، رسم الله صورة الإنسان وهو جالس يحسب ويظن، عابس الوجه، يحرك شفتيه بحسابات خاطئة، يرفع رأسه بتكبر وتحد. هذا التصوير يجعل القارئ يرى المنكر بعين عقله، فيزداد اقتناعاً بخطئه.

ثانياً: تصوير التفكك والموت:
{أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ}، الكلمة توحي بمشهد العظام المتفرقة، المتناثرة هنا وهناك، عظم في شرق وعظم في غرب. هذا التصوير المرعب للتفكك يتبعه تصوير لقدرة الله على الجمع، فيحدث تناقضاً بصرياً يثبت في النفس.

ثالثاً: تصوير القدرة الإلهية:
{بَلَى قَادِرِينَ}، التصوير هنا لله بصفة القدرة الدائمة، وكأنه تعالى جالس على العرش، وقدرته محيطة بكل شيء، وهو يقول "بلى" بحسم وقوة.

رابعاً: تصوير التسوية المحكمة:
{نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}، أبلغ تصوير. يتخيل القارئ يداً خفية تسوي الأصابع، تعدل مفاصلها، تبسط أعصابها، تنقش بصماتها، كأنها ساعة سويسرية متناهية الدقة. هذا التصوير يجعل القارئ يرى الإتقان الإلهي رأي عين.

أغراض التصوير البياني:

· التأثير العاطفي : الصورة أعمق من الكلمة المجردة.
· الإقناع العقلي : التصوير يجعل المعنى محسوساً فيقل الجدال.
· التثبيت في الذاكرة : الصورة تبقى في العقل سنين طويلة.
· التحفيز على السلوك : الصورة تدفع للفعل.

الأمر الرابع: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

الآية تغير نظرة الإنسان للحياة تغييراً جذرياً كما يلي:

التغيير الأول: من النظرة المادية الضيقة إلى النظرة المتأملة الموسعة:
قبل الآية، كان الإنسان يمر على أصابعه مئات المرات دون أن يراها. بعد الآية، أصبح يرى في كل

إصبع آية، وفي كل بصمة دليلا ً. لم تعد الحياة مجرد أيام تمضي، بل كل يوم يمر فيه عبرات وتأم لات.

التغيير الثاني: من الغرور والتعالي إلى التواضع والخضوع:
قبل الآية، كان الإنسان يتكبر بقوته وجماله وماله. بعد الآية، يعلم أنه مجرد عظام ستفنى وبنان سيبلى. هذا يكسوه رداء التواضع.

التغيير الثالث: من العبثية واللامبالاة إلى الغائية والمسؤولية:
قبل الآية، كان الإنسان يحسب أن الحياة عبث، فيعيش كيفما اتفق. بعد الآية، علم أن هناك يوماً سيقف فيه للحساب، وأن كل بنان سيشهد عليه. فتحولت حياته إلى مشروع استعداد.

التغيير الرابع: من اليأس والقنوط إلى الأمل والرجاء:
قبل الآية، كان الإنسان يرى أن الموت نهاية كل شيء، فيصاب باليأس. بعد الآية، علم أن هناك بعثاً، وأن العدل الإلهي سيتحقق. هذا يزرع الأمل في قلبه.

التغيير الخامس: من العجلة والاندفاع إلى التروي والتأني:
قبل الآية، كان الإنسان يعيش باندفاع، يخطئ بسرعة، يظلم بسرعة. بعد الآية، عندما يتذكر أن بنانه سيشهد عليه، يتروى قبل أن يبطش به أو يكتب به شراً.

الأمر الخامس: تأملات ووقفات تدبرية

الوقفة الأولى: مع "أيحسب الإنسان":
قف مع نفسك واسألها: هل أنت من المحاسبين لأنفسهم، أم ممن يحسبون حسباناً خاطئاً؟ هل تجلس مع نفسك في نهاية كل يوم لتقول: ماذا أعددت للقاء ربي؟ أم تترك نفسك تسبح في الغفلة؟

الوقفة الثانية: مع "ألن نجمع عظامه":
أغمض عينيك وتخيل عظامك وهي تخرج من قبرها، ثم تجتمع، ثم تكتسى لحماً، ثم تنفخ فيها الروح. ما شعورك؟ هل أنت مستعد لهذا اليوم؟ هل عملت لهذا اليوم؟

الوقفة الثالثة: مع "بَلَى":
هذه الكلمة وحدها كافية لإعادة صياغة حياتك. كلما أيست، تذكر "بلى". كلما ظننت أن الله لن يستجيب، تذكر "بلى". كلما ظننت أن النهاية هي القبر، تذكر "بلى". بلى ستبعث. بلى ستحاسب. بلى سترى الله.

الوقفة الرابعة: مع "قَادِرِينَ":
تأمل قدرة الله التي لا تعجزها العظام النخرة، ولا البنان الصغير. هذه القدرة هي سندك في الدنيا والآ خرة. إذا كنت ضعيفاً، فقدرة الله معك. إذا عجز الناس، فقدرة الله فوقهم. هذه الوقفة تزرع في نفسك قوة لا تلين.

الوقفة الخامسة: مع "نُسَوِّيَ بَنَانَهُ":
انظر إلى أصابعك الآن. انظر إلى بصماتك. كل بصمة فريدة. هل تدرك أن الله ميزك بهذه البصمة عن كل البشر؟ هل تدرك أن عليك مسؤولية تجاه هذا التفرد؟ هذه الوقفة تجعلك تقدر نعمة اليدين حق القدر.

دور هذه الوقفات في إعادة تشكيل الإنسان:

· تشكيل الوجدان : تنتقل من غفلة إلى يقظة.
· تشكيل الذهن : تنتقل من سطحية الفهم إلى عمق التدبر.
· تشكيل السلوك : تنتقل من اندفاع إلى تروٍ، ومن تبرير إلى محاسبة.

رابعاً: أهم الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآيه(

الأمر الأول: كيفية ترويض النفس وتوجيهها بلوم إيجابي) وهذا مطلوب حتى وإن كان الحديث عن آيتي العظام والبنان، لأن السياق واحد في السورة(

ترويض النفس في ضوء هذه الآيات يعني أن نروض أنفسنا على ألا تحسب حسباناً خاطئاً على الله،

وألا تستبعد قدرة الله على أي شيء، وألا تغتر بظنونها.

الخطوة الأولى: ترويض النفس على تجاوز "حسبان" الظن الخاطئ:
النفس تميل إلى التشكيك والتقدير الخاطئ: "لن يحدث"، "مستحيل"، "لا يقدر الله" .الترويض هنا هو أن نعلم أنفسنا أن نقول: "بَلى، الله قادر" .كلما خطر ببالنا أن أمراً مستحيل، نكرر "بلى قادرين" .هذا التكرار يروض النفس على التسليم بقدرة الله المطلقة.

الخطوة الثانية: ترويض النفس على التفكر في آيات الله في الأنفس:
اجعل لنفسك عادة يومية: انظر إلى يديك، تأمل أصابعك، تذكر دقة خلقها .هذه الدقيقة من التفكر تروض النفس على التواضع والخشوع.

الخطوة الثالثة: ترويض النفس على التوقف عن استبعاد البعث سلوكياً:
كثير من الناس لا ينكر البعث لساناً، لكنه يعيش كأنه لن يبعث .الترويض هنا هو أن تستحضر يوم القيامة في كل قرار، وفي كل تعامل، وفي كل عمل .اسأل نفسك قبل أي فعل: هل سأرضى بهذا الموقف بين يدي الله؟ هذا السؤال يروض النفس على الصلاح.

الخطوة الرابعة: ترويض النفس على استشعار المسؤولية تجاه الجوارح:
البنان سيشهد عليك .رَوِّضْ نفسك على ألا تستخدم يديك إلا في الخير .اجعل لسان حالك: "هاتان يداي ستنطقان غداً، فماذا ستنطقان؟".

الفرق بين الترويض والقمع هنا:

· القمع: أن تكتم صوت الشك في نفسك بالعنف، أو أن تغضب من نفسك عندما تشك.
· الترويض: أن تسمع وساوس الشك ثم ترد عليها بـ "بلى" بهدوء، وتفسح لنفسك مجالاً للتفكر حتى تصل إلى اليقين.

الأمر الثاني: ما هو النقد الذاتي البناء وفق ما تصوره الآية، وكيف نفعله دون جلد الذات

النقد الذاتي البناء هنا: هو أن تنقد نفسك على "حسبانها الخاطئ" .هل حسبت أن الله لن يجمع عظامك؟ هل حسبت أن الله قاصر القدرة؟ هل حسبت أنك ستترك سدى؟ هذا الحسبان هو ما يجب أن تنقده في نفسك.

كيف تنقد نفسك نقداً بنّاءً دون أن تجلدها:

الأسلوب الأول: النقد بالرجوع إلى الآية، لا بالسب والشتم:
بدلاً من أن تقول لنفسك: "يا لك من جاهل سيء، كيف تشك في قدرة الله؟" .قل: "يا نفس، هذه الآية تقول} بَلَى قَادِرِينَ .{فلا يحسن بك الظن الخاطئ .تعالي نتأمل معاً".

الأسلوب الثاني: النقد بالتفكر والتأمل، لا بالعقاب النفسي:
بدلاً من أن تعاقب نفسك بالحرمان أو الهجر، اجلس معها وتأمل في يديك وأصابعك .دع التفكر هو أداة النقد .عندما ترى الإتقان، ستنقد نفسك تلقائياً على ظنها الخاطئ.

الأسلوب الثالث: النقد بالحوار لا بالصراخ الداخلي:
حاور نفسك كصديق: "لماذا تظنين أن الله لن يبعثك؟ انظري إلى بنانك .أليس من خلقه بهذا الإتقان بقادر على إعادة خلقك؟" .الحوار يصلح ما يفسده الصراخ.

الأسلوب الرابع: الفصل بين الفعل والذات:
أنت لست "سيئاً" لأنك شككت .أنت إنسان تمر بمراحل إيمان .الفعل الخطأ هو "الحسبان الخاطئ"، أما أنت فأنت عبد يحاول أن يصل إلى اليقين .نقد الفعل لا نقد الجوهر.

الأمر الثالث: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا

الآية تدعونا إلى سبعة أمور عظيمة:

1.تدعونا إلى التفكر في خلق الله : لا تمر على أصابعك مرور الكرام .قف عندها وتأمل .هذه الدعوة للتفكر هي أول خطوة للإيمان الراسخ.

.2تدعونا إلى إبطال ظنوننا الخاطئة : تحذرنا من أن نحسب حسباناً سيئاً باللّه .تدعونا أن نعلم أن كل شيء هين على اللّه.
.3تدعونا إلى اليقين بالبعث : ليس يقيناً نظرياً، بل يقيناً يؤثر في سلوكنا .تدعونا أن نعيش وكأننا سنبعث غداً.
.4تدعونا إلى التواضع : عندما تعلم أنك مخلوق من عظام وبنان، تعلم أنك لست إلهاً ولا رباً .هذا يكسوك تواضعاً لله وللناس.
.5تدعونا إلى استشعار المسؤولية تجاه جوارحنا : يديك ستشهدان عليك يوم القيامة .هذا وحده يكفي لتدفعك إلى صلاح العمل.
.6تدعونا إلى عدم الاستبعاد : لا تستبعد قدرة اللّه على أي شيء، مهما بدا مستحيلا ً في قياسك البشري .اللّه قادر على كل شيء.
.7تدعونا إلى الرجاء والأمل :"بَلَى" تفتح باب الأمل .لا تقل "لن يحدث"، بل قل "بَلَى سَيَحْدُثُ بِقدْرَةِ اللّه ِ".

الأمر الرابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم في مجال العبادات:

· أن نتدبر في صلاتنا ونحن نقرأ هذه الآية، ونستشعر معناها.
· أن نكثر من النظر إلى أيدينا بعد الوضوء ونحن نشكر اللّه على نعمة البنان.

نتعلم في مجال الأخلاق:

· ألا نبطش بأيدينا إلا بالحق.
· ألا نكتب إلا خيراً.
· ألا نأكل إلا حلالا ً.
· ألا نأخذ إلا حقنا ونعطي حقوق الآخرين.

نتعلم في مجال العمل:

· إتقان العمل لأن اليد التي تعمل ستشهد.
· الأمانة في الكتابة والتوقيع لأن البنان سينطق.
· عدم التهاون في الحقوق لأنها ستقرأ علينا.

نتعلم في مجال الدعوة:

· كيف نرد على منكري البعث: انظروا إلى أيديكم وأصابعكم، أليس من خلقها بقادر على بعثكم؟
· كيف نستخدم أسلوب الاستفهام في الدعوة لفتح عقول الناس.

نتعلم في مجال تربية النفس:

· محاسبة الجوارح.
· التفكر في خلق اللّه.
· رد الظنون الخاطئة بـ "بَلَى".

الأمر الخامس: الدروس من الآية في حياتنا العملية) تفصيل واف(

الدرس الأول: آية البعث في يديك:
لا تحتاج إلى أن تسافر لترى آيات اللّه .انظر إلى يديك .أصابعك، بنانك، بصماتك، كلها تشهد أن اللّه خالق عظيم قادر .ومن كان كذلك، أفلا يقدر على بعثك؟ هذا الدرس يريحك من عناء البحث عن أدلة بعيدة.

الدرس الثاني: "بَلَى" كلمة العظماء:
في حياتك، قد تخذلك الظروف، ويقول لك الناس "لا"، وتقول لك نفسك "لن تنجح" .تذكر "بَلَى" الإلهية .بَلَى سينجح اللّه أمره .بَلَى سيتحقق وعده .بَلَى ستبعث .هذه الكلمة وحدها تغير مجرى حياتك.

الدرس الثالث: لا تحسب حساباً خاطئاً:

حذار أن تحسب حساباً على الله .لا تقل: "هذا مستحيل"، "لن يحدث"، "لا يقدر" .قياسك البشري لا ينطبق على الخالق .علم نفسك أن تكون واسع الأفق في ظنك بالله.

الدرس الرابع: أدق الأشياء تدل على أعظمها:
إذا أردت أن تعرف عظمة الله، لا تنظر فقط إلى الجبال والسماء .انظر إلى بنانك .الأدق يدل على الأ عظم .هذا الدرس يغير منهجية تفكيرك: العبرة ليست بالحجم، بل بالإتقان.

الدرس الخامس: كل شيء مسجل:
بصماتك التي في بنانك هي دليل أن كل إنسان له هوية فريدة .وهذا يعني أن كل إنسان سيحاسب على حدة .لا يمكن لأحد أن يتحمل عن أحد .هذا الدرس يجعلك جاداً في عملك، لأنك لن تجد من يتحمل عنك.

الدرس السادس: الاستعداد الدائم:
أنت لا تعلم متى تقوم القيامة، لكنك تعلم أنها قادرة لا محالة .فالدرس العملي هو: كن مستعداً دائماً . لا تؤجل توبة، ولا تؤجل عملا ً صالحاً، ولا تؤجل رد مظلمة .فربما تكون هذه ساعتك الأخيرة.

الدرس السابع: شرف المسؤولية:
الله خلقك وأعطاك بناناً تسوي به، ويدين تعمل بهما، وأصابع تبطش بها .هذا تكريم من الله لك، لكنه تكريم معه مسؤولية .الدرس: لا تستخدم هذا الشرف في الشر، بل استخدمه في الخير لتكون أهلا ً لهذا التكريم.

خامساً: مفاهيم وأبعاد وآفاق وقيم الآية

الأمر الأول: آفاق وأبعاد الآية
البعد الأول: البعد العقدي الإيماني:
تثبت الآية أركان الإيمان الكبرى: الإيمان بالله) بصفة كمال القدرة(، والإيمان باليوم الآخر) البعث و الحساب .(كما تثبت أن الإيمان بالله لا ينفصل عن الإيمان بقدرته المطلقة .ومن آمن بالله حقاً، آمن بقدرته على كل شيء، ومن ضمنها البعث.

البعد الثاني: البعد الوجودي:
تجيب الآية عن أسئلة الوجود: من أين جئنا؟) خلقنا الله من عظام وبنان .(وإلى أين نصير؟) نموت ثم نبعث .(ولماذا نحن هنا؟) لنستعد ليوم البعث .(هذه الأسئلة الثلاثة تجيب عنها الآية إجابة قاطعة.

البعد الثالث: البعد النفسي:
الآية تعالج عدة أمراض نفسية: الغرور) بأن الإنسان يحسب في نفسه(، واليأس) بأنه لا بعث، فالدنيا نهاية(، والخوف من المستقبل) بأنه مجهول(، والشعور باللاجدوى) بأن الحياة عبث .(تعالجها كلها بإثبات البعث والجزاء وقدرة الله المطلقة.

البعد الرابع: البعد الأخلاقي:
الآية تؤسس لأخلاق قائمة على المسؤولية الفردية .إذا كان الإنسان سيبعث ويحاسب، وإذا كانت بنانه ستشهد عليه، فهو مدفوع لفعل الخير وترك الشر بدافع داخلي، لا بدافع خارجي فقط .هذا هو أرقى أنواع الأخلاق.

البعد الخامس: البعد العلمي) الإعجازي(:
الآية احتوت على إشارات علمية لم تكتشف إلا بعد قرون .تفرد البصمات، تعقيد خلق البنان، التركيب التشريحي للأصابع .وهذا البعد يجعل الآية حجة على كل الأزمان، ويزيد إيمان المؤمنين كلما تقدم العلم.

البعد السادس: البعد التربوي:
تقدم الآية نموذجاً تربوياً في استخدام الاستفهام) أيحسب (لإيقاظ العقول، واستخدام الرد الحاسم المؤدب) بلى(، واستخدام الملموس المحسوس) البنان (لتعليم المجرد الغيبي) البعث .(هذه أدوات تربوية عظيمة.

البعد السابع: البعد الحضاري:
أي أمة تريد النهضة والتقدم، لا بد أن يكون لديها أفراد "يحاسبون أنفسهم" ويؤمنون بالمسؤولية الفردية .الآية تزرع هذه القيم .فالنهضة لا تصنعها القوانين فقط، بل تصنعها النفوس المؤمنة بالرقابة

الذاتية والجزاء الأخروي.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفوس وكيفية تطبيقها

القيمة الأولى: التواضع:
تغرس الآية أن الإنسان مهما بلغ، فهو مجرد عظام وبنان .التطبيق: لا تتكبر على أحد، وتذكر دائماً أنك ستفنى.

القيمة الثانية: التأمل والتفكر:
تغرس قيمة التأمل في خلق الله .التطبيق: اجعل لك ورداً يومياً في التفكر في خلق الله، وابدأ بيديك.

القيمة الثالثة: المسؤولية الفردية:
تغرس أن كل إنسان سيحاسب وحده .التطبيق: لا تلوم غيرك على تقصيرك، ولا تنتظر من يحاسبك، بل حاسب نفسك.

القيمة الرابعة: الأمل والرجاء:
"بَلَى" تغرس الأمل مهما اشتدت الظروف .التطبيق: لا تقل "مستحيل"، بل قل "الله قادر" .هذا يفتح لك أبواباً من التفاؤل.

القيمة الخامسة: الثقة بقدرة الله:
تغرس أن قدرة الله لا حدود لها .التطبيق: لا تحزن على ما فاتك، ولا تقلق على ما سيأتي، فالله على كل شيء قدير.

القيمة السادسة: إتقان العمل:
لأن البنان سيشهد، يجب أن نعمل بإتقان .التطبيق: أتقن عملك، وأحسن كتابتك، واتقن كل ما تصنعه يدك.

القيمة السابعة: الصدق والأمانة:
لأن البنان سينطق، فلا تكتب إلا حقاً، ولا تبطش إلا بعدلا ً .التطبيق: كن أميناً في توقيعك، وكتابتك ، وشهادتك.

الأمر الثالث: المفاهيم (

المفهوم الأول: مفهوم "الحسبان الخاطئ":
هو أن يظن الإنسان ظناً لا يستند إلى علم، خاصة فيما يتعلق بقدرة الله وحكمته .هذا الحسبان مصدره الغرور والجهل .علاجه: الرجوع إلى العلم اليقيني بأن الله على كل شيء قدير.

المفهوم الثاني: مفهوم "كمال القدرة":
قدرة الله مطلقة غير محدودة، تشمل الخلق والإعادة، تشمل الكبير والصغير، تشمل ما نعرف وما لا نعرف .لا يتصور فيها عجز ولا نقص.

المفهوم الثالث: مفهوم "التسوية الإلهية":
هي خلق الأشياء بإحكام وإتقان وتناسب وتعديل .التسوية ليست مساواة حسابية، بل وضع كل شيء في موضعه المناسب .فالإبهام ليس مساوياً للبنصر في الطول، لكنه مسوّى في موضعه.

المفهوم الرابع: مفهوم "البنان كآية":
أطراف الأصابع) بما فيها البصمات والمفاصل والأعصاب والعظام (هي آية من آيات الله على خلقه، وعلى قدرته، وعلى تفرده .وهي دليل مادي محسوس على إمكانية البعث.

المفهوم الخامس: مفهوم "بَلَى كأداة إيمان":
"بَلَى" هي كلمة الإيمان بالغيب .حين يقول لك واقعك "لا"، تقول أنت "بَلَى" بقدرة الله .هذه الكلمة تحول اليأس إلى أمل، والإحباط إلى طاقة.

المفهوم السادس: مفهوم "المسؤولية الجارحية":
أن كل جارحة من جوارح الإنسان ستشهد عليه يوم القيامة .البنان) الأصابع (من أهم هذه الجوارح لأ

أنها أكثر استخداماً .هذا المفهوم يزرع الرقابة الذاتية.

الأمر الرابع: كيف يمكن تحويل هذه المفاهيم إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية

أولا ً: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء الإنسان الفرد:

من خلال برنامج عملي يتكون من:

· تدريب يومي على التفكر : 5 دقائق يومياً تنظر فيها إلى يديك وتتأمل خلق الله.
· تدريب على استحضار "بَلَى" : كلما خطر ببالك شك أو يأس، قل "بَلَى الله قادر".
· تدريب على محاسبة الجوارح : في نهاية كل يوم، احاسب يديك: ماذا كتبتا؟ ماذا أخذتا؟ ماذا أعطتا؟

ثانياً: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء المجتمع:

· نشر ثقافة "لا للحسبان الخاطئ" : توعية المجتمع بألا يحسب الناس حساباً سيئاً بالله، وألا يستبعدوا قدرة الله على التغيير والإصلاح.
· نشر ثقافة التفكر : إنشاء مجالس للتفكر في خلق الله، خاصة في المناهج الدراسية والمساجد.
· تربية الأجيال على مسؤولية الجوارح : تعليم الأطفال منذ الصغر أن أيديهم ستشهد عليهم، ليكبروا وهم يعرفون قيمة الأمانة في كل فعل.

ثالثاً: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء الحضارة الإسلامية:

· حضارة تقوم على الإتقان : عندما يدرك كل عامل ومهندس وطبيب أن يديه ستشهدان على عمله، سيؤدي عمله بإتقان .هذا الإتقان الفردي يصنع حضارة.
· حضارة تقوم على الأمل : مجتمع يؤمن بـ "بَلَى" لا يعرف اليأس .أي تحدٍ يواجهه يقابله بـ "بَلَى قادرين" .هذه العقلية تصنع النهضة.
· حضارة تقوم على العدل : عندما يعلم كل فرد أنه سيحاسب على ما فعلت يداه، يقل الظلم، وتنتشر العدالة، وتقوى المجتمعات.

رابعاً: صناعة التطور والنهضة والتقدم:

النهضة لا تصنعها الآلات فقط، بل تصنعها "النفوس المؤمنة بالقدرة المطلقة لله" .مجتمع يؤمن أن الله قادر على كل شيء، يؤمن أنه قادر على تغيير واقعه أيضاً .النهضة تبدأ من الإيمان بأن "المستحيل" ليس موجوداً في قاموس الله .وبالتالي، ليس موجوداً في قاموس الذين آمنوا به .كل عقبة تتحول من "لا أقدر" إلى "بَلَى أقدر بإذن الله".

الأمر الخامس: أهمية الأسلوب القرآني في إعداد وتأهيل وتدريب وإصلاح الإنسان

أهمية أسلوب الاستفهام) أيحسب(:
هذا الأسلوب يوقظ العقل، ويدرب الإنسان على ألا يكون متلقياً سلبياً، بل مفكراً ناقداً .الإنسان الذي يعتاد على طرح الأسئلة على نفسه) "أيحسب؟" (هو إنسان يقظ، لا تغفله الشبهات، ولا تضل به الظنون.

أهمية أسلوب الرد بـ "بلى":
يعلم الإنسان ألا ييأس، وألا يكل في وجه النفي والإحباط .يزرع في نفسه القدرة على الإجابة بـ "بلى" لكل من يقول له "لا" .هذا يعده ليكون قائداً لا تابعاً.

أهمية أسلوب التحدي بالبنان:
يعلم الإنسان أن يبحث عن الأدلة في أقرب شيء إليه .لا يحتاج إلى فلسفات معقدة .الدليل بين يديه .هذا يبني شخصية عملية، لا تنظيرية.

أهمية الربط بين المادي والغيبي:
يعلم الإنسان كيف ينتقل من المشاهد إلى الغائب، من المحسوس إلى المعقول .هذه مهارة الإيمان: أن ترى ما وراء المادة .وهي أهم مهارة لإصلاح الإنسان في زمن المادية الطاغية.

رسالة ختامية) كافية وافية(

أخي الكريم،

بعد هذا التفسير المفصل لآيتي{ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} ، أود أن أترك معك هذه الرسالة الختامية الجامعة:

أنت لست مجرد عظام.
نعم، عظامك ستبلى وتتفكك، لكن الله سيجمعها .فلا تحزن على جسد يفنى، بل اهتم بروح تبقى.

أنت لست مجرد بنان.
نعم، أصابعك وأطرافك دقيقة وضعيفة، لكنها تحمل بصماتك الفريدة، وسوف تنطق يوم القيامة . فاستخدمها اليوم لتنطق غداً بما يسرك لا بما يسوءك.

أنت لست عبداً لحسبانك الخاطئ.
لا تدع الظنون السيئة تقودك .لا تقل "لن يحدث"، "مستحيل"، "لا يقدر الله" .قل "بَلَى، الله قادر" .هذه "بَلَى" هي مفتاح النجاة في الدنيا والآخرة.

انظر إلى يديك.
فيهما آية البعث .فيهما إعجاز العلم .فيهما سر القدرة .كلما رأيتهما، تذكر أن الله قادر على كل شيء.

اسأل نفسك:
أيحسب الإنسان أن يترك سدى؟ أتحسب أنت أنك ستموت وتنتهي القصة؟ كلا .هناك قيامة، وهناك حساب، وهناك جنة ونار.

فاستعد.
اجعل كل يومك استعداداً لليوم الآخر .استخدم يديك فيما يرضي الله .اكتب الخير، وامنع الشر، واعمل الصالحات، وتب من السيئات .فغداً حين تنطق أصابعك، تريدها أن تنطق بالشهادة لك، لا عليك.

والله قادرين على أن يسوي بنانك.
والله قادر على أن يغفر ذنوبك، ويرحم ضعفك، ويدخلك جناته .فلا تيأس من روح الله، ولا تقنط من رحمته .بَلَى، هو قادر.

ثالثا

هذا تفسير الآيتين الخامسة والسادسة {بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القِيَامَةِ}

أولا ً: تفسير الآية وفق المنهجية المطلوبة

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية تربط الآية بما قبلها

بعد أن أثبت الله سبحانه في الآيات السابقة قدرته المطلقة على البعث، مستدلا ً بخلق العظام وتسوية البنان، انتقل السياق إلى بيان السبب الحقيقي الذي يدفع الإنسان إلى إنكار هذا البعث رغم وضوح البرهان.

الآيات السابقة (3-4) كانت رداً على شبهة "الاستبعاد العقلي": كيف يعيد الله خلق العظام؟ وجاء الرد: {بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}. أما الآيتان (5-6) فتردان على سبب آخر، وهو الإرادة الفاسدة. فالإنسان لا ينكر البعث لأنه يجهل البرهان، بل لأنه "لا يريد" أن يكون هناك بعث. يريد أن يبقى طليقاً يفجر أمامه دون حساب.

والربط بين ما قبل وما بعد هو ربط بين "البرهان العقلي" و"العائق النفسي". فالبرهان موجود وواضح كوضوح خلق البنان، لكن النفس الأمارة بالسوء تحجب هذا البرهان، وتدفع صاحبها إلى التكذيب والإصرار على الفجور. وهكذا تكتمل الصورة: القسم بيوم القيامة والنفس اللوامة، ثم إثبات قدرة الله على البعث، ثم بيان عائق الإرادة الذي يمنع الإنسان من التصديق.

الأمر الثاني: تفسير الآية

{بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ}:

· بَلْ: حرف إضراب وانتقال .تفيد هنا الإبطال والإنتقال من حديث إلى آخر .كأن الله يقول: ليس الأ مر كما تظنون من أن البعث مستبعد أو أن الأدلة غير كافية، بل الأمر أن الإنسان عنده إرادة فاسدة . "بل" هذه تهدم كل ذريعة، وتكشف السبب الحقيقي وراء الإنكار.
· يُرِيدُ الإِنْسَانُ: أي يقصد ويختار ويميل بإرادته .والإرادة هنا هي الإرادة الفاسدة الجازمة، وليست مجرد رغبة عابرة .والإنسان المراد به هنا جنس الإنسان الكافر المنكر، أو الإنسان الذي غلبت عليه الشهوة وضعف فيه الضمير .والآية تتحدث عن صفة في الإنسان عامة، لكنها تظهر بقوة عند من انسلخ عن الفطرة.
· لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ: الفجور هو التوسع في المعصية والخروج عن الطاعة والانخلاع من القيود الأخلاقية و الدينية .و"أمامه" لها معنيان:
· المعنى الأول: أي يفجر قدام نفسه، أي يستمر في الفجور طول حياته، يقدم على المعاصي ولا يؤخرها، كأنه يقول: "سأفجر الآن، وسأفجر غداً، وسأفجر أمامي ولا عودة".
· المعنى الثاني: أي يفجر أمام الناس، أي يجاهر بفجوره ولا يستحي، يريد أن يفجر علناً دون رادع.
· المعنى الثالث) وهو الأقوى(: يريد أن يقدم على الفجور في مستقبل أيامه، أي يريد أن يعيش في فجور مستمر إلى آخر عمره، لا يريد أن يتوب، ولا يريد أن يحاسب ."أمامه" أي في مستقبل حياته التي بين يديه.

والمعنى الكلي: أن الإنسان المنكر للبعث إنما يحمله على إنكاره إرادته الفاسدة، ورغبته في أن يعيش حراً طليقاً يفعل ما يشاء، لا يردعه وازع ديني، ولا يخوفه حساب آخرة.

}يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القِيَامَةِ{:

· يَسْأَلُ: السؤال هنا ليس سؤال مسترشد طالب للحقيقة، بل سؤال مستهزئ مكذب متعنت .إنه سؤال استبعاد وتكذيب، وليس سؤال استفهام عن وقت .كما يقول القائل: "متى هذا الوعد؟" وهو لا يصدق به.
· أَيَّانَ: اسم استفهام عن الزمان المستقبل .معناه: متى؟ وهي كلمة تدل على الاستبعاد، فكأنه يقول: هذا الأمر بعيد مستحيل، متى سيحدث إن حدث؟!
· يَوْمُ القِيَامَةِ: هو اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين .بسؤاله "أيان" يريد أن يبعد وقته، ويستعبد حدوثه، ويسخر من الذين ينتظرونه.

المعنى الكلي: هذا الإنسان الفاجر، الذي يريد أن يعيش بلا قيود، يسأل ساخراً مستبعداً: "متى يوم القيامة هذا؟" كأنه يقول: لن يأتي أبداً، أو سيأتي في وقت بعيد جداً لا يهمني.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآية

1.السبب الحقيقي لإنكار البعث: ليس نقص البرهان، بل فساد الإرادة وحب الفجور.
2.النفس الأمارة بالسوء كأصل الانحراف: هي التي تدفع الإنسان إلى تفضيل الشهوات على الحقائق.
3.محاولة إبعاد يوم القيامة بالتسويف والاستبعاد: الإنسان يدفع خواطر الإيمان بالاستهزاء والسؤال الساخر.
4.الربط بين إيثار الفجور وإنكار الجزاء: من يريد أن يفجر لا يريد أن يكون هناك يوم حساب.
5.كشف حقيقة العلاقة بين التصديق القلبي والسلوك العملي: من يعيش بالفجور لا يمكن أن يصدق بـ القيامة حقيقة، حتى لو نطق بلسانه.

الأمر الرابع: مغزى الآية وأسباب النزول

أسباب النزول:
ذكر المفسرون أن هذه الآيات نزلت في منكري البعث من كفار قريش، وقيل نزلت في أبي جهل أو الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل. كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: "متى هذا الوعد؟ متى تقوم الساعة؟" على سبيل التكذيب والاستهزاء، وليس على سبيل الاسترشاد. فنزلت الآية لتبين أن هذا السؤال ليس نابعاً من شك عقلي حقيقي، بل من إرادة فاسدة تريد أن تستمر في الفجور بلا حساب.

المغزى العام للآيتين:
المغزى العميق هو أن مشكلة الإنسان مع الإيمان ليست مشكلة عقول، بل مشكلة قلوب ونفوس. الإ نسان يعرف الحق بفطرته، لكنه يُعرض عنه لأنه لا يريد أن يترك شهوته، لا يريد أن يحاسب، لا يريد

أن يقف أمام الله. فالتكذيب بالبعث ليس جهلا ً بقدرة الله، بل هو "هروب من المسؤولية". الإنسان يريد أن يكون حراً طليقاً في هذه الدنيا، يفعل ما يشاء، لا يردعه دين ولا ضمير. فإذا ذكره ذكر بـ البعث، استبعد، وسأل ساخراً: متى هذا اليوم؟ ليبرر لنفسه استمراره في الفجور.

الأمر الخامس: أهداف وغايات ومقاصد الآية

.1هدف كشف حقيقة النفس البشرية : أن الإنسان ليس محايداً في بحثه عن الحق، بل هو متحيز لهواه .إذا كان الحق يوافق هواه تبعه، وإذا خالفه أعرض عنه وكذب به.
.2هدف بيان أن إنكار البعث مرض قلبي لا عقلي : ليس سببه نقص الأدلة، بل مرض في الإرادة، وتغليب للشهوات على الحقائق.
.3هدف ربط التصديق بالجزاء بصلاح السلوك : من أراد أن يصلح سلوكه فلن يصلح إلا إذا آمن بـ الجزاء .ومن أراد أن يفجر فسيكذب بالجزاء تبريراً لفجوره.
.4هدف فضح التلبيس على النفس : الإنسان يخدع نفسه، يقول: "أنا أنكر البعث لعدم وضوح الدليل"، والآية تكشف أن السبب هو "بل يريد ليفجر أمامه".
.5هدف تحذير المؤمن من نفس هذا المرض : أن لا يغتر بظنه أنه منزه عن هذا الداء .كل إنسان فيه بذرة من هذه النفس الأمارة، فلتحذر نفسه.

ثانياً: تحليل الآية

المحور الأول: {بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ}

الأمر الأول: دلالة "بل" الإضرابية وكشفها للسبب الحقيقي

"بل" من أعظم أدوات القرآن في كشف الأعذار الوهمية .الإنسان يأتي بألف عذر ليكذب بالبعث: "البرهان غير كاف"، "العلم لم يثبت"، "هذا مستحيل فيزيائياً" .فتأتي "بل" لتهدم كل هذه الأعذار دفعة واحدة .بل الأمر ليس نقص برهان .بل ليس صعوبة في التصور .بل هو إرادة فاسدة.

بل هنا تفيد ثلاثة أمور:

.1الإبطال: تبطل كل ما سبق أن توهمه المنكر من أعذار.
.2الإنتقال: تنتقل من الحديث عن البراهين الخارجية إلى الحديث عن العائق الداخلي.
.3الإستدراك: تكشف أن الخطأ ليس في الدليل، بل في نفس المدعي.

الأمر الثاني: "يريد الإنسان" - دلالة الإرادة الفاسدة وعلاقتها بتقديم الشهوات على الحق

ما معنى "يريد" هنا؟
الإرادة في اللغة هي القصد والاختيار والعزم. وهي تختلف عن "المعرفة" و"العلم". فالإنسان قد يعلم الحق، لكنه لا يريده. قد يعلم أن البعث حق، لكنه يتمنى لو لم يكن حقاً. هذه الإرادة الفاسدة هي التي تحجب الحق وتعمي البصيرة.

العلاقة بين الإرادة الفاسدة وإنكار البعث:
الإنسان لديه رغبات وشهوات يريد أن يشبعها. هذه الشهوات تحتاج إلى حرية بلا قيود. دين يحاسبه، وآخرة تسأله، هذا يقيد حريته. فماذا يفعل؟ لا يغير شهواته، بل يكذب بما يقيدها. يكذب بالبعث ليبرر لنفسه استمراره في الفجور.

مثال تقريبي يبين هذه الآلية النفسية:
تخيل موظفاً يريد أن يختلس أموال الشركة. هو يعرف أن الاختلاس حرام، ويعرف أن هناك قانوناً يعاقبه. لكنه يريد المال. فماذا يفعل؟ يبدأ يقنع نفسه: "الشركة تظلمني"، "الجميع يفعل ذلك"، "لن يكتشفوني". هذا هو "التبرير". ثم يصل إلى مرحلة أعلى: ينكر القانون أصلا ً: "هذا القانون ظالم"، "أنا لا أعتبره قانوناً". هذا هو "التكذيب". كذلك المنكر للبعث: يريد أن يفجر، فيحتاج إلى إزالة العائق. العائق هو الإيمان بالبعث. فيكذب به.

الأمر الثالث: "ليفجر أمامه" - دلالات الفجور والاستمرار فيه واستباق المستقبل

ما معنى "الفجور"؟
الفجور في اللغة: الشق والخروج عن الاستواء. والفاجر هو الخارج عن طاعة الله، المتسع في

المعصية. والفجور أوسع من الفسق، لأنه يشمل التوسع والاسترسال في الشر. إنه ليس ذنباً واحداً، بل حالة من الانخلاع من القيود الأخلاقية والدينية.

لماذا قال "أمامه"؟
في هذه الكلمة كنز من الدلالات النفسية:

الدلالة الأولى: استباق المستقبل:
"أمامه" يعني ما بين يديه من الأيام القادمة. الإنسان يريد أن يفجر في مستقبل أيامه، لا يريد أن يتوقف. يريد أن يمتد فجوره إلى آخر عمره. كأنه يقول: سأفجر اليوم، وغداً، وبعد غد، وإلى أن أموت. هذا هو اليأس من التوبة، والإصرار على المعصية.

الدلالة الثانية: المجاهرة وعدم الاستحياء:
الأمام هو المقابل للخلف والخلفاء. يفجر أمامه أي يفجر أمام الناس ولا يستحي، يفجر أمام الله ولا يخاف، يفجر أمام ضميره فيكتمه. إنه فجور مكشوف، لا خفاء فيه.

الدلالة الثالثة: قطع الطريق على أي عودة:
كأنه يقول: سأضع الفجور أمامي، ولن أنظر إلى الوراء، ولن أتوب، ولن أراجع نفسي. يقطع على نفسه طريق الرجوع.

الأمر الرابع: لماذا الفجور مرتبط بإنكار البعث (العلاقة بين الإرادة والتصديق)

هذا هو جوهر المطلوب. الآية تعلن قاعدة نفسية عميقة:
من أراد أن يفجر، لا يريد أن يكون هناك بعث. ومن لم يرد البعث، سيكذب به.

لماذا هذه العلاقة؟

السبب الأول: البعث يمثل المسؤولية والعقاب:
الإنسان الفاجر يريد أن يفعل ما يشاء بلا عقاب. البعث معناه أن هناك يوماً تُعرض فيه الأعمال ويُجازى عليها. هذا يتعارض مع إرادة الفجور. فمن الطبيعي أن يكذب به.

السبب الثاني: التبرير النفسي للفجور:
النفس لا تحب أن تعيش في تناقض. إذا كنت أفجر، وأنا أؤمن بيوم الحساب، فسأعيش في صراع نفسي مؤلم. لكي أتخلص من هذا الصراع، لا أغير فجوري، بل أكذب بالحساب. بهذا أراح نفسي من التناقض.

السبب الثالث: طول الأمل والتسويف:
بعض الناس يعترف بالبعث نظرياً، لكنه يؤجله إلى آخر العمر: "سأتوب قبل أن أموت". لكن هذه الآية تكشف أن من يريد أن يفجر "أمامه" أي في كل مستقبله، فهو في الحقيقة لا يؤمن بالبعث، لأنه لو آمن به حقاً لاستعد له، ولو استعد له لما أخر التوبة إلى آخر لحظة.

مثال تقريبي يبين هذه الآلية:
لدينا طالب في الامتحان. هو يعرف أن الامتحان قريب، لكنه لا يذاكر. لماذا؟ لأنه "لا يريد" أن يذاكر. يريد أن يلعب ويسهر. فهو لا يشك في وجود الامتحان، لكنه يتمنى لو أن الامتحان ألغي. يتمنى لو أن هناك عذراً يمنع الامتحان. وإذا استمر في هذا التمني، قد يصل إلى درجة يقول فيها لنفسه: "ربما لن يكون هناك امتحان أصلا ". هكذا ينكر الامتحان في قلبه، ليبرر لنفسه انغماسه في اللهو. هكذا المنكر للبعث. لا يريد أن يحاسب، فيكذب بالحساب.

الأمر الخامس: النفس الأمارة بالسوء كأصل الانحراف

هذه الآية ترسم أمامنا الصورة المقابلة للنفس اللوامة، وهي النفس الأمارة بالسوء. فبينما النفس اللوامة تلوم صاحبها على التقصير وتدفعه للتوبة، فإن النفس الأمارة بالسوء تأمر صاحبه بالشر وتزينه له وتدفعه إلى الفجور.

ما هي النفس الأمارة بالسوء؟

هي النفس التي غلبت عليها الشهوة، واستولى عليها الهوى، وانقطعت عن ربها. هي نفس لا تلوم

صاحبها على الخطأ، بل تأمره به وتزينه له وتشجعه عليه. قال تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي}.

صفات النفس الأمارة بالسوء:

1. حب الشهوات والتعلق بالمتع: هي نفس أسيرة لشهواتها، لا ترى إلا لذة عاجلة، ولا تهتم بعاقبة آجلة.
2. عدم الشعور بالمسؤولية: لا تشعر أنها ستُسأل، أو أن عليها حساباً. تريد أن تأخذ وتتمتع دون أن ترد.
3. تكذيب القلب بالحقائق: وإن عرفت الحق بلسانها، فإن قلبها لا يصدق به صدقاً يؤثر في سلوكها.
4. التسويف وتأجيل التوبة: تعرف أن ما تفعله خطأ، لكن تقول: سأتوب لاحقاً. هذا التسويف من حبائلها.
5. التمكن من صاحبها: لا تقف عند حد، بل تستحوذ على صاحبها، فتصبح هي القائدة، وهو التابع.

كيف تؤدي النفس الأمارة إلى إنكار البعث؟

النفس الأمارة تريد أن تنطلق في الشهوات بلا قيود. تريد أن تأكل وتشرب وتنكح وتظلم وتأخذ، كل ما تشتهيه، دون رادع. الدين يحاسب، والله يراقب، واليوم الآخر ينتظر. هذه قيود. فما الحل عند النفس الأمارة؟ الحل أن تنكر هذه القيود. أن تنكر أن هناك يوماً للجزاء. أن تسأل ساخرة: "أيان يوم القيامة؟" كأنها تقول: هذا اليوم لن يأتي، أو سيأتي بعد حين بعيد لا يهمني.

وهكذا، الإنكار ليس نقص برهان، بل هو هروب من مسؤولية. والمسؤولية هذه تثقل على النفس الأ مارة فتحاول التخلص منها بتكذيبها.

النفس الأمارة هي أصل كل ذميمة:

نعم، النفس الأمارة بالسوء هي أصل كل صفة ذميمة، وأصل كل خطيئة، وأصل كل انحراف. لماذا؟

السبب الأول: لأنها مصدر الأوامر السيئة:
كل الذنوب تبدأ بفكرة في النفس، ثم يقبل عليها القلب، ثم تتحرك بها الجوارح. والنفس الأمارة هي التي تنتج هذه الأفكار، وتزينها، وتأمر بها. قال تعالى عن قابيل: {فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ}. تطوعت له نفسه، أي سهلت له، وزينت له، وأطاعته نفسُه في القتل. فالنفس هي التي أمرته بالجريمة الكبرى، وليس شيطاناً خارجياً فقط.

السبب الثاني: لأنها تجذب القلب إلى الشرور:
القلب في الأصل يميل إلى الخير، لكن النفس الأمارة تجذبه إلى الشر، حتى يصير الشر عنده مألوفاً، بل محبوباً.

السبب الثالث: لأنها تمكن من صاحبها:
النفس الأمارة إذا ضعف صاحبها، استولت عليه، فصار لا يملك لنفسه ردعاً. كالمريض الذي استولى المرض على جسده، فصار لا يستطيع حراكاً. والنفس الأمارة قد تستولي حتى على العقل، فيصبح العقل في خدمتها، يخطط لشهواتها، ويدبر لها سبل المعصية.

السبب الرابع: لأنها تسلب نور البصيرة:
النفس الأمارة تحجب عن القلب رؤية الحقائق. فيرى الإنسان الحسنة سيئة والسيئة حسنة. يرى البعث مستبعداً، والفجور طبيعياً. هذا هو العمى البصيري الذي يصيب من سيطرت عليه نفسه الأمارة.

السبب الخامس: لأنها تفتح باب الشيطان:
حينما تطاوع النفس الشيطان، وتأتمر بأمره، يصبح الشيطان قرينها، يزيّن لها المعصية، ويمنّيها الأماني، ويصرفها عن الحق. قال تعالى: {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}.

لهذا كانت النفس الأمارة أصل كل ذميمة، ولهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستعيذ منها، فيقول: "أعوذ بالله من شرور أنفسنا". فالشرور كلها تصدر عن النفس إذا أُرسلت وأُهملت، ولم تقمع وتزك.

كيف تعمل النفس الأمارة في توجيه العقل وتخطيط الجريمة؟ (مثال تقريبي)

لنأخذ مثالا ً: شخص يريد أن يسرق بيتاً. كيف تعمل نفسُه الأمارة؟

المرحلة الأولى: ظهور الرغبة:
تأتي فكرة في نفسه: "لو سرقت هذا البيت، سأحصل على مال كثير". هذه فكرة عابرة. العقل يعترض: "السرقة حرام، وعقوبتها شديدة، وقد يفضحك الله".

المرحلة الثانية: تزيين الفكرة:
النفس الأمارة تبدأ تزين السرقة. تقول له: "البيت صاحبه غني، لن يشعر بالمال القليل"، "الجميع يسرقون، ولماذا تكون أنت المغفل الوحيد؟"، "لن يكتشفوك، البيت خالٍ الآن". هذه تزيينات.

المرحلة الثالثة: إسكات صوت العقل (الضمير):
يظهر صوت داخلي يقول: "لا تفعل، هذا خطأ". لكن النفس الأمارة تسكت هذا الصوت: "ما هذا التحذلق ؟ ما هذا التزمت؟ عش حياتك، لا تكن ضعيفاً". وهكذا يموت الضمير تدريجياً.

المرحلة الرابعة: توجيه العقل للتخطيط:
بعد أن استسلم العقل، تصبح النفس هي القائدة. تأمر العقل: "خطط لي كيف أنفذ السرقة. متى أدخل؟ من أي باب؟ كيف أهرب؟". فيطيع العقل، ويخطط، ويدبر. وهكذا ينقلب العقل من رادع عن الشر إلى أداة لتنفيذه.

المرحلة الخامسة: التنفيذ:
تنفذ الجريمة. ثم تبدأ النفس الأمارة في مرحلة جديدة: التبرير، وتأجيل التوبة، وتكرار الفعل.

هذا المثال يبين كيف أن النفس الأمارة تحول العقل من قوة للخير إلى قوة للشر، وكيف أن حب الشهوات (المال هنا) هو القوة المحركة. الإنسان عبد لما يحب. من أحب الله، توجهت إرادته لله. ومن أحب الشهوات، توجهت إرادته للشهوات، وخدمه عقله لتحقيقها.

المحور الثاني: {يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القِيَامَةِ}

الأمر الأول: دلالة السؤال الاستهزائي وأبعاده النفسية

ما هو سؤال "أيان"؟
كلمة "أيان" تدل على الاستبعاد. الإنسان حين يسأل "أيان" كأنه يقول: "هذا الأمر بعيد جداً، لا يكاد يحدث". أو يسأل على سبيل التكذيب والاستهزاء، وليس على سبيل طلب المعرفة. إنه سؤال المُكذب، ليس سؤال المسترشد.

الفرق بين سؤال المؤمن وسؤال المنكر:

· المؤمن يسأل: "متى القيامة؟" ليستعد، لكنه يعلم أنها ستأتي لا محالة .قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل لما سأله عن الساعة: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل".
· المنكر يسأل: "أيان يوم القيامة؟" على سبيل الإنكار والاستبعاد، كأنه يقول: "لن تأتي أبداً، فهاتِ وقتها إن كنت صادقاً".

الأبعاد النفسية لهذا السؤال:

البعد الأول: التهكم والاستهزاء:
المنكر لا يسأل لأنه يريد أن يعرف، بل يسأل ليستهزئ. يريد أن يقول للمؤمنين: "أنتم تنتظرون شيئاً لن يأتي أبداً، يا له من غباء".

البعد الثاني: إبعاد القيامة في الذهن:
بسؤاله "أيان" يحاول أن يبعد يوم القيامة عن دائرة اهتمامه. يريد أن يجعله شيئاً بعيداً غامضاً لا يؤثر في سلوكه الحالي.

البعد الثالث: التبرير النفسي للفجور:
إذا كان يوم القيامة بعيداً إلى هذا الحد، فليفجر الإنسان في الدنيا، وليتوب قبل موته بقليل. هكذا

يخدع الإنسان نفسه بطول الأمل والتسويف.

الأمر الثاني: لماذا يسأل المنكر عن وقت القيامة وهو لا يؤمن بها؟

هذا سؤال مهم جداً يكشف عمق المرض النفسي. المنكر يسأل "أيان" لأنه يريد أن يؤكد لنفسه أن القيامة لن تأتي. كلما سأل أحداً: "متى القيامة؟" ولم يُجَبْ، ازداد اقتناعاً (الوهمي) أنها لن تقوم.

إنه مثل مريض نفسي يخاف من شيء، فيكرر السؤال عنه ليسمع الإجابة التي تطمئنه: "لا داعي للخوف". أو مثل إنسان يخاف من الامتحان فيسأل: "هل الامتحان حقاً الأسبوع القادم؟" لعل أحداً يقول له: "لا، تم تأجيله".

المنكر يسأل ليُسمع جواباً يبرر له فجوره: القيامة بعيدة، أو غير مؤكدة، أو هي خرافة. وهذا السؤال يريح نفسه المؤقتة، لكنه لا يغير الحقيقة.

الأمر الثالث: علاقة السؤال باستبعاد البعث بطول الأمل والغفلة

طول الأمل من أخطر أمراض النفس. يقول الإنسان: "سأتوب عندما أكبر"، "سأعمل صالحاً عندما أفرغ من ملذاتي"، "الموت بعيد". هذا طول الأمل يجعله يؤخر التوبة، ويؤخر الاستعداد.

علاقة طول الأمل بإنكار البعث:
الإنسان الذي طال أمله قد يصل إلى مرحلة يتمنى فيها ألا يكون هناك بعث أصلاً. لأنه لو آمن به لكان عليه أن يغير حياته الآن، وهذا صعب عليه. فيفضل أن يكذب به، ليرتاح من عناء التغيير. يسأل "أيان يوم القيامة؟" كأنه يقول: "هذا اليوم بعيد جداً إلى درجة أنه غير موجود أصلاً في وعيي".

الأمر الرابع: كيف أن هذا السؤال يكشف حقيقة ما في نفس الإنسان من إرادة الفجور

السؤال بـ "أيان" هو كشف للنفس. الإنسان لا يسأل بهذا الأسلوب إلا إذا كان في قلبه مرض. السؤال الاستهزائي المستبعد يفضح أن صاحبه ليس باحثاً عن الحقيقة، بل هارباً منها، متحايلاً عليها.

مثال تقريبي يبين هذه الحقيقة:
تخيل شخصين أتيا إلى الطبيب.

الأول: قال للطبيب: "أشكو من ألم في بطني، ما تشخيصك؟ وما علاجه؟". هذا سؤال مسترشد.

الثاني: قال للطبيب: "هل حقاً أنا مريض؟ متى سأموت إذا لم أتعالج؟ أتظن أن المرض سيقتلني؟" بنبرة ساخرة. هذا لا يريد علاجاً، بل يريد أن يهرب من حقيقة مرضه. يريد أن يسمع من الطبيب ما يبرر له إهمال صحته.

كذلك المنكر بالبعث: لو كان صادقاً في طلب المعرفة، لسأل: "ما الدليل على البعث؟ كيف سيكون؟". لكنه يسأل "أيان يوم القيامة؟" سؤالاً ساخراً، لأنه لا يريد أن يعرف، بل يريد أن يهرب، وأن يبرر فجوره.---

ثالثاً: دلالات الآية والجوانب البلاغية والخواطر والتأملات

الأمر الأول: دلالات الآية كمحفز لتحويل النص إلى سلوك

هذه الآيات تحفز الإنسان على ثلاثة أشياء:

.1مراجعة نيته وإرادته : أن يتوقف ليسأل نفسه: لماذا قد أتكاسل عن العبادة؟ لماذا قد أتكاسل عن التوبة؟ هل لأنني لا أريد البعث حقاً؟ هل في نفسي "إرادة فجور"؟ هذه المراجعة هي بداية الإصلاح.
.2كشف تلبيسات النفس : كثيراً ما نخدع أنفسنا، نقول: "أنا لا أصلي لأني مشغول"، "أنا لا أتوب لأني لم أجد الوقت" .الآية تكشف أن السبب الحقيقي هو "إرادة الفجور" .النفس تريد أن تمتع بشهواتها، فتبرر الكسل بأعذار واهية .فإذا عرف الإنسان هذا، استطاع أن يكشف تلبيس نفسه.
.3الاستعداد للحساب : بدلاً من السؤال الساخر "أيان يوم القيامة"، يتحول الإنسان إلى السؤال الجاد: "ماذا أعددت ليوم القيامة؟" .هذا السؤال وحده كفيل بتغيير حياة الإنسان.

الأمر الثاني: خواطر الآية وكيفية استشعارها

الخاطرة الأولى: مع "بل يريد الإنسان":
أنا من هذا الإنسان؟ هل في نفسي إرادة فجور؟ بلى، قد تكون. لكني سأجاهدها. هذا أول الطريق. لا تنكر، بل اعترف، ثم صحح.

الخاطرة الثانية: مع "ليفجر أمامه":
كم مرة أخرت توبتي قائلا ً: "سأتوب فيما بعد، الآن شبابي، سأتوب بعد الزواج، بعد التقاعد"؟ هذا هو "الفجور أمامه"، أن أمد الفجور أمامي ولا أقطعه. اللهم تب علي الآن، ولا تؤخرني إلى أجل.

الخاطرة الثالثة: مع "يسأل أيان يوم القيامة":
يا رب، لا تجعلني من الساخرين. لا تجعل يوم القيامة في عيني بعيداً، واجعله دائماً قريباً حاضراً في وجداني. حتى أعمل له، ولا أتساهل في ديني بسبب بعد الأمل.

الخاطرة الرابعة: الفرق بين نفس لوامة ونفس أمارة:
نفسي اللوامة تشعرني بالذنب حين أخطئ، وتدفعني للتوبة. نفسي الأمارة تزين لي الخطأ وتؤخر توبتي. أيتهما أتبع اليوم؟ اللهم أعني على نفسي الأمارة، وأحيِ في نفسي اللوامة.

الأمر الثالث: التصوير البياني في الآيات

تصوير إرادة الفجور:
"يُرِيدُ" و"لِيَفْجُرَ" و"أَمَامَهُ" هذه الكلمات الثلاث ترسم صورة إنسان جالس، وضع أمامه خطأ من الذنوب، وهو ينوي أن يخوض فيه كله، لا يريد أن يترك منه شيئاً. صورة شره لا يشبع، متطلع إلى المزيد.

تصوير السؤال الاستهزائي:
"يَسْأَلُ أَيَّانَ" ترسم صورة إنسان رافع حاجبيه، فاتح فمه ساخراً، يكرر السؤال في استنكار وتكذيب. صورة المتعالي الجاهل الذي يظن أن استبعاده يغير الحقائق.

الأمر الرابع: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

تغير الآية نظرتنا من "البحث عن أعذار" إلى "البحث عن علاج". كثيراً ما نضيع أعمارنا في البحث عن تبريرات لضعفنا وتقصيرنا. الآية تقول: كفى تبريراً. سبب تقصيرك ليس نقص البرهان، بل إرادتك الفاسدة. عالج إرادتك. احبس نفسك عن الشهوة، ووجهها إلى طاعة الله.

وتغير نظرتنا من "استبعاد البعث" إلى "استحضار البعث". لا تسأل ساخراً: متى القيامة؟ بل اجعل القيامة نصب عينيك. راقب نفسك كأنك واقف بين يدي الله الآن.

الأمر الخامس: تأملات ووقفات تدبرية

الوقفة الأولى: مع "بل":
قف طويلا ً مع كلمة "بل". هي كلمة الله لي، تخاطبني: ليس الأمر كما تظن، ليس التقصير لعدم العلم. بل هو إرادة منك. فلتكن هذه الوقفة صحوة.

الوقفة الثانية: مع "يريد الإنسان":
اسأل نفسك: ماذا تريد نفسي حقا؟ هل تريد الجنة والرضوان، أم تريد الفجور والشهوات؟ الأجوبة قد تكون مخيفة، لكنها ضرورية.

الوقفة الثالثة: مع "ليفجر أمامه":
تأمل: هل لدي أي ذنب أؤجله، أقول: سأتوب منه لاحقا؟ هذا هو "الفجور أمامه". اجعل توبتك الآن.

الوقفة الرابعة: مع "يسأل أيان يوم القيامة":
هل تسأل عن القيامة سؤال المستبعد، أم سؤال المستعد؟ عندما يأتيك الخاطر: "متى القيامة؟"، قل لنفسك: إنها أقرب إليك من حبل الوريد. استعد.

رابعاً: ربط الآيات بقسم النفس اللوامة والخلاصة النفسية الكبرى

هذا هو المقام الذي يجمع كل ما سبق.

النفس الأمارة بالسوء (التي وُصفت في آيتنا): تأمر صاحبها بالشر، تزين له الفجور، تدفعه لتأجيل التوبة، تجره إلى سؤال "أيان" الاستهزائي، وتجعله ينكر البعث أو يغفل عنه. هي نفس أسيرة الشهوة، لا تريد رقيباً، ولا تريد حساباً.

النفس اللوامة (التي أقسم الله بها في مطلع السورة): هي الضد. هي التي تلوم صاحبها على التقصير، وتزجره عن الفجور، وتذكره بالآخرة، وتدفعه إلى التوبة. هي نفس حية يحبها الله.

العلاقة بينهما:
النفس الأمارة هي "مرض"، والنفس اللوامة هي "الدواء". الآية {بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} تصف المرض. والقسم بـ {النَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} في بداية السورة هو وصف الدواء. من أراد النجاة، فليحول نفسه من أمارة إلى لوامة.

كيف يتحول الإنسان؟:
بأن يكشف حقيقة دوافعه، ويعترف أن سبب تقصيره ليس نقص الدليل، بل ضعف إرادته. ثم يعمل على تقوية إرادته بالعبادة والذكر ومجاهدة النفس. وعندها تتحول النفس من آمرة بالشر إلى لائمة عليه، ثم إلى مطمئنة.

الشعور بالمسؤولية والفاعلية الإيجابية:
من لديه نفس لوامة، يشعر بالمسؤولية تجاه كل أفعاله. هذا الشعور يجعله "فاعلا ً إيجابيا"، يبادر إلى الخير، ولا ينتظر من يحاسبه. أما من لديه نفس أمارة، فهو عديم المسؤولية، يتصرف كيفما شاء، ويكذب بالبعث ليبرر لنفسه. فاعليته "سلبية"، لأنه لا ينتج خيراً، بل ينتج شراً وإفساداً.

إذاً، خلاصة سورة القيامة في آياتها الأولى:

·} لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ {← تذكير بالمصير.
·} وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ {← تزكية الضمير.
·} أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّنْ نَّجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ {← دليل القدرة على البعث.
·} بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ {← كشف العائق الحقيقي: النفس الأمارة وإرادة الفجور.
·} يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ {← أثر هذا العائق: الاستهزاء والاستبعاد.

إذاً، من أراد الهداية، فعليه أن يكشف هذه الإرادة الفاسدة في نفسه، وأن يحاسبها، وأن ينتقل من دائرة "بل يريد ليفجر" إلى دائرة "نفس لوامة". وهذا هو جوهر التزكية.

خامساً: أهم التوجيهات والرسائل

الأمر الأول: اهم التوجيهات

.1لا تخدع نفسك : لا تقل أن سبب تقصيرك هو قلة العلم أو ضعف الأدلة .اسأل نفسك: هل السبب الحقيقي هو أنك لا تريد أن تترك شهوتك؟
.2عالج إرادتك قبل عقلك : قد يكون عقلك مقتنعاً تماماً بالبعث، لكن إرادتك لا تريد أن تعمل له . فعليك أن تعالج إرادتك بالمجاهدة والعبادة.
.3لا تؤجل توبتك : "سأتوب لاحقاً" هو فخ من النفس الأمارة .توب الآن .فربما لا يأتي "لاحقاً".
.4لا تسأل سؤال المستبعد : لا تقل: "متى القيامة؟" باستخفاف .بل قل: "ما أعددت للقيامة؟" .هذا السؤال يغير حياتك.

الأمر الثاني: تذكير بالنفس اللوامة كقوة حماية

النفس اللوامة هي القوة التي تحمي الإنسان من الانحراف. هي الصوت الداخلي الذي يقول لك عندما تهم بذنب: "أين الله؟ أين الحساب؟ أين الحياء؟". فإذا أطعت هذا الصوت، نجوت. وإذا كتمته واستمررت في الفجور، مات الضمير، وسيطرت النفس الأمارة، وصار الفجور عادة، وإنكار البعث أمراً

طبيعياً.

لذلك، يقول العارفون: إن النفس كالرحى الدائرة التي لا تسكن. لابد أن تطحن شيئاً. فإن وضعت فيها حباً طيباً، طحنته وأخرجت دقيقاً نافعاً. وإن وضعت فيها حصى وتراباً، طحنته وأخرجت غباراً ضاراً. أفكار الإنسان وخواطره هي ما يوضع في رحى نفسه. من فكر في الخير والآخرة والحق، طحنت نفسه ذلك وأخرجت عملا ً صالحاً. ومن فكر في الشهوات والملذات والتكذيب، طحنت نفسُه ذلك فأخرجت فجوراً وضلالا ً.

الأمر الثالث: نهاية السورة بداية الطريق

أخي الكريم،

إن الله لم يتركك حائراً. بين لك الطريق: طريق النفس اللوامة، وطريق النفس الأمارة. أنت من يختار.

إن أردت النجاة، فاحاسب نفسك قبل أن تحاسب. وزن أعمالك قبل أن توزن. استعد للعرض الأكبر. تذكر قول عمر رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، وتزينوا للعرض الأكبر".

واعلم أن يوم القيامة ليس بعيداً كما يحسب الغافلون. هو قريب، وأنت في كل يوم تقترب منه خطوة. فماذا أعددت له؟

خامسا : أهم الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية)
الأمر الأول: كيفية ترويض النفس وتوجيهها بلوم إيجابي في ضوء الآيتين5 -6

ترويض النفس في ضوء هذه الآيات يعني: ترويضها على كشف إرادة الفجور فيها، وتوجيهها نحو محاسبة هذه الإرادة، ثم تحويلها من أمارة بالسوء إلى لوامة.

الخطوة الأولى: كشف التلبيس) ترويض النفس على الصدق مع الذات(:
النفس الأمارة ماهرة في التلبيس .ستقول لك: "أنت لا تترك الذنب لأنك ضعيف الإرادة"، "أنت لا تصلي لأنك مشغول"، "أنت تؤخر التوبة لأن الوقت غير مناسب" .الآية تقول: لا، بل تريد لتفجر أمامه . الترويض هنا هو أن تروض نفسك على الصدق .أن تقول لنفسك: "أنا لا أترك هذا الذنب لأنني أحبه، وأريد أن أستمر فيه، وأخاف أن أفقده" .هذا الاعتراف هو أول خطوة في الترويض.

الخطوة الثانية: مواجهة إرادة الفجور) ترويض النفس على المقاومة(:
بعد أن اعترفت بوجود الإرادة الفاسدة، يأتي دور المقاومة .رَوِّضْ نفسك على أن تقول لها: "أنا أعرف أنك تريدين الفجور، لكنني سأخالفك .سأفعل عكس ما تريدين" .إذا أرادت النفس النوم عن صلاة الفجر، رَوِّضْها على القيام .إذا أرادت النظر إلى الحرام، رَوِّضْها على غض البصر .المقاومة المستمرة تروض النفس وتضعف سلطانها.

الخطوة الثالثة: تحويل سؤال "أيان" إلى سؤال "ماذا أعددت":
النفس الأمارة تسأل: "متى القيامة؟" للتكذيب والاستبعاد .رَوِّضْ نفسك على ألا تسأل هذا السؤال أصلا ً .بدلا ً منه، رَوِّضْها على سؤال: "ماذا أعددت ليوم القيامة؟" .هذا السؤال يغير اتجاه النفس من التكذيب إلى الاستعداد.

الخطوة الرابعة: تقصير الأمل) ترويض النفس على عكس ما تأمر به(:
النفس الأمارة تأمر بطول الأمل: "سأتوب بعدين، المستقبل طويل" .رَوِّضْ نفسك على تقصير الأمل . تذكر أن الموت يأتي بغتة .عش كل يوم كأنه آخر يوم في عمرك .هذا الترويض يقطع الطريق على التسويف.

الخطوة الخامسة: استحضار النفس اللوامة كبديل:
كلما شعرت بأن نفسك تأمرك بفجور، استحضر النفس اللوامة .تأمل: كيف ستلومك نفسك بعد أن تفعل هذا الذنب؟ كيف ستندم؟ هذا الاستحضار يردعك قبل الوقوع.

الفرق بين الترويض والقمع هنا:

· القمع: أن تكتم صوت الرغبة في نفسك بالعنف، فتزداد الرغبة تمرداً.

· الترويض: أن تعترف بوجود الرغبة، ثم تخالفها بوعي واختيار، وتستبدلها برغبة أقوى) حب الله و الجنة.(

الأمر الثاني: ما هو النقد الذاتي البناء وفق ما تصوره الآية، وكيف نفعله دون جلد الذات

النقد الذاتي البناء هنا: هو أن تنقد في نفسك ليس الفعل فقط، بل الإرادة التي تقف خلف الفعل . تسأل نفسك: "لماذا أخطأت؟ هل لأني لم أعرف الحكم؟ أم لأني أردت المعصية وأحببتها؟" .هذا النقد أعمق من مجرد نقد الفعل.

كيف تنقد إرادتك دون أن تجلد ذاتك:

الأسلوب الأول: الفصل بين الإرادة السيئة والذات:
لا تقل: "أنا إنسان سيء لأني أريد الفجور" .قل: "في نفسي إرادة سيئة، وهذا مرض يحتاج إلى علاج" . أنت لست إرادتك السيئة .أنت العبد الذي يحاول أن يروض نفسه.

الأسلوب الثاني: نقد الدافع لا الفعل فقط:
بدلا ً من أن تقول: "لقد غششت في العمل، أنا فاشل" .قل: "ما هو الدافع الذي جعلني أغش؟ هل كان حب المال؟ هل كان الخوف من الفقر؟ هذا الدافع يحتاج إلى علاج".

الأسلوب الثالث: المواجهة بالعلاج لا باللوم:
بعد أن تعرفت على الإرادة الفاسدة، لا تكتف بلومها، بل ابحث عن علاج .اسأل: "كيف أضعف هذه الإ رادة؟ كيف أقوي إرادة الخير في نفسي؟" .النقد بدون علاج هو جلد للذات.

الأسلوب الرابع: استحضار عواقب الفجور:
النقد البناء هو الذي يذكر النفس بعواقب الفجور: غضب الله، سوء الخاتمة، الحساب العسير .هذا التذكير ليس جلداً، بل هو رحمة بالنفس.

الأسلوب الخامس: التحول من "بل يريد" إلى "بل أريد أن أتوب":
كلما قالت لك نفسك: "بل تريد لتفجر"، قل لها أنت: "بل أريد أن أتوب وأصلح" .هذا التحويل اللغوي يحول الطاقة السلبية إلى إيجابية.

الأمر الثالث: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا

الآية تدعونا إلى ثمانية أمور عظيمة:

.1تدعونا إلى الصدق مع النفس : أن لا نخدع أنفسنا بأعذار واهية، وأن نعترف بأن سبب تقصيرنا غ البا هو حبنا للشهوات، وليس نقص العلم.
.2تدعونا إلى كشف إرادة الفجور : أن نرصد في أنفسنا كل رغبة تدفعنا إلى معصية، ونواجهها بوعي.
.3تدعونا إلى عدم الاستهانة بيوم القيامة : أن لا نسأل عنه بسخرية أو استبعاد، بل نجعله حاضراً في وعينا.
.4تدعونا إلى تقصير الأمل : أن لا نؤجل التوبة إلى المستقبل، فنعيش حياتنا كلها على أنها فرصة أخيرة.
.5تدعونا إلى مجاهدة النفس : أن نعرف أن العدو الأكبر ليس خارجنا، بل داخلنا .فهو النفس الأمارة.
.6تدعونا إلى تحويل السؤال : من "متى القيامة؟" إلى "ماذا أعددت للقيامة؟".
.7تدعونا إلى ربط السلوك بالعقيدة : أن نعلم أن تصديقنا بالبعث الحقيقي يظهر في سلوكنا، وليس فقط في أقوالنا.
.8تدعونا إلى الاستعداد الدائم : لا نعلم متى تقوم القيامة، لكننا نعلم أنها قادمة، فعلينا الاستعداد لها في كل لحظة.

الأمر الرابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم في مجال تزكية النفس:

· أن نرصد في أنفسنا "إرادة الفجور" ونتعامل معها.
· أن نعرف أن التكاسل عن الطاعة سببه غالباً حب الشهوات، لا ضعف الإيمان النظري.

· أن نراجع أنفسنا يومياً: هل تصرفت اليوم بدافع حب الله، أم بدافع حب الشهوات؟

نتعلم في مجال الدعوة إلى الله:

· عندما تدعو إنساناً إلى الله ولا يستجيب، لا تظن أن السبب قلة بيانك أو ضعف حجتك .قد يكون السبب هو "بل يريد ليفجر أمامه".
· استخدم أسلوب كشف الإرادة في دعوتك: اسأل المدعو: "هل السبب الحقيقي لتركك للدين هو أنك تخاف أن تفقد شيئاً تحبه؟".

نتعلم في مجال التربية:

· عندما يخطئ ابنك أو تلميذك، لا تكتف بتوبيخه على الخطأ .اسأله عن الدافع .ما الذي جعله يفعل هذا؟ هل هو حب شيء حرمته عليه؟ عالج الدافع، وليس فقط الفعل.
· علم أبناءك أن يسألوا أنفسهم: هل أنا أترك الواجب لأني لا أعرف أهميته، أم لأني مشغول بشهوتي؟

نتعلم في مجال العمل:

· إذا كنت تؤخر إنجاز عملك، اسأل نفسك: هل السبب قلة الوقت، أم أن نفسك تريد أن تسوف وتكسل؟ واجه هذه الإرادة.
· إذا كنت تتهاون في الأمانة، اسأل نفسك: هل أنا لا أعرف أن الأمانة واجب، أم أن نفسي تحب المال الحرام؟ عالج حب المال.

نتعلم في مجال التعامل مع الذنوب:

· لا تقل: "سأتوب بعدين" .هذه حيلة النفس الأمارة .تب الآن.
· لا تسأل: "متى تقوم الساعة؟" لترتاح في ذنبك .بل عش كأن الساعة تقوم في هذه اللحظة.

الأمر الخامس: الدروس من الآية في حياتنا العملية
الدرس الأول: العذر الواهم لا ينفع:
كثير من الناس يعتذرون عن تقصيرهم بأعذار: "الظروف صعبة"، "القلب قاس"، "الشيطان غلبني" .الآية تزيل هذه الأعذار كلها: بل أنت تريد لتفجر أمامه .أي أن العذر الحقيقي هو إرادتك أنت .هذا الدرس القاسي الرحيم في آن واحد يوقظ الإنسان من غفلة التبرير .فإذا عرفت أن المشكلة في إرادتك، كان الحل في يدك .غير إرادتك، يتغير كل شيء.

الدرس الثاني: من أراد الفجور كذب بالجزاء:
قانون نفسي ثابت: من أصر على ذنب، بدأ يهون في قلبه أمر العقاب، ثم ينكره .فمن داوم على شرب الخمر، بدأ يستهين بحرمتها، ثم يشك في وجود الله أو في حكمة التحريم .احذر من هذا المسلك .لا تدع ذنباً يجرك إلى تكذيب الحق.

الدرس الثالث: طول الأمل حيلة شيطانية:
الشيطان لا يأمرك بأن تترك الدين كله دفعة واحدة .يأمرك أن تؤخر التوبة: "اليوم اعص، وغداً تب" . وهكذا يمضي العمر ولا توبة .هذا هو "الفجور أمامه" أن تمد الفجور أمامك ولا نقطعه .فاقطع طول ا لأمل من جذوره، وتب اليوم قبل الغد.

الدرس الرابع: السؤال الاستهزائي كاشف:
كيف تسأل عن القيامة؟ إذا كنت تسأل سؤال مسترشد، فبئس ما تصنع .وإذا كنت تسأل سؤال مستهزئ، فانتبه لنفسك .فسؤالك يكشف ما في قلبك.

الدرس الخامس: النفس الأمارة أصل كل شر:
كل معصية في الدنيا، وكل كفر، وكل نفاق، أصله نفس أمارة بالسوء لم تزكّ .فاهتمامك الأول في حياتك يجب أن يكون بتزكية نفسك .أصلح نفسك تصلح حياتك كلها.

الدرس السادس: النفس اللوامة هي الحصن:
إذا أردت أن تحمي نفسك من "إرادة الفجور"، فعليك بالنفس اللوامة .حاسب نفسك كل يوم .لا تترك خطأً دون أن تلوم نفسك عليه وتتوب منه .هذه المراجعة اليومية هي الحصن الذي يمنع النفس الأ مارة من الاستيلاء عليك.

الدرس السابع: لا تنتظر معجزة لتتوب:
بعض الناس ينتظرون علامة أو معجزة أو رؤيا ليتوبوا .الآية تقول: العلامات موجودة، والبراهين واضحة) العظام، البنان .(المشكلة ليست في قلة الأدلة، بل في إرادتك .فبادر إلى التوبة، ولا تنتظر معجزة.

الدرس الثامن: الموت أقرب مما تظن:
المنكر يسأل: "أيان يوم القيامة؟" مستبعداً .المؤمن يعلم أنها قد تأتي في أي لحظة .فالموت لا يستأذن ، والقيامة بعد الموت مباشرة في شعور الميت .فعش كأن ساعتك قد دقت.

خامساً: مفاهيم وأبعاد وآفاق وقيم الآية(

الأمر الأول: آفاق وأبعاد الآية

البعد الأول: البعد النفسي العميق:
الآية تكشف عن أعماق النفس البشرية .تظهر أن الإنسان ليس كائناً عقلانياً بحتاً، كما يظن بعض الفلا سفة .بل هو كائن تتقاتل فيه دوافع مختلفة: دوافع عليا) حب الخير، حب الله، حب العدل (ودوافع دنيا) حب الشهوات، حب المتعة، الهروب من المسؤولية .(والآية تظهر أن الدوافع الدنيا هي الغالبة غ البا، وأنها هي التي تقود إنكار البعث .هذا البعد النفسي يجعل الآية صالحة لكل زمان، لأن النفس البشرية لم تتغير.

البعد الثاني: البعد الأخلاقي:
الآية تؤسس لأخلاق قائمة على "الدافع الداخلي" .الإنسان الفاجر يفعل الشر لأنه لا يوجد من يراه؟ ك لا، بل لأنه لا يريد أن يراه أحد .هو يريد التخلص من فكرة أن الله يراه .فالآية تقول أن الانحلال ا لأخلاقي ليس ضعف القانون، بل ضعف الإيمان بالمراقبة الإلهية .فالحل الأخلاقي الحقيقي هو إحياء النفس اللوامة، لا فقط تشديد العقوبات.

البعد الثالث: البعد الوجودي:
تجيب الآية عن سؤال: لماذا الإنسان ينكر الحق مع وضوحه؟ لأن الحق قد يكون ضد مصلحته المباشرة .الإنسان يريد أن يعيش بلا قيود، فينكر الحق الذي يقيده .هذا كشف وجودي عميق: الحقيقة ليست دائماً مرغوبة .الناس قد يؤثرون الوهم المريح على الحقيقة المؤلمة.

البعد الرابع: البعد الدعوي والتربوي:
تقدم الآية منهجاً في الدعوة: إذا رأيت مدعواً يعاند ولا يستجيب، فلا تكرر الأدلة فقط .حاول أن تكشف له العائق النفسي في نفسه .اسأله بلطف: "هل أنت خائف من أن تفقد شيئاً إذا آمنت؟ هل هناك شهوة تمنعك من التصديق؟" .هذا الأسلوب أعمق من مجرد الجدال العقلي.

البعد الخامس: البعد الاجتماعي الحضاري:
المجتمع الذي تسيطر عليه "النفس الأمارة" وتنتشر فيه "إرادة الفجور" هو مجتمع ينهار من الداخل . أفراده لا يشعرون بالمسؤولية، يسرقون، يظلمون، يغشون، ولا يخافون حساباً .المجتمع الذي تسيطر عليه "النفس اللوامة" هو مجتمع تسوده الأمانة والعدل والإتقان .فالآية تحمل رؤية لإصلاح المجتمع عبر إصلاح النفس الفردية .وهذا من أعظم آفاقها.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفوس وكيفية تطبيقها

القيمة الأولى: قيمة الصدق مع النفس:
تغرس الآية أن أصدق الناس من يواجه إرادته الفاسدة ولا يخدع نفسه بأعذار واهية.
التطبيق: كل ليلة، اجلس مع نفسك واسألها: ما الدافع الحقيقي وراء تقصيري اليوم؟ هل هو حب الراحة؟ هل هو حب المال؟ اعترف، ثم عالج.

القيمة الثانية: قيمة تحمل المسؤولية:
لا تلق اللوم على الظروف أو الشيطان أو الناس .أنت من تريد أن تفجر .أنت المسؤول.
التطبيق: عندما تخطئ، لا تقل: "الشيطان أضلني" .قل: "أنا اخترت أن أطيع الشيطان" .هذا الاعتراف يرد إليك زمام المسؤولية.

القيمة الثالثة: قيمة الاستعداد الدائم:
لا تؤجل التوبة .الحياة قصيرة، والموت قريب.
التطبيق: اتخذ قراراً اليوم، الآن، بتغيير عادة سيئة واحدة .لا تقل "سأبدأ من الغد".

القيمة الرابعة: قيمة تقدير الآخرة:
لا تسأل عن يوم القيامة بسخرية أو استبعاد .اجعله حاضراً في قلبك.
التطبيق: اقرأ وصف يوم القيامة في القرآن كل أسبوع .تخيل نفسك فيه .هذا التصور يجعله حياً في وعيك.

القيمة الخامسة: قيمة مجاهدة النفس:
النفس الأمارة عدو، والجهاد الأكبر هو جهادها.
التطبيق: ابدأ بجهاد صغير: اترك ذنباً واحداً كنت مدمنًا عليه .حارب نفسك فيه .هذا الانتصار يعطيك قوة لمحاربة غيره.

القيمة السادسة: قيمة البصيرة:
أن ترى الحقائق رغم أن هواك يريد غيرها.
التطبيق: اقرأ نقداً لآرائك ومعتقداتك .اسأل من يخالفك الرأي .قد تجد في كلامه حقاً يخالف هواك .ا لانفتاح على النقد يقوي البصيرة.

القيمة السابعة: قيمة الإرادة القوية:
لا تكن عبداً لشهواتك .إرادتك أقوى مما تظن.
التطبيق: مارس تدريبات الإرادة: صم يوماً إضافياً، قم للصلاة قبل الفجر بنصف ساعة، اترك مشاهدة شيء تحبه .كل تمرين يقوي إرادتك.

الأمر الثالث: المفاهيم
المفهوم الأول: مفهوم "إرادة الفجور":
هي الإرادة الفاسدة التي تدفع الإنسان إلى المعصية والتمادي فيها وعدم التوبة .تختلف عن الضعف العادي؛ فهي إصرار واستمرار وتبرير .هذا المفهوم يفسر لماذا يعاند الإنسان الحق رغم وضوحه.

المفهوم الثاني: مفهوم "الفجور أمامه":
هو الاستمرار في الفجور مستقبلا ً، مد الأيام بالمعاصي، وتأجيل التوبة .وهو أشد أنواع الفجور لأن صاحبه لا يرى لنفسه نهاية، ولا يخطط للرجوع.

المفهوم الثالث: مفهوم "السؤال الاستهزائي":
هو السؤال الذي لا يطلب جواباً، بل يطلب تكذيباً أو تهكماً .يعكس حالة من الكبر والاستعلاء على الحق.

المفهوم الرابع: مفهوم "النفس الأمارة كأصل الانحراف":
النفس الأمارة هي المصدر الأول لكل شر .هي التي تزين، وتأمر، وتطوع .فكل خطيئة تبدأ بها .تزكية النفس هي علاجها.

المفهوم الخامس: مفهوم "طول الأمل كحيلة":
هو تأجيل التوبة إلى المستقبل، والاعتماد على بقاء العمر .هو حيلة من الشيطان والنفس الأمارة لا ستدامة المعصية.

المفهوم السادس: مفهوم "العلاقة بين الإرادة والتصديق":
لا ينفصل التصديق القلبي عن الإرادة .من أراد الفجور، سيميل إلى تكذيب البعث .ومن أراد الخير، سيميل إلى التصديق .الإرادة تؤثر في المعرفة، وليس العكس فقط.

الأمر الرابع: كيف يمكن تحويل هذه المفاهيم إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية

أولا ً: تحويل المفهوم إلى طاقة بناء الإنسان الفرد:

من خلال برنامج عملي قائم على "كشف الإرادة" ثم "تغييرها" .الإنسان الذي يعترف بأن سبب تقصيره هو "بل يريد ليفجر" قد قطع نصف الطريق .النصف الثاني هو أن يعزم على تغيير هذه الإرادة .يمكن بناء الإنسان عبر:

· مشروع التوبة اليومية: ألا يبيت على ذنب دون توبة.
· مشروع المراجعة الذاتية: جلسة نقد ذاتي لا تتجاوز 10 دقائق يومياً.
· مشروع تقوية الإرادة: تمارين يومية في مخالفة الرغبات الصغيرة.
· مشروع استحضار الآخرة: قراءة يومية في صفات يوم القيامة لتظل حاضرة.

ثانياً: تحويل المفهوم إلى طاقة بناء المجتمع:

المجتمع الذي يفهم أن سبب الفساد هو "إرادة الفجور" لا الجهل فقط، سيتجه إلى حلول أعمق .بدلا ً من الاقتصار على القوانين والعقوبات، سيعمل على تربية النشء على "النفس اللوامة"، وتنمية الشعور بالمسؤولية الداخلية .المشاريع المجتمعية المقترحة:

· مجالس المحاسبة الذاتية: مجموعات صغيرة تلتقي أسبوعياً لمراجعة النفس وتشجيع بعضها على التوبة.
· مناهج تزكية النفس: تدريس "فقه النفس" في المدارس والجامعات.
· الإعلام الواعي: لا يركز فقط على أخبار الجرائم، بل على قصص التوبة والتغيير، ليكون نموذجاً يحتذى.

ثالثاً: تحويل المفهوم إلى طاقة بناء الحضارة الإسلامية:

النهضة الحقيقية تبدأ من إصلاح النفوس .والأمة التي يكثر فيها أفراد "يريدون ليفجرون أمامهم" هي أمة آيلة للسقوط .والأمة التي يكثر فيها أفراد يحاسبون أنفسهم ويراقبون الله هي أمة تقوم لها حضارة .كيف نصنع هذه الحضارة؟

· الاقتصاد: تاجر يعلم أنه سيسأل عن ربحه من أين اكتسبه وأين أنفقه، لن يغش ولن يربو ولن يحتكر .هذا السلوك الفردي يبني اقتصاداً أخلاقياً قوياً.
· الإدارة: موظف يعلم أنه سيسأل عن وقته وأمانته، لن يتسكع، ولن يختلس، ولن يهمل عمله .هذا يبني إدارة منتجة شفافة.
· القضاء: قاض يعلم أنه سيسأل عن أحكامه، لن يحابي ولن يظلم، سيعدل حتى على نفسه.
· الإعلام: صحفي يعلم أنه سيسأل عن كلمته، لن ينشر شائعات، ولن يتاجر بالأعراض.

حين يتحول كل فرد في المجتمع إلى "نفس لوامة"، يتحول المجتمع كله إلى "مجتمع لوام" يراجع نفسه ويصحح أخطاءه ويبني حضارته على أسس ثابتة .هذا هو طريق النهضة الذي رسمه القرآن.

رابعاً: صناعة التطور والنهضة والتقدم من خلال معالجة "إرادة الفجور":

الغرب بنى نهضته على العلم والقوانين، لكنه أهمل تزكية النفس، فأنتج إنساناً استهلاكياً شهوانياً يلهث وراء المتع، ويرفض أي تقييد أخلاقي .القرآن يقدم نموذجاً آخر: نهضة تقوم على العلم والقوانين، لكن أيضاً على تزكية النفوس وإحياء الضمير .هذا النموذج أقدر على الاستمرار، لأنه يبني الإنسان من الداخل.

إذا أردنا النهضة الحقيقية، فعلينا:

.1أن نعترف أن مشكلتنا ليست فقط في التخلف التقني، بل في فساد النفوس وضعف الضمير.
.2أن نعمل على تزكية أنفسنا قبل أن نطالب الآخرين بتغيير القوانين.
.3أن نبدأ بالأفراد: كل إنسان يصلح نفسه، يصلح مجتمعه.
.4أن نزرع في الأجيال القادمة "النفس اللوامة" قبل أن نزرع فيهم المهارات التقنية .فبدون الضمير الحي، تصبح المهارات أسلحة هدم لا بناء.

الأمر الخامس: أهمية الأسلوب القرآني الذي تجسده الآية في إعداد وتأهيل وتدريب وإصلاح الإنسان

أولا ً: أهمية أسلوب "بل" الإضرابية:
أسلوب "بل" هو من أعظم أساليب القرآن في فضح التلبيس .المربي إذا أراد أن يصحح خطأ في تلميذه، عليه ألا يكتفي بذكر الصواب، بل ينفي الخطأ أولا ً ب- "بل" .مثلا ً: "ليس السبب أن العلم قاصر، بل أنت تريد أن تفجر" .هذا الأسلوب يزيل الأعذار الوهمية ويوصل إلى الجذر الحقيقي للمشكلة.

ثانياً: أهمية أسلوب كشف الدوافع:
القرآن لا يكتفي بوصف السلوك، بل يبحث عن الدافع وراءه .في الآية، لم يقل فقط "الإنسان يكذب بـ البعث"، بل قال "بل يريد ليفجر" .هذا الأسلوب يعلم المربي والمصلح أن يبحث عن الدوافع الخفية وراء السلوكيات الظاهرة .لماذا ابنك يكذب؟ ليس فقط لأنه يتعلم الكذب، بل ربما لأنه يريد شيئاً يخاف أن تمنعه منه .ابحث عن الدافع تعالج السلوك.

ثالثاً: أهمية أسلوب ربط العقيدة بالسلوك:
الآية تربط بين إنكار البعث وإيثار الفجور .هذا الأسلوب يعلم الإنسان أن عقيدته ليست مجرد أفكار في رأسه، بل هي قوة تحرك سلوكه .فإذا كان سلوكك فاسداً، فربما عقيدتك تحتاج إلى مراجعة .هذا الأسلوب يمنع الفصل المشين بين "الإيمان النظري" و"السلوك العملي".

رابعاً: أهمية أسلوب السؤال الاستفهامي الناقد:
"أيان يوم القيامة؟" السؤال هنا ليس سؤال مسترشد، لكنه يصلح أن يكون سؤالا ً ناقداً للنفس . يمكن للمربي أن يسأل تلميذه: "لماذا تسأل متى القيامة؟ هل تريد أن تؤخر التوبة إلى ذلك اليوم؟" . هذا السؤال يفضح دوافعه ويوقظ ضميره.

خامساً: أهمية الأسلوب في بناء المسؤولية:
الآية تحمّل الإنسان مسؤولية إرادته .لا تترك له مساحة للهروب ."أنت تريد، أنت المسؤول" .هذا الأ سلوب يبني إنساناً ناضجاً يتحمل تبعات اختياراته، ولا يلقي باللوم على غيره.

سادساً: الأسلوب القرآني كمنهج للتدريب العملي:

يمكن استخدام هذه الآية في برامج التدريب على تزكية النفس عبر الخطوات التالية:

.1تمرين كشف الإرادة: اكتب قائمة بثلاثة ذنوب تكررها .بجانب كل ذنب، اكتب الدافع الحقيقي وراءه) ليس العذر، بل الدافع .(ستكتشف أن معظم الدوافع هي "أريد أن أستمتع، أريد أن أرتاح، لا أريد أن أحاسب".
.2تمرين مواجهة النفس: عندما يخطر ببالك سؤال "متى القيامة؟" باستخفاف، أوقف نفسك فوراً، وقل: "هذا سؤال المستهزئ، أنا أريد أن أستعد".
.3تمرين تقصير الأمل: كل يوم، قل لنفسك: "ربما أموت الليلة" .عش هذا الشعور .دقيقة واحدة يومياً كافية لتغيير نظرتك للحياة.
.4تمرين تحويل السؤال: بدلا ً من "متى القيامة؟"، اسأل كل مساء: "إذا قامت القيامة الليلة، هل سأكون راضياً عن يومي؟".

رسالة ختامية جامعة

أخي الكريم،

آيتا سورة القيامة الخامسة والسادسة ليستا مجرد إخبار عن منكري البعث في الماضي، بل هما مرآة لكل إنسان، ومنهج حياة لكل مؤمن، وتحذير لكل غافل.

تذكر:

· عندما تكسل عن العبادة، لا تقل: "ليس عندي وقت" .قل: "نفسي تريد أن ترتاح، وسأخالفها".
· عندما تؤخر التوبة، لا تقل: "سأتوب بعدين" .قل: "نفسي تريد أن تمتعني بالذنب، وسأقطع هذا التمتع الآن".
· عندما يستبعد قلبك يوم القيامة، لا تقل: "إنه بعيد" .قل: "هذه حيلة نفسي الأمارة لأغفل، وسأقاومها".

اعلم أن الله لم يتركك بلا سلاح .السلاح هو "النفس اللوامة" التي أقسم بها .فعش معها، وحاسب بها، وتوب عليها .اجعلها رفيق دربك.

وإذا شعرت يوماً أنك غارق في الشهوات، وأن صوت الضمير قد خفت، وأنك تسأل عن القيامة ساخراً أو مستبعداً، فاعلم أن نفسك الأمارة قد استولت عليك .فاستعذ بالله، وتب توبة نصوحاً، وعد إلى طريق النفس اللوامة.

فإن الله يقول:} وَالذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَهُمْ سُبُلَنَا .{جاهد نفسك، يهدك الله
اللهم أحي فينا النفس اللوامة، وأمِت عنا النفس الاماره .
رابعا
هذا تفسير الآيات من 7 إلى 13

بسم الله الرحمن الرحيم

}فَإِذَا بَرِقَ البَصَرُ * وَخَسَفَ القَمَرُ * وَجُمِعَ الشَمْسُ وَالقَمَرُ * يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المَفَرُ * كَلا لا وَزَرَ *إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المُسْتَقَرُ * يُنَبَأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَمَ وَأَخَرَ * بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ ألقَى مَعَاذِيرَهُ{

أولا ً: تفسير الآية وفق المنهجية المطلوبة

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية تربط الآية بما قبلها

بعد أن كشف الله في الآيات السابقة5) - (6عن السبب الحقيقي الذي يدفع الإنسان إلى إنكار البعث وهو "إرادة الفجور" و"حب التمادي في الشهوات"، ينتقل السياق الآن إلى المشهد المهيب نفسه: مشهد يوم القيامة.

الآيات السابقة كانت تتحدث عن موقف الإنسان في الدنيا: يكذب، يستبعد، يسأل ساخراً "أيان يوم القيامة؟" .والآيات الآن تنتقل إلى الإجابة عن هذا السؤال، ليس برد نظري، بل بعرض المشهد ذاته . كأن الله يقول: تسأل متى يوم القيامة؟ ها هو ذا يحدث الآن أمامك .فانظر ماذا يحدث.

والربط بين ما قبل وما بعد هو ربط بين "السبب" و"النتيجة" .الإنسان أراد الفجور وكذب بالقيامة .و القيامة تأتي رغم إنكاره .وهنا يرى ما كان ينكره .وهنا يعض أصابع الندم.

والمناسبة أيضاً أن السورة انتقلت من الحديث عن "النفس اللوامة" في الدنيا إلى الحديث عن "مشهد القيامة" الذي يجعل كل نفس لوامة، حتى لو لم تكن في الدنيا .ففي ذلك اليوم، يلوم الإنسان نفسه أشد اللوم، لكن بعد فوات الأوان.

الأمر الثاني: تفسير الآيات(

}فَإِذَا بَرِقَ البَصَرُ{:

· فإذا: الفاء للسببية والتعقيب، تدل على أن ما بعدها يحدث عقيب ما قبلها دون تراخ .أي بعد الكلام السابق عن إنكار الإنسان، يأتي هذا المشهد.
· برق البصر: اختلف المفسرون في معناها على قولين رئيسيين:
· القول الأول: برق بمعنى: دهش وتحير وذهب نوره من شدة الهول .يقال: برق بصره أي دهش وتحير، كأنه يلمع من شدة الفزع.
· القول الثاني: برق بمعنى: كلّ وضعف وانقطع .يقال: برق بصره إذا انقطع من شدة النظر أو الخوف.
· والمعنى الجامع: أن الأبصار تتحير وتدهش وتنقطع من شدة ما ترى من أهوال يوم القيامة .فلا تستطيع أن تطرف، ولا تستطيع أن تغمض، بل تبقى مفتوحة مذهولة.

}وَخَسَفَ القَمَرُ{:

· خسف القمر: أي ذهب نوره، واسود، وانمحى ضوءه .والخسف في اللغة: الذهاب والنقصان .يقال: خسف الشيء إذا ذهب وتلاشى.
· فيوم القيامة يخسف القمر، وتذهب أضواؤه .فلا ضوء للقمر، ولا حتى ضوء للشمس كما سيأتي.
· وهذا عكس ما نراه في الدنيا من إضاءة القمر ليلا ً، ففي ذلك اليوم يُظلم القمر ويصبح بلا نور.

}وَجُمِعَ الشَمْسُ وَالقَمَرُ{:

· جمع الشمس والقمر: يعني أنهما يجمعان في مكان واحد، أو يقرنان معاً، أو يرفعان إلى السماء ثم

يرمى بهما .وهما كانا في الدنيا يتعاقبان: هذا بالنهار وهذا بالليل، وفي ذلك اليوم يجتمعان معاً.
· وقيل: يجمعان فيذهب نورهما جميعاً .وقيل: يجمعان فيكوّران، كما قال تعالى:} إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ{، أي لفّت وألقيت.
· والمشهد: ظلمة مطبقة بعد أن كان ضوء الشمس والقمر مصدراً للضياء، فيدخل الكون في ظلمة عظيمة، وتختلط معالم الكون.

}يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ{:

· يقول الإنسان يومئذ: أي في ذلك اليوم العصيب، حين يرى هذه الأهوال، ويرى أنه لا مفر من الله.
· أين المفر: أي أين المهرب؟ وأين الفرار؟ وأين الملجأ من عذاب الله؟ والمفر هو مصدر بمعنى الفرار أو موضع الفرار.
· الإنسان الذي كان في الدنيا يكذب ويستهزئ ويسأل "أيان يوم القيامة؟" يسأل هنا سؤالا ً آخر: "أين المفر؟" .سؤال الفزع لا سؤال الاستهزاء .يبحث عن ملجأ لا يجده.

}كَلَّا لَا وَزَرَ{:

· كلا: حرف ردع وزجر .تفيد معنى: "ليس الأمر كما تظنون، لا مفر لكم، الأمر بخلاف ما تتمنون" . وهي كلمة تفيد القطع والحسم.
· لا وزر: الوزر في اللغة: الملجأ والحرز والحصن والجبال المنعة .والمعنى: لا ملجأ لكم اليوم ولا حرز ولا حصن يعصمكم من عذاب الله .ليس هناك جبل تتحصنون به، ولا قلعة تلوذون بها، ولا مكان تختبئون فيه.

}إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ{:

· المستقر: أي المرجع والمنتهى والمصير .والمعنى: إلى ربك وحده يومئذ المرجع والمصير .كل الأمور تنتهي إليه، ولا مفر من الوقوف بين يديه.
· إلى ربك: إضافة الرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشريفاً له، وهي تدل على العبودية والربوبية معاً.
· يومئذ: تأكيد على أن هذا الاستقرار إلى الله يكون في ذلك اليوم بالذات، وإن كان الله هو المرجع في كل وقت، لكن في يوم القيامة يكون المرجعية ظاهرة لا جدال فيها.

}يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ{:

· ينبأ: أي يخبر ويحدث ويطلع .والإنباء يكون للأمور العظيمة .فهو إخبار يستيقن منه الإنسان لا يشك فيه.
· بما قدم: أي بما قدّم من الأعمال في حياته الدنيا: الصلاة، الزكاة، الصدقة، البر، وكذلك الذنوب و المعاصي.
· وأخر: أي ما أخره ولم يعمله مما كان يمكنه أن يعمله .وقيل: ما أخر من سنة حسنة أو سيئة يجري عليه أجرها أو وزرها بعد موته .وقيل: ما قدم في حياته وما أخر من أمر لم يفعله .والأشهر: ما قدم من الطاعات والمعاصي، وما أخر من السنن التي سنها أو البدع التي ابتدعها، أو ما أخر من حق لم يؤده، أو ما أخر من توبة لم يتب منها.
· والمعنى: في ذلك اليوم، يخبر الإنسان بكل شيء: صغيره وكبيره، ما فعله وما لم يفعله، ما كان منه وما كان عليه.

}بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ{:

· بل: حرف إضراب وانتقال .تفيد أن الأمر ليس كما يظن من يظن أن الإنباء بغيب، بل الأمر أوضح من ذلك.
· على نفسه بصيرة: أي حجة وشاهد وخبير .والمعنى: أن الإنسان حجة على نفسه، وشاهد على أعماله .لا يحتاج إلى من يخبره بما فعل، لأنه يعرفه بنفسه .جوارحه تشهد عليه، وقلبه يعلم ما أسرّ . وهو نفسه يرى أعماله كأنها مسجلة أمامه.
· وقيل: المعنى أن على الإنسان علامات تبصره وتدله على حقيقة أمره .وقيل: أن الإنسان بصير بأعمال نفسه خبير بها لا يخفى عليه شيء منها.
· وهي آية عظيمة في شهادة الإنسان على نفسه يوم القيامة .لا ينكر شيئاً، لأنه مع نفسه، وعلى نفسه، بصير.

}وَلَوْ ألقى مَعَاذِيرَهُ{:

· ولو ألقى معاذيره: أي لو جاء بكل عذر يعتذر به، ولو أبدى كل حجج لنفي الذنب أو تخفيفه، فإنه لا ينفعه .لأنه هو البصير على نفسه، وهو يعلم أنه مذنب، وجوارحه تشهد، والله أعلم.
· المعاذير: جمع معذرة، وهي العذر والحجة التي يعتذر بها الإنسان .والمعاذير هنا قد تكون حقيقية أو كاذبة، كلها لا تنفع.
· بعض المفسرين قالوا: المعاذير جمع معذار وهو غطاء رأس المرأة، فيكون المعنى: لو ألقى على نفسه أغطية واستتر بها، فالله يعلم خفاياه .والأول أرجح.
· والمعنى النهائي: مهما تذرع الإنسان بأعذاره، ومهما حاول تبرير أخطائه، ومهما ألقى من حجج واهية ، فإنه لا يستطيع أن يخفي حقيقة نفسه، لأنه هو على نفسه بصير.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآيات

.1تصوير أهوال يوم القيامة من خلال: ذهول الأبصار، وخسوف القمر، وجمع الشمس والقمر.
.2يأس الإنسان ودهشته حين يسأل: "أين المفر؟" بعد أن كان في الدنيا يسأل ساخراً: "أيان يوم القيامة؟".
.3إعلان أنه لا ملجأ يومئذ إلا إلى الله:} كلا لا وزر * إلى ربك يومئذ المستقر.{
.4إخبار الإنسان بكل أعماله ما قدم منها وما أخر، مما يجعله في موقف لا ينكره.
.5بيان أن الإنسان نفسه حجة عليه، فهو بصير بأعماله، يعلمها ولا ينكرها.
.6عدم نفع الاعتذار في ذلك اليوم، فالإنسان لو ألقى كل معاذيره، فإنه لا يستطيع أن يمحو بصيرته على نفسه.

الأمر الرابع: مغزى الآية وأسباب النزول(

أسباب النزول:
لم يرد سبب نزول خاص لهذه الآيات مجتمعة، لكنها نزلت في سياق الحديث عن منكري البعث من كفار قريش الذين كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم: "متى هذا الوعد؟ متى تقوم الساعة؟" استهزاءً وتكذيباً .فنزلت هذه الآيات لتصف لهم ما سيحدث في ذلك اليوم، لعلهم يتعظون، أو لتكون حجة عليهم.

وقيل: نزل بعضها في الوليد بن المغيرة، وبعضها في العاص بن وائل، وبعضها في أبي جهل .ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

المغزى العام للآيات:
المغزى العميق هو أن يوم القيامة قادم لا محالة، وسيكون أهواله فوق ما يتخيله الإنسان .وفي ذلك اليوم، يجد الإنسان نفسه وحيداً لا ملجأ له إلا الله، ويواجه أعماله كلها، ويكتشف أن نفسه كانت حجة عليه طوال حياته .لذلك، على الإنسان أن يستعد لهذا اليوم في الدنيا، بأن يكون هو لنفسه بصيرة حاسبه، لا ينتظر أن يحاسَب يوم القيامة.

ومغزى آخر: أن الله لا يحتاج إلى بينة أو شاهد على الإنسان .الإنسان نفسه كافٍ للحكم عليه .فهو يعلم ما عمل، ويعلم تقصيره، ويعلم جرمه .ولو ألقى معاذيره، فهي معاذير واهية لا تخدع أحداً، خاصة أنه هو أول من يعلم كذبها.

الأمر الخامس: أهداف وغايات ومقاصد الآيات

.1هدف ترهيب المؤمن وتحذيره : أن يرى أهوال يوم القيامة فيزداد عملا ً صالحاً.
.2هدف إزالة الغفلة عن قلب الغافل : الذي يظن أن يوم القيامة بعيد أو غير حقيقي، بأن يصف له المشهد بأدق تفاصيله.
.3هدف إفهام الإنسان أنه لا ملجأ يوم القيامة إلا إلى الله، فيتجه إليه في الدنيا قبل أن يجبر على التوجه إليه في الآخرة.
.4هدف ردع الكافر والفاجر : بأن يعلم أن أعذاره يوم القيامة لن تنفع، فهو بين بصيرته على نفسه.
.5هدف تعليم المؤمنين أهمية المحاسبة الذاتية : لا تنتظر يوم القيامة لتعرف أعمالك، حاسب نفسك اليوم.
.6هدف إقامة الحجة على المكذبين : أن الله أخبرهم بما سيكون، فلا يقولوا يوم القيامة: "ما جاءنا من نذير".
.7هدف بيان أن يوم القيامة هو يوم الحق المطلق : لا تنفع فيه المناصب، ولا الأموال، ولا الأعذار،

ولا المحسوبيات .فقط العمل الصالح ينجي.

ثانياً: تحليل الآية

المحور الأول: مشاهد أهوال يوم القيامة} فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ{

الأمر الأول: تحليل مشهد "برق البصر" ودلالاته النفسية والذهنية والتربوية والعملية

ماذا يعني "برق البصر"؟
برق البصر هو ذهول العين وتحيرها وانقطاع نورها من شدة الفزع .ليست العين تغمض، بل تبقى مفتوحة لا تستطيع الحركة، ولا تستطيع الإغلاق، كأنها مبهورة بصاعقة هائلة.

وصف المشهد تخيلياً:
تخيل أنك تنظر إلى شيء رهيب لا تستطيع أن تطرف عينيك عنه، ولا تستطيع أن تستمر في النظر، فعيناك تتوسعان في دهشة وخوف، ويجف نورهما، وتصبحان كأنهما برقتان خاطفتان ثم انطفأتا .هذا هو برق البصر.

الدلالة النفسية:
هذا المشهد يزرع في نفس القارئ رهبة عميقة من يوم القيامة .الإنسان في الدنيا قد يخاف من أمور محدودة: خوف من ظالم، خوف من فقر، خوف من مرض .أما خوف يوم القيامة فهو خوف يجعل البصر يبرق، أي يفقد قدرته على الرؤية الطبيعية من شدة الهول .هذا الوصف يرتقي بالخوف من درجة عادية إلى درجة قصوى.

الرسالة النفسية

· الإنسان في الدنيا معتاد على أن عينيه هما مصدر ثقته بنفسه: يرى الطريق، يرى الأعداء، يرى المفر .في ذلك اليوم، تفقد العينان هذه القدرة .هذا يخلق شعوراً بالعجز المطلق .من كان معتمداً على بصره يتفاخر به، يفقد هذا السلاح يوم القيامة.
· كذلك، وصف "برق البصر" يشير إلى أن أهوال ذلك اليوم تفوق قدرة التحمل البشري .لا يمكن لأي إنسان أن يواجهها بقوته الذاتية .هذا يدفع الإنسان إلى التعلق بالله وحده.

الرسالة العقلية) الفكرية

· عقلياً، هذا المشهد يكسر فكرة "الإنسان محور الكون" .في الدنيا، الإنسان يرى نفسه قوياً، بصيرته نافذة، قدرته على الفهم عالية .لكن يوم القيامة، يفقد بصره قدرته على التركيز والرؤية السليمة .هذا يعلم الإنسان أن قوته محدودة، وأن هناك يوماً يفقد فيها أقوى حواسه قدرته.
· كما أن الآية تدعو العقل إلى التفكير في البديهيات المسلم بها: الرؤية، النور، الإبصار .هذه كلها أمانة مؤقتة .يوم القيامة، تختل هذه البديهيات .هذا يوسع مفهوم "المعرفة" عند الإنسان: ما تراه اليوم ليس هو الحقيقة المطلقة .الحقيقة المطلقة هي ما ستراه يوم القيامة.

الرسالة التربوية

· تعليمياً، هذا المشهد يصلح أن يكون أداة لتربية الأجيال على الخوف من الله لا على الخوف من المخلوقين .الطفل أو الشاب الذي يقرأ هذه الآية ويتأملها، يتعلم أن هناك خوفاً أكبر من كل مخاوف الدنيا .هذا يجعله يضع الله في أولوياته.
· كما أن تربية النفس على "ذكر الموت والقيامة" من أعظم ما يعين على تقويم السلوك .المربي الذي يذكر متربيه بهذه المشاهد، يزرع فيهم وعياً دينياً عميقاً.

الرسالة العملية

· عملياً، كيف نستخدم هذا المشهد في حياتنا؟ اجعل لنفسك دقيقة واحدة كل يوم تتأمل فيها: لو قامت القيامة الآن، وفقدت بصري هذا الذي أنظر به إلى الدنيا، ماذا سأرى؟ تخيل أن الكون يضطرب، والأرض ترجف، والسماء تتشقق .هذا التخيل ليس تشاؤماً، بل هو استعداد .من يتخيّل أهوال القيامة يزداد حرصاً على الطاعة.
· أيضاً، نتعلم ألا نغتر بقوة حواسنا .من منا يظن أن بصره قوي لا يخون؟ هذا المشهد يذكرنا بأن

هذه القوة زائلة .فلا نستخدم أبصارنا في ما يغضب الله، فربما تحرم هذه النعمة يوم ننظر إلى الله.

الأمر الثاني: تحليل مشهد خسف القمر وجمع الشمس والقمر

ماذا يعني خسف القمر وجمعه مع الشمس؟
في الدنيا، الشمس والقمر آيتان عظيمتان، يسير كل منهما في فلكه، يتعاقبان، لا يجتمعان إلا في حالا ت نادرة) كسوف الشمس .(أما يوم القيامة، فيخسف القمر) يذهب نوره(، وتجمع الشمس والقمر معاً، ثم يكوّران ويلقيان .هذا اضطراب كوني هائل، يبين أن نظام الكون القائم على الليل والنهار والشمس والقمر قد انتهى، وبدأ نظام جديد: نظام يوم القيامة.

الدلالة النفسية:

· الإنسان في الدنيا يعتاد على الشمس والقمر .هما مصدر الأمان والاستقرار: الشمس تشرق كل يوم، و القمر يضيء الليل .هذا الانتظام يمنح النفس طمأنينة .يوم القيامة، يذهب هذا الأمان .القمر يخسف، و الشمس تجمع مع القمر ثم تذهب .هذا الانهيار الكوني يحدث انهياراً نفسياً في الإنسان، لأنه يفقد ثوابته التي اعتاد عليها.
· أيضاً، الإنسان كان يستطيع أن يفر في الدنيا إلى الليل والنهار، إلى الظلمة والضوء .لكن يوم القيامة ، الظلمة والضوء معاً ينهاران .فلا مكان يلوذ به.

الرسالة العقلية ا

· عقلياً، هذه الآيات تعلم الإنسان أن "القوانين الطبيعية" التي يدرسها العلماء ليست أبدية .هي قوانين وضعها الله وسيبطلها متى شاء .لا شيء في الكون ثابت إلا الله .هذا يحرر العقل من عبودية "الطبيعة" و"القوانين" .فمن كان يعتقد أن الكون يسير بقوانين ذاتية لا يمكن تعطيلها، تذكره هذه الآية بأن الله هو الذي يسير هذه القوانين وهو الذي يعطلها.
· كما أن جمع الشمس والقمر يبطل المفهوم العلمي الدنيوي بأن الجاذبية تمنعهما من الالتقاء .الله يفعل ما يشاء، ولا تخضع مشيئته لقوانينه هو التي وضعها لحكمة في الدنيا.

الرسالة التربوية

· تربوياً، يجب أن نربي النشء على أن الدنيا ليست ثابتة .غالبية الناس يعيشون كأن الدنيا أبدية و الموت بعيد .هذه الآيات تعلم أن كل شيء في الكون زائل، وأن يوم القيامة سيقلب كل الموازين . نربي أبناءنا على ألا يركنوا إلى الدنيا، ولا يعتمدوا عليها.
· كما نعلمهم ألا تكون طمأنينتهم للشمس والقمر، بل لله الخالق .الطفل الذي يطمئن لإشراق الشمس كل يوم، ربما يغفل عن شروق شمس الآخرة .نعلمه أن الطمأنينة الحقيقية هي في الإيمان بالله.

الرسالة العملية

· كيف نطبق هذا عملياً؟ عندما تنظر إلى السماء ليلا ً وترى القمر، تذكر أنه سيخسف .عندما تنظر إلى الشمس نهاراً، تذكر أنها ستجمع مع القمر وتكوّر .هذا التذكر يحول النظر العادي إلى عبادة وتفكر . يمكن أن نجعل لأنفسنا "ذكراً بصرياً": كلما رأيت القمر، تذكر خسفه يوم القيامة، وأزدد عملا ً صالحاً استعداداً لذلك اليوم.
· أيضاً، عدم الاغترار بقوانين الدنيا .ربما تكون مريضاً والطب يقول إن مرضك مستعص، فتذكر أن الله قادر على شفائك بقدرته التي تجمع الشمس والقمر .ربما تكون ضعيفاً فتذكر أن الله قادر على نصرك كما جعل الشمس والقمر خاضعين لأمره.

المحور الثاني: رد فعل الإنسان يوم القيامة} يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المُسْتَقَرُّ{

الأمر الأول: تحويل السؤال من "أيان يوم القيامة" إلى "أين المفر"

الفرق بين السؤالين:

· في الدنيا:} يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القِيَامَةِ {سؤال استهزاء واستبعاد.
· في الآخرة:} يَقُولُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المَفَرُّ {سؤال فزع ويأس وطلب مخرج.

· التحول عظيم: من سؤال المتعالي المستهزئ إلى سؤال الخائف المذعور.

الدلالة النفسية:

· هذا التحول يكشف أن الإنسان في الدنيا كان يخفي خوفه الحقيقي وراء ستار من الاستهزاء .لكن في الآخرة، يسقط هذا الستار، ويظهر الخوف الحقيقي .هذا يدل على أن الكفر والتكذيب ليسا من قلة الخوف، بل من كتمانه وتغطيته .في الآخرة، لا يستطيع الإنسان أن يكتم خوفه.
· السؤال "أين المفر؟" يدل على حالة من "الذعر الكامل" .الإنسان يبحث عن أي مخرج، أي ثغرة، أي مهرب .فإذا وجدها فرّ إليها .لكنه لا يجد .هذا اليأس من أي مهرب هو أشد ما يعانيه الإنسان في ذلك اليوم.

الرسالة العقلية

· عقلياً، الإنسان في الدنيا يظن أن المفر موجود دائماً .لو ضاقت به الدنيا، يجد ملجأ في جبل، في بلد آخر، في دولة أخرى .لكن يوم القيامة، لا مفر على الإطلاق .هذا يعلم العقل أن يستعد لموقف "لا مفر منه" .فليفكر في حل لمشاكله اليوم قبل أن يأتي يوم لا حل فيه .فكر الآن في علاقتك باللّه، واستدرك ما فات، قبل أن تبحث عن مفر ولا تجد.
· كذلك، يعلم العقل أن "المفر" الحقيقي ليس مكاناً، بل هو عمل صالح يقدمه الإنسان في الدنيا .من لم يقدم، لم يجد مفراً .وهذا ربط بين السلوك والعاقبة.

الرسالة التربوية

· يجب أن نربي أنفسنا وأبناءنا على ألا نعتمد على "الملاذات الدنيوية" كملاذ أخير .كثير من الناس إذا أصابتهم مصيبة، يفرون إلى الله .لكن بعد المصيبة، ينسون .يوم القيامة، لا ملاذ سوى الله .فعلى الإنسان أن يتخذ الله ملاذه في كل وقت، لا في وقت الشدة فقط.
· التربية على "عدم وجود مفر" تعني التربية على تحمل المسؤولية .في الدنيا، هناك دائماً مفر .في الآ خرة، لا مفر .هذا يعلم الإنسان أن يكون جاداً في دينه، لا يتساهل.

الرسالة العملية

· عملياً، استخدم هذا السؤال "أين المفر؟" كأداة للمحاسبة الذاتية .قبل أن ترتكب ذنباً، اسأل نفسك: إذا قامت القيامة الآن، هل سأجد مفراً من هذا الذنب؟ إذا كنت ستبحث عن مفر ولا تجده، فلماذا تفعل الذنب اليوم؟
· أيضاً، لا تنتظر حتى تشتد عليك الأزمات لتبحث عن ملجأ .اجعل الله ملجأك في الرخاء قبل الشدة . من كان مع الله في الرخاء، كان الله معه في الشدة.

الأمر الثاني: دلالة} كلّا لَا وَزَرَ {وإعلان انعدام الملجأ

دلالات "كلا" و"لا وزر":

· كلا: حرف ردع وزجر، تفيد القطع والإنكار الحاسم .كأن الله يرد على سؤال الإنسان "أين المفر؟" رداً قاطعاً: كلا! أي لا مفر.
· لا وزر: الوزر هو الملجأ والحرز والحصن .فنفي الوزر يعني نفي كل ملجأ .لا جبال تحميك، لا صحاري تختبئ فيها، لا باطن أرض تستتر به، لا سماء تظلك .كل شيء انكشف.

الدلالة النفسية:

· بعد أن كان الإنسان يبحث عن مفر، تأتي كلمة "كلا" قاطعة لرجائه .هذا اليأس بعد الطلب هو أشد من اليأس ابتداءً .الإنسان تعلق بأمل وهمي ثم قُطع عنه .هذا يصيبه بصدمة نفسية لا توصف.
· "لا وزر" تنفي كل أنواع الملاذ التي كان الإنسان يعتمد عليها في الدنيا: المال، الجاه، الأهل، القوة، الذكاء، المنصب .كل هذه كانت "وزر" في الدنيا، أما في الآخرة فلا وزر .هذا يخلق شعوراً بالعري و الفضح.

الرسالة العقلية:

· عقلياً، الآية تعلم أن الاعتماد على غير الله خسارة محققة .كل شيء في الدنيا زائل، وكل ما دون

الله وزر لا ينفع .فليكن اعتماد العقل على الله وحده، فهذا هو الاستقرار الحقيقي.
· أيضاً، "كلا" تدل على أن كل ما ظنه الإنسان مفراً هو في الحقيقة لا شيء .هذا ينهار في عقله كل تصوره عن الأمان، ويبنى تصور جديد: لا أمان إلا عند الله.

الرسالة التربوية

· يجب أن نربي أبناءنا ألا يتعلقوا بالأسباب والمخلوقات تعلقاً مطلقاً .نحن نأخذ بالأسباب، لكننا لا نعتمد عليها .التعلق الحقيقي بالله وحده .الطفل الذي يعتاد على أن يلجأ إلى أمه في كل مشكلة، نعلمه أن الله هو الملجأ الحقيقي .يوم القيامة لا أم ولا أب ولا أخ.
· التربية على أن "الأمان الحقيقي" هو الإيمان بالله والعمل الصالح .لا أمان في الأموال والمناصب . هذا يجعل الإنسان حراً غير مستعبد لمخلوق.

الرسالة العملية

· كيف نطبق عملياً: لا تضع رجاءك في مخلوق .لا تقل: "لو كان فلان معي لنجوت" .بل قل: "حسبي الله" .درب نفسك على ألا تخاف إلا الله .هذا التدريب اليومي يجعلك يوم القيامة ممن لا يفزعون فزعاً شديداً، لأنك كنت تعيش على "لا وزر" في الدنيا، أي لا تعتمد إلا على الله.
· أيضاً، تخلص من "الأوزار" التي تعوقك عن الله .بعض العلاقات المحرمة، بعض الأموال المشبوهة، بعض المناصب التي تشغلك عن الله، هي "أوزار" في الدنيا تتحول إلى أثقال في الآخرة .تخلص منها الآن.

الأمر الثالث:} إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ {ودلالة المرجعية النهائية

معنى المستقر:
المستقر هو المرجع والمنتهى والمصير النهائي .وليس بمعنى المكان فقط، بل بمعنى أن كل شيء يرجع إلى الله ويستقر عنده.

الدلالة النفسية:

· بعد أن ثفي كل وزر، يبقى أمل واحد: المرجع إلى الله .وهذا الأمل ليس أماناً، بل هو موقف محاسبة .لكنه أيضاً طمأنة: لن يضيع الإنسان، لن يترك سدى .هناك من يستقر أمره إليه .هذا يخلق في النفس شعوراً بالخوف الممزوج بالرجاء.
· أيضاً، "إلى ربك" - إضافة الرب إلى الإنسان) ربك (تشير إلى أن الله هو الذي ربّاه ورعاه ونعّمه . فكيف يعصيه؟ وفي يوم القيامة، يعود الأمر كله إلى هذا الرب .هذا يزرع حساً بالمسؤولية، فأنت عبد له، وستعود إليه.

الرسالة العقلية

· عقلياً، الآية تقدم مفهوماً أن "المرجعية" ليست للإنسان ولا للقوانين البشرية ولا للطبيعة .المرجعية لله وحده .هذا ينهي الجدل حول "من يملك السلطة النهائية" .السلطة لله في الدنيا والآخرة.
· كما تعلم العقل أن "الاستقرار" الحقيقي ليس في الدنيا، بل في الآخرة عند الله .فمن يبحث عن استقرار في الدنيا فهو يبحث في غير موضعه .الاستقرار عند الله بعد الحساب والجزاء، إما في الجنة أو في النار.

الرسالة التربوية

· نربي أبناءنا على أن المرجع النهائي في كل شيء هو الله .في الخلافات، يرجعون إلى شرع الله . في المشكلات، يسألون: ماذا يريد الله مني؟ هذا يبني شخصية متزنة لا تتخبط في أهوائها.
· كما نربيهم على أن الدنيا ليست دار قرار .نحن في رحلة عابرة، والاستقرار الحقيقي في الآخرة .فلا ينبغي أن نركن إلى الدنيا أو نطمئن لها تمام الاطمئنان.

الرسالة العملية :

· اجعل "المستقر إلى الله" شعار حياتك .في كل أمر من أمورك، اسأل: هل هذا يقربني إلى الله أم يبعدني؟ هل هذا يجعل مستقري عند الله حسناً أم سيئاً؟ هذا السؤال سيغير كثيراً من قراراتك.
· لا تحزن إذا ضاقت بك الدنيا، فليست هي المستقر .المستقر عند الله .تفاءل بيوم القيامة، ليس

بيوم الموت، بل بيوم اللقاء .من كانت علاقته بالله حسنة، كان ذلك اليوم يوم سرور له.

المحور الثالث: إخبار الإنسان بأعماله} يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ{

الأمر الأول:} يُنَبَّأُ ...بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ {دلالات الإخبار الشامل

معنى "ما قدم وأخر":

· قدم: ما أسلفه من عمل في حياته الدنيا، خيراً كان أو شراً .يشمل الصلاة، الزكاة، الصدقة، صلة الرحم، والذنوب والمعاصي.
· أخر: ما تركه من خير ولم يعمله، ففوته على نفسه .وقيل: ما أخر من سنة حسنة يجري عليه أجرها بعد موته، أو سنة سيئة يجري عليه وزرها .وقيل: ما أخر من دين أو حق لم يؤده .وقيل: ما أخر من توبة ولم يتب منها .والأرجح أنه شامل لكل ما يؤخر من عمل كان يمكن أن يعمله في الدنيا ولم يفعله.

الدلالة النفسية

· "ينبأ" إخبار عظيم .ليس خبراً عادياً، بل خبراً يوقن به الإنسان ويذعن له .هذا الإخبار يخلق في نفس الإنسان يوم القيامة "شعوراً بالفضح المطلق" .كل شيء سيعلم به الناس: ما أخفاه في ظلمة الليل، وما أسرّ به في قلبه، وما عمله في خلوته .هذا الشعور يُذل الإنسان ويجعل نفسه عارياً أمام الجميع.
· كما أن إخباره عن "ما أخر" يجعله يندم أشد الندم .لأنه كان يمكنه أن يعمل عملا ً صالحاً، فتركه . يمكنه أن يتوب، فأخر .يمكنه أن يرد حقاً، فسوف .الآن لا يستطيع .الندم على "التروك" أشد من الندم على "الذنوب" أحياناً، لأنه كان قادراً عليها ولم يفعل.

الرسالة العقلية

· عقلياً، هذا الإخبار يعلم الإنسان أن "سجل الأعمال" ليس مجرد نظريات دينية .هو حقيقة واقعية سيواجهها .فليكن عقله مستعداً لمراجعة هذا السجل اليوم، قبل أن يقرأه غداً.
· كما تعلم أن الله لا ينسى ولا يغفل .ما قدمت وما أخرت، كله عنده في كتاب مبين .فهذا يزيد من رقابة العقل على نفسه، فلا يخطر بباله أن شيئاً سيضيع.

الرسالة التربوية

· علم أولادك "فكرة التسجيل" .كل عمل يفعله، وكل قول يقوله، وكل خطوة يخطوها، مسجلة عند الله .هذا يعلمهم المسؤولية والرقابة الذاتية .لا تفعل شيئاً تخشى أن تقرأه غداً أمام الله.
· أيضاً، علمهم "الاستباقية": ليس المهم ما تقدمه فقط، بل المهم ما تتركه .ربما تركك للصلاة يضرك كما تضرك صلاتك إذا أخرتها .وتركك للصدقة خسارة .فالمؤمن يقدم ولا يؤخر.

الرسالة العملية

· عملياً، ابدأ مشروع "سجل الأعمال" اليومي .اكتب في مفكرة: ما قدمت اليوم من خير؟ وما أخرت من واجب؟ في نهاية كل أسبوع، راجع .هذا التدريب يجعلك تعيش وكأنك تقرأ صحيفتك كل يوم . فإذا رأيت تقصيراً، بادر بتصحيحه قبل أن تقرأه يوم القيامة.
· لا تؤجل عمل الخير .أي فكرة خير تخطر ببالك) صدقة، صلة رحم، كلمة طيبة(، افعلها فوراً .فقد لا تأتي الفرصة مرة أخرى .وستقرأها يوم القيامة في "ما قدمت" لا في "ما أخرت".

الأمر الثاني:} بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ {وأهمية شهادة الإنسان على نفسه

معنى "على نفسه بصيرة":
أي أن الإنسان حجة على نفسه، وشاهد خبير بأعماله .هو لا يحتاج إلى من يخبره بما فعل، لأنه يعرفه .هو كمن لديه "كاميرا داخلية" تسجل كل صغيرة وكبيرة، وتعرض عليه يوم القيامة .فهو لا يستطيع أن ينكر، لأنه يرى بعينه .وفي الدنيا، هذه "البصيرة" هي الضمير الذي يلومه، لكنه يكتمه .أما

في الآخرة، فالبصيرة شاهد ناطق لا يمكن إسكاته.

الدلالة النفسية:

· هذا أشد ما يواجهه الإنسان يوم القيامة: أنه لا يستطيع أن ينكر ذنباً، لأنه هو نفسه يعلم أنه فعله . لا يحتاج إلى بينة من مَلَك أو كتاب .هو وحده كافٍ للحكم على نفسه .هذه المعرفة الذاتية المؤلمة تجعل الإنسان في حالة صراع نفسي: هو يعلم أنه مذنب، ولا يستطيع أن يدفع العلم عن نفسه.
· أيضاً، هذه الآية تمنح الإنسان في الدنيا أداة قوية: نفسه التي تعلم حقيقة ما فعل .فلا يكذب على نفسه .لا يظن أنه يخفي شيئاً عن الله أو عن نفسه .نفسه تعلم، وبصيرته تعي .هذا الصدق مع الذات هو أول خطوة في التزكية.

الرسالة العقلية

· عقلياً، الآية تقدم دليلا ً على أن "الشهادة على النفس" أقوى من أي شهادة خارجية .أنت أعلم بنفسك من أي كان .فلا تحتاج إلى آخرين ليخبروك بأخطائك .عقلك ونفسك كافيان .هذا يعلم الإنسان ألا ينتظر ناقداً من الخارج، بل يكون هو ناقد نفسه.
· كما أن هذه البصيرة هي "العلم الحضوري" الذي لا يُخطئ .فلو تلاعب الإنسان في الدنيا بوعيه، ظناً منه أنه نسي الذنب، أو أنه ليس بذاك السوء، فإن يوم القيامة ينكشف كل شيء.

الرسالة التربوية

· نربي أطفالنا على ألا يكونوا بحاجة إلى مراقب خارجي .نربيهم على "الرقابة الذاتية" من خلال تنمية هذه "البصيرة" .نسألهم: ماذا تعتقد أنك فعلت اليوم؟ كيف ترى نفسك؟ هذا يدربهم على أن يكونوا هم حجة على أنفسهم.
· أيضاً، نعلمهم ألا يكذبوا على أنفسهم .بعض الناس يمارس "الإنكار النفسي" للذنب: "لم أفعل"، "ليس بهذا السوء"، "الكل يفعل" .البصيرة تعرف الحقيقة .فالصدق مع الذات أول خطوة في العلاج.

الرسالة العملية

· تمرين عملي: في نهاية كل يوم، قبل النوم، أغمض عينيك واسأل نفسك: "ماذا فعلت اليوم الذي لا أحب أن يراه الله؟" لا تجب بلسانك، بل اسمع جواب "بصيرتك" .ستجد نفسك تعرف الإجابة .هذا التمرين يحيي البصيرة ويجعلها حاضرة.
· لا تهرب من نفسك .بعض الناس يلهون أنفسهم بالملهيات) شاشات، عمل، علاقات (ليهربوا من صوت البصيرة .لا تفعل .اقعد مع نفسك، اسمعها، ستعرف الطريق.

الأمر الثالث:} وَلَوْ أَلقى مَعَاذِيرَهُ {وعدم نفع الاعتذار يوم القيامة

معنى "ألقى معاذيره":
أي لو جاء بكل عذر، ولو تذرع بكل حجة، ولو ألقى بين يدي الله كل ما لديه من تبريرات، فإنها لا تنفعه .لأنه هو على نفسه بصيرة، ويعلم أنه مذنب، وأن معاذيره كاذبة أو واهية.

الدلالة النفسية:

· الإنسان في الدنيا يميل إلى "التبرير" .إذا أخطأ، يبحث عن عذر: الظروف، الناس، الشيطان، القدر . يوم القيامة، تنكشف هذه المعاذير، ويعلم أنها كانت أوهاماً .هذا الموقف يسبب "فضيحة نفسية" كبرى: كل ما كنت تختبئ وراءه، انكشف وتبخّر.
· "ولو ألقى" تدل على أن الإنسان سيبذل قصارى جهده في الاعتذار .سيأتي بكل ما يستطيع من حجج .لكن الله يخبره أنها لن تنفعه .هذا اليأس من قبول العذر أشد من اليأس من العقاب نفسه .لأ نه شعور بأن لا فرصة للنقاش أو المفاصلة.

الرسالة العقلية:

· عقلياً، الآية تعلم الإنسان أن "التبرير ليس حلا ً" .من يظن أنه بذكائه يستطيع أن يبرر أخطاءه أمام الله يوم القيامة فهو واهم .الحل الوحيد هو ألا تحتاج إلى تبرير أصلا ً، بأن تعمل عملا ً تستحي منه ولا تحتاج إلى عذر.
· أيضاً، تعلّم أن "الحجة الداحضة" لا تنفع أمام الله .قد تنفع أمام القضاة البشر، لكن أمام علام

الغيوب، لا تخفى خافية .فهذا يدعو الإنسان إلى الصدق من البداية.

الرسالة التربوية

· نربي أبناءنا على التوقف عن "ثقافة التبرير" .كثير من الأطفال يتعلمون التبرير مبكراً: "لم أكسر الزجاج، أخي فعل" .نعلمهم أن الاعتراف بالخطأ أفضل من أي عذر .لأن يوم القيامة لا تنفع الأعذار.
· أيضاً، نعلمهم ألا يتكئوا على "العذر بالجهل" أو "العذر بالنسيان" كلياً .هذه أعذار ترفع الإثم في بعض الحالات، لكنها لا ترفع المسؤولية كلياً .من يعلم أنه سيقف أمام الله يستعد اليوم.

الرسالة العملية

· تمرين "لا عذر اليوم": خصص يوماً واحداً في الأسبوع، قرر فيه ألا تبرر أي خطأ .إذا أخطأت، اعترف، اعتذر، وتصرف .لا تقل: "نسيت"، "ما كان قصدي"، "الظروف" .فقط اعترف .هذا التمرين يعوّدك على ألا تكون معتمداً على المعاذير، فتستعد ليوم لا تنفع فيه المعاذير.
· أيضاً، عندما تشعر برغبة في تبرير شيء تفعله في الخفاء، تذكر: يوم القيامة، ستنكشف هذه المعاذير وتصبح أضحوكة على نفسك .فلماذا تخدع نفسك؟

ثالثاً: دلالات الآية والجوانب البلاغية والخواطر والتأملات

الأمر الأول: دلالات الآية ودورها كمحفز لتحويل النص إلى سلوك

هذه الآيات تحفز الإنسان على سلوكيات عظيمة:

.1تحفيز على الاستعداد للقيامة : من يقرأ مشاهد أهوال يوم القيامة، لا بد أن يسأل نفسه: كيف أستعد؟ هذا السؤال يدفعه إلى العمل الصالح.
.2تحفيز على التوقف عن التكذيب : من كان يسأل ساخراً "أيان يوم القيامة؟" يدرك الآن أن القيامة آتية لا محالة، فيتوب ويكف عن استهزائه.
.3تحفيز على المحاسبة الذاتية : عندما يقرأ الإنسان أنه سينبأ بما قدم وأخر، وأنه على نفسه بصير، فإنه يبادر إلى محاسبة نفسه في الدنيا قبل أن يحاسب في الآخرة.
.4تحفيز على ترك المعاذير الواهية : يدرك الإنسان أن الأعذار لا تنفع، فيتوقف عن إضاعة وقته في تبرير أخطائه، ويتجه إلى تصحيحها.
.5تحفيز على التعلق بالله وحده : عندما يقرأ "لا وزر" و"إلى ربك المستقر"، يدرك أن لا ملجأ إلا الله، فيلجأ إليه في الدنيا قبل أن يلجأ إليه مضطراً في الآخرة.

الأمر الثاني: خواطر الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها في حياتنا العملية

الخاطرة الأولى: مع "فإذا برق البصر":
أتأمل عيني هذه، كم تنظران في الدنيا من مشاهد .بعضها يرضي الله، وبعضها يغضبه .يوم القيامة، ستبرقان من الهول .هل ستكونان قد نظرتا إلى ما يرضي الله في الدنيا، فتخف أهوالهما يومئذ؟

الخاطرة الثانية: مع "وخسف القمر":
أرفع رأسي إلى السماء ليلا ً، أرى القمر منيراً .أتذكر أن هذا النور سيذهب .كل جمال في الدنيا زائل .فلا أركن إليه، ولا أتعلق به .الذي يبقى هو الله.

الخاطرة الثالثة: مع "أين المفر":
أبحث في قلبي: أين مفرّي يوم القيامة؟ لا مال، لا جاه، لا أهل، لا شفاعة إلا بإذنه .لا مفر إلا إلى عملي الصالح .فما أكثرت منه، كان مفرّي .وما أقللته، كان عطبي.

الخاطرة الرابعة: مع "كلا لا وزر":
أتأمل كل ما أعتد به في الدنيا: قوتي، مالي، منصبي، عائلتي .هذه كلها أوزار تذهب .لا تزرني يوم القيامة .حسبي الله، لا وزر إلا هو.

الخاطرة الخامسة: مع "إلى ربك يومئذ المستقر":
اللهم، اجعل مستقرّي إليك في الدنيا قبل الآخرة .لا أستقر على شيء سواك .ربي، إليك المرجع، وإليك المصير.

الخاطرة السادسة: مع "ينبأ بما قدم وأخر":
أتصور صحيفة أعمالي تنشر أمامي .ماذا سأرى؟ أتمنى أن أرى فيها خيراً .اللّهم استرني في الدنيا والآ خرة.

الخاطرة السابعة: مع "بل الإنسان على نفسه بصيرة":
نعم، أنا أعلم ما فعلت .لا أنكر على نفسي .ففي الدنيا، كنت أعلم متى أخطئ .وفي الآخرة، لن أنكر . فاللّهم اجعل بصيرتي تشهد لي لا عليّ.

الخاطرة الثامنة: مع "ولو ألقى معاذيره":
كم مرة تبررت! كم مرة قلت: "الظروف"، "الناس"، "لم أقصد" .الآن أعلم أن هذه المعاذير لا تنفع .فأنا ا لآن أتوقف عن التبرير، وأبدأ بالتصحيح.

كيفية استشعار هذه الخواطر عملياً:

· اقرأ الآيات ببطء، وتخيل كل مشهد.
· خصص وقتاً يومياً للتأمل في خاطرة واحدة منها.
· دوّن الخواطر التي تطرق قلبك.
· اجعل لنفسك ورداً أسبوعياً من هذه الآيات.
· ناقش هذه الخواطر مع صديق صالح.

الأمر الثالث: التصوير البياني للآيات وأغراضه

أولا ً: تصوير أهوال القيامة:

· تصوير برق البصر: صورة العينين المفتوحتين على وسعهما، لا تطرفان، ولا تقبضان، بل تبرقان ك البرق الخاطف، ثم يخفت نورهما .هذه الصورة تجعل القارئ يحس بدهشة الحواس.
· تصوير خسف القمر: صورة القمر المضيء يتحول إلى قرص أسود باهت، يختفي نوره .القمر الذي كان جميلا ً في الدنيا يصبح منظراً مرعباً.
· تصوير جمع الشمس والقمر: صورة جرمين عظيمين، كانا متباعدين، يلتقيان في مكان واحد، وكأنهما يرميان معاً .هذا يجسد نهاية النظام الكوني المألوف.

ثانياً: تصوير رد فعل الإنسان:

· تصوير سؤال "أين المفر": صورة الإنسان يركض هنا وهناك، يبحث عن باب يهرب منه، عن نافذة يخرج منها، عن حفرة يختفي فيها، وهو يصرخ: "أين المفر؟ أين المفر؟" .صورة الذعر والفزع.
· تصوير "لا وزر": صورة إنسان يحاول أن يتسلق جبلا ً، فيتفتت الجبل في يديه، يحاول أن يختبئ في حصن، فيتساقط الحصن .كل شيء يتلاشى منه .صورة الوحدة المطلقة.

ثالثاً: تصوير المحاسبة:

· تصوير "ينبأ": صورة الإنسان واقفاً، وإذا بملك ينادي أمام الناس: "هذا فعل كذا، وترك كذا" .والإنسان يسمع ولا يستطيع الإنكار.
· تصوير "البصيرة": صورة إنسان ينظر في مرآة، فيرى نفسه الحقيقية بكل عيوبها .لا يستطيع أن يزيّف أو يجمل.
· تصوير "معاذيره": صورة إنسان يلقي بحججه وأوراقه بين يدي القاضي، والقاضي يحرقها كلها واحدة تلو الأخرى، ولا ينظر إليها .صورة خيبة الأمل.

أغراض هذا التصوير:

· تثبيت الموعظة في القلب: الصورة أعمق من الكلمة المجردة.
· إثارة الخشية والرهبة: الإنسان يتأثر بما يراه أكثر مما يتأثر بما يسمع.
· تحفيز التغيير السلوكي: من رأى المشهد بعقله، كأنه رأيه بعينه، فيستعد له.
· إقامة الحجة: لا يستطيع أحد أن يقول: "ما كنت أعلم أن الأمر بهذا الهول".

الأمر الرابع: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

هذه الآيات تغير نظرة الإنسان للحياة تغييراً جذرياً في عدة مستويات:

أولا ً: تغيير النظرة إلى الدنيا:
قبل الآيات، كان الإنسان يرى الدنيا دارَ قرار، ونعيمها أبدياً .بعد الآيات، يرى الدنيا داراً مؤقتة، ونعيمها زائل، وشمسها وقمرها سيخسفان ويجمعان .فلا يغتر بها، ولا يركن إليها.

ثانياً: تغيير النظرة إلى الأمان:
قبل الآيات، كان الإنسان يرى الأمان في المال، الجاه، المسكن، الأسرة .بعد الآيات، يرى أن الأمان الحقيقي ليس في شيء من الدنيا، بل في العمل الصالح الذي يسبق الإنسان إلى الآخرة .فمن كان عمله صالحاً، كان آمناً يوم الفزع الأكبر.

ثالثاً: تغيير النظرة إلى الأعذار:
قبل الآيات، كان الإنسان يميل إلى التبرير، يظن أن عذره سينفعه .بعد الآيات، يعلم أن الأعذار يوم القيامة لا تنفع، فيتوقف عن إضاعة وقته في التبرير، وينصرف إلى التصحيح الحقيقي.

رابعاً: تغيير النظرة إلى النفس:
قبل الآيات، كان الإنسان يتجاهل نفسه، يلهيه عنها شؤون الدنيا .بعد الآيات، يعلم أن نفسه هي بصيرته، وهي حجته عليه .فيصبح أكثر اهتماماً بمراقبة نفسه ومحاسبتها.

خامساً: تغيير النظرة إلى الموت:
قبل الآيات، كان الإنسان يخاف الموت كفناء .بعد الآيات، يرى الموت مجرد انتقال إلى مشهد القيامة . فهو إما إلى جنة وإما إلى نار .فهذا يغير خوفه من الموت إلى خوف من التقصير.

الأمر الخامس: تأملات ووقفات تدبرية

الوقفة الأولى: مع "فإذا برق البصر":
تأمل: كم من مرة نظرت فيها إلى ما حرم الله عليك النظر إليه؟ ماذا لو برق بصرك يوم القيامة من الهول، وزاد هولك بتلك النظرات المحرمة؟ استدرك ما فات، وأطلق لعينيك نصيباً من الحلال، واغضضهما عن الحرام.

الوقفة الثانية: مع "وخسف القمر":
تأمل: كم من مرة تعامدت بالقمر في أسفارك، أو استأنست بضوئه في لياليك؟ هذا القمر الذي تأنس به سيخسف .فلا تؤنس به أكثر مما تؤنس بالله الذي خلقه.

الوقفة الثالثة: مع "وجمع الشمس والقمر":
تأمل: نظام الكون الذي تراه منظماً مضطرداً، سيختل .لا تظن أن هذا النظام أبدي .بل هي سنة الله التي ستتبدل .فلا تعتمد على نظام الدنيا، بل اعتمد على خالق النظام.

الوقفة الرابعة: مع "أين المفر":
قف مع هذا السؤال طويلا ً .تذكره كلما أذنبت، وكلما قصّرت، وكلما تهاونت .اسأل نفسك: لو جاءت القيامة الآن، هل سأجد مفراً من هذا الذنب؟ هذا السؤال رادع.

الوقفة الخامسة: مع "كلا لا وزر":
تأمل: كل ما تعده وزراً لك في الدنيا) مال، جاه، عشيرة، قوة (ليس بوزر يوم القيامة .فلا تعتمد عليه .وزرك الحقيقي هو الله وحده .فاستمسك به.

الوقفة السادسة: مع "إلى ربك يومئذ المستقر":
تأمل: أنت في كل يوم، بل في كل لحظة، تسير إلى هذا المستقر .فماذا أعددت له؟ هل رضيت ربك؟ هل أطعته؟ هل أحببته؟ هذا المستقر إما جنة وإما نار.

الوقفة السابعة: مع "ينبأ بما قدم وأخر":
قف مع صحيفة أعمالك التي ستقرأها يوم القيامة .ماذا تريد أن ترى فيها؟ دوّن الآن ما تريد أن تراه .ثم اعمل على تحقيقه .وأنت تكتب، تذكر أن ما ستؤجله قد يكون فاتك.

الوقفة الثامنة: مع "بل الإنسان على نفسه بصيرة":
قف أمام مرآة نفسك .انظر إلى عيوبك دون تجميل .اعترف بها .هذا أول الطريق .لا تخف من

بصيرتك، بل استرشد بها .ستريك الطريق إلى الله.

الوقفة التاسعة: مع "ولو ألقى معاذيره":
تأمل: كم مرة بررت ذنبك؟ كم مرة قلت: "لو لم يفعل فلان ما فعلت"، "لو كانت الظروف أفضل"، "لو كان عمري أقل"؟ كل هذه معاذير لا تنفع .فاتركها الآن .وابدأ صفحة جديدة بلا تبرير.

رابعاً: أهم الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الأول: كيفية ترويض النفس وتوجيهها بلوم إيجابي في ضوء هذه الآيات

ترويض النفس هنا يعني: ترويضها على استحضار يوم القيامة، وتوجيهها للعمل الصالح، وجعلها بصيرة على نفسها، وقطع التبرير عنها.

الخطوة الأولى: ترويض النفس على استحضار المشهد:
النفس تميل إلى نسيان الآخرة، وتستثقل تذكر الموت .رَوِّضْها على أن تقرأ هذه الآيات يومياً، وتتخيل مشاهدها .اجعل للنفس "ورداً يومياً" من التذكير بالقيامة .استمر على هذا حتى يصير التذكير عادة، ثم يصير شعوراً، ثم يصير دافعاً للعمل.

الخطوة الثانية: ترويض النفس على السؤال الصحيح:
النفس تسأل سؤال المستهزئ: "أيان يوم القيامة؟" .رَوِّضْها على أن تسأل سؤال المستعد: "ماذا أعددت ليوم القيامة؟" .كلما خطر في بالها السؤال الأول، صححيه فوراً للسؤال الثاني .هذا التدريب اللغوي يعيد توجيه النفس.

الخطوة الثالثة: ترويض النفس على "لا وزر":
النفس تميل إلى التعلق بالأسباب: "لو كان معي فلان"، "لو كان عندي مال" .رَوِّضْها على أن تعلق أملها بالله وحده .كرر عليها: "لا وزر إلا الله" .اجعلها تردد هذا الذكر عند الخوف والشدائد.

الخطوة الرابعة: ترويض النفس على المحاسبة اليومية:
اجعل لجلسة المحاسبة وقتاً يومياً ثابتاً .لا تترك النفس تفلت من هذه الجلسة مهما كانت الظروف . في البداية قد تشعر النفس بالضيق، لكن مع الاستمرار، ستعتاد المحاسبة بل ستطلبها.

الخطوة الخامسة: ترويض النفس على ترك التبرير:
كلما حاولت النفس تبرير خطأ، أوقفها وقل: "لا معاذير" .طالبها بالاعتراف الصريح .مع الوقت، ستتعود النفس ألا تبحث عن أعذار، بل تبحث عن حلول.

الأمر الثاني: ما هو النقد الذاتي البناء وفق ما تصوره الآية، وكيف نفعله دون جلد الذات

النقد الذاتي البناء في هذه الآيات:
هو أن يقوم الإنسان بمراجعة نفسه بنفسه، متخذاً من بصيرته الداخلية حكماً، ومستحضراً أنه سينبأ بكل ما قدم وأخر، لا بغرض تعذيب النفس، بل بغرض تصحيح المسار.

كيف تنقد نفسك دون أن تجلدها:

الأسلوب الأول: النقد باستحضار الحساب لا العقاب:
قل لنفسك: "لست أنتقدك لأعاقبك، بل لأعدك ليوم الحساب" .هذا يغير نظرة النفس للنقد من عقاب إلى استعداد.

الأسلوب الثاني: النقد بكتابة العمل لا الندم فقط:
بدلا ً من أن تغرق في الندم اللومي، اكتب بجانب كل خطأ: "ما هو إجراء التصحيح؟" .هذا يحول النقد من سلبي إلى إيجابي.

الأسلوب الثالث: النقد بالتذكير بالمستقر لا بالتهويل:
قل لنفسك: "تذكري أن المستقر إلى ربك، فهل هذا الفعل يقربك منه أم يبعدك؟" .هذا يذكر النفس بغايتها لا بعقابها.

الأسلوب الرابع: النقد بتقنية "البصيرة" لا "الجلاد":

تخيل أن بصيرتك) ضميرك (هي صديق خبير لا جلاد .هي تريك عيوبك لتصححها، لا لتهينك .استمع إليها بود، واشكرها على التنبيه.

الأسلوب الخامس: النقد مع التوبة الفورية:
لا تترك فجوة بين النقد والتوبة .كلما انتقدت نفسك، بادر إلى التوبة والعمل الصالح .بهذا، لا تتراكم ا لانتقادات، بل تتحول كل نقدة إلى خطوة إلى الأمام.

الأمر الثالث: ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا

الآيات تدعونا إلى اثني عشر أمراً عظيماً:

.1تدعونا إلى تصديق يوم القيامة تصديقاً يغير حياتنا، لا تصديقاً نظرياً فقط.
.2تدعونا إلى استحضار أهوال ذلك اليوم كي نستعد لها.
.3تدعونا إلى عدم الاغترار بالدنيا وزينتها، فهي زائلة.
.4تدعونا إلى عدم الاعتماد على المخلوقين كملجأ يوم القيامة.
.5تدعونا إلى التعلق بالله وحده كمستقر ومفر.
.6تدعونا إلى مراجعة أعمالنا في الدنيا كما سنراجعها في الآخرة.
.7تدعونا إلى تقديم الخير وعدم تأخيره.
.8تدعونا إلى الصدق مع النفس وعدم مخادعتها.
.9تدعونا إلى أن نكون لأنفسنا بصيرة رقيباً حاسماً.
.10تدعونا إلى التوقف عن التبرير والبحث عن أعذار.
.11تدعونا إلى التوبة الفورية قبل فوات الأوان.
.12تدعونا إلى العمل الدؤوب استعداداً ليوم لا ينفع فيه إلا العمل.

الأمر الرابع: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية

نتعلم في مجال العبادات:

· أن نقرأ هذه الآيات في صلاتنا بتدبر وتأمل.
· أن نجعل لنا ورداً يومياً من التذكير بالقيامة.
· أن نستحضر يوم القيامة في صلاتنا، كأننا نراها.

نتعلم في مجال الأخلاق:

· أن نكون صادقين مع أنفسنا، لا نبرر أخطاءنا.
· أن لا نعتمد على الأعذار الواهية في تبرير تقصيرنا.
· أن نكون مبادرين بالخير، لا مؤجلين له.

نتعلم في مجال العمل:

· أن نتقن عملنا وكأننا سنُسأل عنه غداً.
· أن لا نؤجل واجبات العمل ظناً منا أن الوقت طويل.
· أن نكون أمناء في عملنا، فالخيانة ستُقرأ علينا يوم القيامة.

نتعلم في مجال العلاقات:

· أن نصلح علاقتنا بالله أولا ً، فهي المستقر يوم القيامة.
· أن نصلح علاقتنا بالناس، فسنُسأل عن حقوقهم.
· أن لا نعلق آمالنا على الناس كملجأ، فكلهم سيذهبون ويبقى وجه ربك.

نتعلم في مجال التربية:

· أن نربي أبناءنا على استحضار يوم القيامة.
· أن نعلمهم أن الأعذار لا تنفع.
· أن نغرس فيهم "البصيرة الذاتية" ليكونوا رقباء على أنفسهم.

الأمر الخامس: الدروس من الآية في حياتنا العملية) تفصيل واف(

الدرس الأول: الدنيا قصيرة مهما طالت:
مهما طال بك العمر، هو لحظة واحدة بالنسبة ليوم القيامة .يوم القيامة هو المستقر، والدنيا مجرد ممر .فلا تشغل نفسك بما ستفنى، واشتغل بما يبقى.

الدرس الثاني: كل شيء في الدنيا مؤقت:
شمسنا التي نعتمد عليها ستجتمع مع القمر ثم تذهب .قمرنا الذي نأنس به سيخسف .أبصارنا التي نفتخر بها ستبرق .كل شيء يزول .فلا تعلق قلبك بزائل.

الدرس الثالث: يوم القيامة لا مفر منه:
قد تفر من الناس، من الديون، من المسؤوليات، من المشاكل .لكنك لن تفر من يوم القيامة .فلا تهرب، بل استعد.

الدرس الرابع: الله هو الملجأ الوحيد:
كل "وزر" تلجأ إليه في الدنيا سيتخلى عنك في الآخرة .لن ينفعك مال، لن تنفعك منصب، لن تنفعك عشيرة .فقط الله والمستقر إليه .فاجعل ملجأك في الدنيا هو الله، وكن معه.

الدرس الخامس: أعمالك تسير معك:
كل شيء تتركه وراءك في الدنيا، إلا عملك .عملك "ما قدمت" يسير أمامك إلى الآخرة .فانظر: ماذا تقدم بين يديك من خير؟

الدرس السادس: الأعذار تموت يوم القيامة:
مهما كنت ماهراً في التبرير، ومهما ألقيت من معاذير، فإنها لن تنفعك .لأنك على نفسك بصير، والله أعلم منك بنفسك .فاستبق التبرير في الدنيا، واستخدم وقتك في التصحيح.

الدرس السابع: بصيرتك نعمة لا نقمة:
بعض الناس يشعرون أن ضميرهم) بصيرتهم (عذاب لهم .هذا خطأ .هي نعمة من الله لترشدك .استمع إليها، واشكر الله عليها .يوم القيامة، ستكون هي من تشهد لك أو عليك .فاجعلها تشهد لك.

الدرس الثامن: استعد قبل أن تندم:
الندم يوم القيامة ليس كالندم في الدنيا .ندم الدنيا قد ينفع إذا تبعت توبة .ندم الآخرة لا ينفع .فلا تؤجل .استعد اليوم، قبل أن تقول غداً: "أين المفر؟".

خامساً: مفاهيم وأبعاد وآفاق وقيم الآية

الأمر الأول: آفاق وأبعاد الآية(

البعد الأول: البعد الكوني:
الآيات ترسم مشهداً كونياً هائلاً: اضطراب الأبصار، خسوف القمر، جمع الشمس والقمر .هذا البعد يعلم الإنسان أن الكون كله تحت مشيئة الله، وأنه يوم القيامة يعاد تشكيله من جديد .فهو ليس مجرد حدث بشري، بل حدث كوني شامل.

البعد الثاني: البعد النفسي:
تصف الآيات الحالة النفسية للإنسان يوم القيامة: الذعر، الحيرة، البحث عن مفر، اليأس، ثم الانكشاف . هذا البعد يعلم الإنسان أن نفسيته في ذلك اليوم مرآة لأعماله .فمن كان في الدنيا خائفاً من الله، هان عليه ذلك اليوم .ومن كان غافلاً، فزع.

البعد الثالث: البعد الأخلاقي:
الآيات تؤسس لمبدأ "المسؤولية الفردية المطلقة" .كل إنسان سينبأ بعمله، وكل إنسان على نفسه بصير، وكل إنسان مهما ألقى معاذيره فهو المسؤول الوحيد عن نفسه .هذا ينهي كل أشكال إلقاء اللوم على الآخرين.

البعد الرابع: البعد الحقوقي:

يوم القيامة هو يوم العدل المطلق .لا ظلم فيه، ولا محاباة .كل إنسان يجزى بما عمل .ولا تنفع فيه الحيل والأعذار .هذا يزرع في المؤمن الإيمان بالعدل الإلهي، ويصبره على ظلم الدنيا.

البعد الخامس: البعد التربوي:
الآيات تقدم نموذجاً تربوياً في "المحاسبة الذاتية" و"عدم التبرير" .المربي الذي يريد أن يربي تلاميذ على الصدق والمسؤولية، يستخدم هذه الآيات منهجاً .يُعلمهم أن يكونوا لأنفسهم بصيرة، وألا يتعلموا فن التبرير.

البعد السادس: البعد الدعوي:
الآيات تقدم أسلوباً دعوياً في الترهيب والتحذير .الداعية الذي يريد أن يوقظ قلوب الغافلين، يصف لهم أهوال يوم القيامة بهذا التصوير البليغ .ليخلق في نفوسهم خشية تدفعهم إلى التوبة.

البعد السابع: البعد الحضاري:
مجتمع يربي أفراده على استحضار يوم القيامة، وعلى أن لا وزر لهم إلا الله، وعلى أنهم بصيرة على أنفسهم، هو مجتمع لا يحتاج إلى رقابة شرطية كثيفة، بل أفراده يراقبون أنفسهم بأنفسهم .وهذا أساس الحضارة الأخلاقية.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفوس وكيفية تطبيقها

القيمة الأولى: قيمة الخشية من الله:
تغرس الآيات في النفس خشية من ذلك اليوم العظيم .التطبيق: اجعل لك ورداً يومياً في قراءة وصف يوم القيامة، لتبقى خشيتك حية.

القيمة الثانية: قيمة التوكل على الله:
"لا وزر" و"إلى ربك المستقر" تغرس أن الله هو الملجأ الوحيد .التطبيق: لا تعلق رجاءك بأحد سوى الله .في كل شدة، قل: "حسبي الله ونعم الوكيل".

القيمة الثالثة: قيمة المسؤولية:
"ينبأ بما قدم وأخر" تغرس أنك مسؤول عن كل فعل وترك .التطبيق: لا تلق اللوم على ظروفك أو على الناس .تحمل مسؤولية اختياراتك.

القيمة الرابعة: قيمة الصدق مع الذات:
"بل الإنسان على نفسه بصيرة" تغرس الصدق .التطبيق: لا تكذب على نفسك، ولا تجمل عيوبك .انظر إليها بعين الصدق.

القيمة الخامسة: قيمة عدم التبرير:
"ولو ألقى معاذيره" تغرس أن الأعذار لا تنفع .التطبيق: توقف عن إضاعة وقتك في التبرير، وأنفقه في التصحيح.

القيمة السادسة: قيمة الاستباقية:
من يقرأ هذه الآيات يستبق الخيرات .التطبيق: بادر إلى الخير، ولا تقل "سأفعل لاحقاً" .فربما لا يأتي "لاحقاً".

القيمة السابعة: قيمة الزهد في الدنيا:
"برق البصر، وخسف القمر، وجمع الشمس والقمر" تذكر بزوال الدنيا .التطبيق: لا تتعلق بالدنيا، ولا تجعلها أكبر همك.

الأمر الثالث: المفاهيم

المفهوم الأول: مفهوم "برق البصر":
هو ذهول العين وتحيرها وانقطاع نورها من شدة هول المشهد .ليس مجرد خوف، بل حالة من "الدهشة المرعبة" التي تفقد العين قدرتها على الرؤية السليمة.

المفهوم الثاني: مفهوم "خسف القمر":
هو زوال نور القمر واسوداده .دليل على أن نظام الكون القائم على الضوء والظلمة ينهار .والقمر الذي كان مصدر أمان في الظلام يصبح جزءاً من الرعب.

المفهوم الثالث: مفهوم "جمع الشمس والقمر":
انهيار نظام التعاقب بين الليل والنهار .اجتماعهما معاً في مشهد واحد دليل على نهاية الزمن كما نعرفه.

المفهوم الرابع: مفهوم "المفر":
هو المهرب والملجأ والموئل .والآية تنفي وجود أي مفر في ذلك اليوم، مما يدل على شدة الحصار الإ لهي يوم القيامة.

المفهوم الخامس: مفهوم "الوزر":
هو الملجأ والحصن والجبل المنيع .لكنه قد يأتي بمعنى الذنب والإثم أيضاً .فنفي الوزر نفي للملجأ، وتخلي عن الذنوب التي كانت وزراً على ظهور أصحابها.

المفهوم السادس: مفهوم "المستقر":
هو المرجع والمنتهى والمصير النهائي .يدل على أن كل شيء ينتهي إلى الله، وأن استقرار الإنسان الحقيقي بعد الحساب .فاستقرار المؤمن في الجنة، واستقرار الكافر في النار.

المفهوم السابع: مفهوم "ما قدم وأخر":
ما قدم: الأعمال التي فعلها في الدنيا .ما أخر: ما تركه من واجبات، أو ما أخر من سنة حسنة أو سيئة تجري عليه بعد موته، أو ما أخر من توبة لم يتب منها.

المفهوم الثامن: مفهوم "البصيرة":
هي الحجة والشاهد والبصيرة الداخلية .وهي الضمير الحي الذي يعلم حقيقة الإنسان .في الآخرة، يصبح هذا الضمير شاهداً علنياً لا يمكن إنكاره.

المفهوم التاسع: مفهوم "المعاذير":
هي الحجج والأعذار التي يلقيها الإنسان ليبرر بها أخطاءه .يوم القيامة، تسقط كل هذه المعاذير، لأن ا لإنسان نفسه يعلم حقيقة أنه كان مذنباً.

الأمر الرابع: كيف يمكن تحويل هذه المفاهيم إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية

أولا ً: تحويل المفهوم إلى طاقة بناء الإنسان الفرد:

المفهوم) لا وزر (يبني إنساناً لا يتعلق بأحد سوى الله .إنساناً مستقلا ً ليس بحاجة إلى) وزر (من م ال أو جاه أو ناس .هذا الاستقلال النفسي يجعله حراً قوياً.

المفهوم) إلى ربك المستقر (يبني إنساناً غايته الله .لا يضل في غايات زائلة) جمع مال، منصب، شهرة .(غايته الله ومستقره عنده .هذا يوجه كل طاقاته نحو ما يرضي الله.

المفهوم) ينبأ بما قدم وأخر (يبني إنساناً يحاسب نفسه، لا يؤجل الخير، ولا يتساهل في الواجبات . إنساناً استباقياً لا انتظارياً .هذا يزيد فاعليته وإنتاجه.

المفهوم) بل الإنسان على نفسه بصيرة (يبني إنساناً صادقاً مع نفسه، لا يخدعها، لا يبرر لها .هذا الصدق ينتج شخصية سوية قوية.

المفهوم) ولو ألقى معاذيره (يبني إنساناً لا يعتمد على الأعذار، إنساناً عملياً حلولياً لا يضيع وقته في التبرير .هذا يرفع كفاءته الذاتية.

ثانياً: تحويل المفهوم إلى طاقة بناء المجتمع:

مجتمع يؤمن ب-) لا وزر (هو مجتمع لا يتكئ أفراده على الوساطات والمحسوبيات .كل ينجز بعمله لا بمعارفه .هذا مجتمع منتج عادل.

مجتمع يستحضر) جمع الشمس والقمر (هو مجتمع لا يغتر بقوانين الطبيعة الثابتة .يعلم أن كل شيء بيد الله، فلا يسجد لقوانين المادة أو للصدفة .هذا مجتمع متوازن.

مجتمع يربي أفراده على) البصيرة (هو مجتمع تقل فيه الجريمة والانحراف، لأن كل فرد رقيب على نفسه .هذا يقلل الحاجة إلى البوليس والسجون، ويزيد الثقة بين الناس.

ثالثاً: تحويل المفهوم إلى طاقة بناء الحضارة الإسلامية:

الحضارة الحقيقية لا تقوم على القوة المادية فقط، بل تقوم على الأخلاق والثقة والمسؤولية .مفاهيم الآية) البصيرة، المستقر إلى الله، لا وزر (تؤسس لحضارة:

· حضارة المسؤولية : كل فرد يحاسب نفسه، فلا يظلم ولا يهمل.
· حضارة الأمل : يعلم أن المستقر إلى الله، فيجتهد ولا ييأس.
· حضارة الإتقان : يعلم أنه سينبأ بعمله، فيتقنه.
· حضارة الصدق : لا يستطيع أن يبرر كذبه، لأنه على نفسه بصير.

الأمر الخامس: أهمية الأسلوب القرآني الذي تجسده الآية في إعداد وتأهيل وتدريب وإصلاح الإنسان

أولا ً: أهمية أسلوب تصوير أهوال القيامة:
الأسلوب القرآني في تصوير يوم القيامة) برق البصر، خسف القمر، جمع الشمس والقمر (هو أسلوب ترهيب بالصورة لا بالكلام المجرد .الصورة تصل إلى القلب أسرع من الكلام .وهذا الأسلوب هو أقوى أسلوب تربوي في تغيير السلوك، لأن الإنسان يتأثر بما يرى.

ثانياً: أهمية أسلوب السؤال التحويلي:
الآية حوّلت السؤال من) أيان يوم القيامة (الاستهزائي إلى) أين المفر (الفزعي .هذا يعلم الداعية و المربي أن يغير أسئلة الناس ليغير تفكيرهم .بدلا ً من أن يجيب عن "متى"، يُريهم "ماذا بعد" .هذا يربيهم على التفكير الاستباقي.

ثالثاً: أهمية أسلوب النفي القاطع) كلا لا وزر(:
هذا الأسلوب يقطع كل أمل وهمي في غير الله .المربي يستخدم أسلوب النفي القاطع ليوجه تلاميذه إلى الملجأ الصحيح .بدلا ً من أن يقول "قد تجد مفراً هناك"، يقول "لا وزر إلا الله" .هذا يبني توحيداً خالصاً.

رابعاً: أهمية أسلوب الإخبار المباشر) ينبأ(:
هذا الأسلوب يجعل الغيب حاضراً .في التربية، يجب أن نجعل يوم القيامة حاضراً في وعي المتعلم كأنه يحدث أمام عينيه .الإخبار المباشر ب- "تنبأ" يخلق يقيناً أقوى من الكلام النظري.

خامساً: أهمية أسلوب الاستدراك) بل الإنسان على نفسه بصيرة(:
الاستدراك ب- "بل" ينتقل من فكرة الإخبار الخارجي إلى فكرة الشهادة الداخلية .هذا يعلم المربي ألا يعتمد على مراقبين خارجيين فقط، بل يطور الرقابة الذاتية لدى المتربي .يقول: لا تحتاج إلى أن يخبرك أحد، أنت بنفسك تعلم .هذا أعمق أثراً.

سادساً: أهمية أسلوب التقليل ب- "ولو":
"ولو ألقى معاذيره" أسلوب يفيد أن حتى لو فعل هذا المستبعد، لن ينفعه .هذا يقطع كل تعلق بالأعذار .في التربية، يجب أن نعلم المتعلم ألا يعتمد على عذر "لو" .هذه الكلمة تمنع التسويف والتراخي.

رسالة ختامية جامعة

أخي الكريم،

آيات سورة القيامة من 7 إلى 13 ترسم لك مشهداً لا يمكن أن تنساه ما حييت .مشهد يوم القيامة:

ترى عيناك ما لم تره قط، وتسمع أذناك ما لم تسمعه، ويذهل قلبك مما يرى .الشمس والقمر، هذان النوران اللذان أضاءا لك حياتك، يخسفان ويجتمعان ثم يُطرَحان .والأبصار تبرق من شدة الهول، لا تغمض ولا تبصر.

ثم تسمع صوتك - أنت - تبحث عن مخرج، عن مهرب، عن حفرة في الأرض تختفي فيها: "أين المفر؟ أين المفر؟" .ثم يأتي الرد القاطع: "كلا لا وزر" .لا جبل يحميك، لا مال يفديك، لا عشيرة تنصرك، لا حيلة تنفعك .فقط "إلى ربك يومئذ المستقر" .إلى الله وحده، لا إلى غيره.

ثم تنشر لك صحيفتك، وتقرأها: ما قدمت في حياتك، وما أخرت من خير لم تفعله .كل صغيرة وكبيرة، كل سر وعلن، كل خفاء وظهور .وأنت تقرأ، لا تستطيع أن تنكر، لأنك على نفسك بصير .أنت تعلم أنك فعلت، أنت تعلم أنك قصّرت، أنت تعلم أنك كنت تعلم.

وحين تحاول أن تتذرع بعذر، وتلقي معاذيرك بين يدي الله، تعلم أنها لا تنفع .فأنت أول من يعلم كذبها، والله أعلم منك بنفسك.

فماذا ستفعل في ذلك اليوم؟

لا تنتظر ذلك اليوم لتبكي .ابكِ اليوم .لا تنتظر ذلك اليوم لتندم .تب اليوم .لا تنتظر ذلك اليوم لتعمل .اعمل اليوم.

البصيرة التي فيك، والتي قد تتجاهلها الآن، هي نعمة .استخدمها الآن .حاسب نفسك قبل أن تحاسب . كن أنت بصيرتك في الدنيا، قبل أن تصبح عليك شهيداً في الآخرة.

لا تؤجل، لا تبرر، لا تتكاسل .فربما لا يأتي "غداً" الذي تنتظره .فالموت يأتي بغتة، والقيامة بعد الموت أقرب إليك من حبل الوريد.

اللّهم أجرنا من أهوال يوم القيامة، وبيّض وجوهنا يوم تبرق الأبصار، واجعل مستقرنا إليك في الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

اللّهم اجعلنا ممن ينبأون بما قدموا من خير فيسرهم، لا بما قدموا من شر فيحزنهم.

اللّهم اجعلنا على أنفسنا بصيرةً تشهد لنا، لا علينا، وتقودنا إليك، لا تبعدنا عنك.

القسم الثاني

المبحث الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

}لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ{

أولا ً: تفسير الآية وفق المنهجية المطلوبة

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية تربط الآية بما قبلها

بعد أن رسم الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة مشاهد أهوال يوم القيامة من برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر، ثم أتبعها ببيان حال الإنسان في ذلك اليوم من البحث عن مفر وعدم وجود ملجأ، ثم إخباره بكل ما قدم وأخر، ثم إعلان أن الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره – بعد كل هذا المشهد المهيب، انتقل السياق إلى حديث آخر، لكنه مرتبط بغاية السورة.

الرسول صلى الله عليه وسلم كان حريصاً كل الحرص على أن يحفظ القرآن مباشرة أثناء نزوله، وكان يخشى أن يفوته شيء منه، فكان يحرك لسانه وشفتيه بتلاوة الآيات مع جبريل عليه السلام أثناء نزولها. فنزلت هذه الآيات بطمأنته وتبيان أن الله هو المتكفل بجمع القرآن في صدره، وقراءته على الناس، وبيان معانيه. فلا داعي للعجلة والحرص الشديد.

والربط بين ما قبل وما بعد هو ربط بين "المحتوى" و"طريقة النقل". الآيات السابقة أخبرت عن أهوال يوم القيامة لتكون باعثاً على الإيمان والعمل. وهذه الآيات تبين أن هذا القرآن العظيم الذي يحوي هذه الأخبار هو من عند الله، وأن الله قد تكفل بحفظه وجمعه وبيانه. فكما أن يوم القيامة حق، فكذلك هذا القرآن حق من عند الله، وقد تكفل الله بحفظه إلى يوم الدين. فلا يحتاج النبي ولا أمته إلى القلق على جمعه أو فهمه.

الأمر الثاني: تفسير الآيات

}لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ{:

· لا تحرك: نهي من الله لنبيه صلى الله عليه وسلم .والمراد النهي عن استعجال تلاوة القرآن قبل أن يكمل جبريل قراءته عليه .والنهي هنا للتأديب والرفق، وليس لتحريم الفعل، إذ كان النبي يفعل ذلك حرصاً على حفظ الوحي.
· به: أي بالقرآن .أي لا تحرك لسانك بالقرآن مستعجلا ً.
· لسانك: تخصيص اللسان بالذكر لأنه آداة النطق والقراءة.
· لتعجل به: أي لأجل أن تتعجل حفظه وتلاوته قبل أن ينتهي جبريل من قراءته عليك .فالعجلة كانت من شدة الحرص، لا من سوء قصد.

والمعنى: لا تستعجل يا محمد بقراءة القرآن عندما ينزله جبريل عليك، ولا تحرك لسانك به خوفاً أن ينساك، فالله متكفل بحفظه في صدرك.

}إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ{:

· إن علينا: أي أن من مسؤوليتنا وتكفلنا، وليس عليك يا محمد .هذا إعلان من الله أنه المسؤول الأول عن جمع القرآن وقراءته.
· جمعه: أي جمع القرآن في صدرك، وحفظه لك، بحيث لا تنساه ولا تختلط عليك آياته.
· وقرآنه: أي قراءته على الناس، أو جعل القرآن مقروءاً تالياً .وقيل: أي جعلنا لك قراءته، بحيث تقرؤه كما ينبغي.

والمعنى: أن الله هو الذي سيجمع القرآن في صدر نبيه، وسيعلمه كيفية قراءته، فلا يحتاج إلى تكلف ولا عجلة.

}فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ{:

· فإذا قرأناه: أي إذا تلاه جبريل عليك بإذننا وقراءته.
· فاتبع قرآنه: أي استمع له جيداً، وأنصت، ثم تابع قراءته من بعده وتلوه .والاتباع هنا معناه: الاستماع أولا ً، ثم التلاوة ثانياً بعد أن يفرغ جبريل.

والمعنى: عندما يقرأ جبريل عليك القرآن، فأنصت واستمع، ثم اقرأه كما أقرأك.

}ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ{:

· ثم: للترتيب والتراخي .أي بعد الجمع والقراءة، يأتي البيان.
· إن علينا بيانه: أي من مسؤوليتنا وتكفلنا أن نبين لك معاني القرآن وأحكامه وحلاله وحرامه وتفاصيله، إما بواسطة جبريل أو بالإلهام أو بالوحي.

والمعنى: بعد أن نجمعه في صدرك، ونعلمك قراءته، سنبين لك معانيه وتفاصيله، فلا تقلق من جهل شيء منه.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآيات

1.نهي النبي عن تعجيل تلاوة القرآن أثناء نزوله عليه.
2.إسناد مهمة جمع القرآن إلى الله وحده، فهو المتكفل بحفظه في صدر النبي.
3.إسناد مهمة تعليم قراءة القرآن إلى الله، فهو المعلم للنبي كيفية التلاوة.
4.الأمر بالإنصات والاستماع لقراءة جبريل أولا ً، ثم التلاوة بعدها.
5.تكفل الله ببيان معاني القرآن وتفاصيله وأحكامه بعد جمعه وتعليم قراءته.
6.طمأنة النبي والمسلمين بأن القرآن محفوظ بحفظ الله، ولن يضيع منه شيء.
7.بيان منهج تلقي الوحي: السماع أولا ً، ثم الفهم، ثم العمل.
8.الرد على المشركين الذين كانوا يتهمون النبي بأنه يقول القرآن من عنده، فالله هو الذي يعلمه ويجمعه ويبينه.

الأمر الرابع: مغزى الآية وأسباب النزول

أسباب النزول:

نزلت هذه الآيات بسبب ما كان يفعله النبي صلى الله عليه وسلم عند نزول الوحي. روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي، يُحرك به لسانه وشفتيه يريد حفظه، فشق ذلك عليه، فأنزل الله: {لا تحرك به لسانك لتعجل به}".
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على ألا يفوته شيء من القرآن، فيحرك لسانه مع جبريل في أثناء النزول. فأمره الله بالإنصات والاستماع، ووعده بأن الله سيجمعه في صدره ويحفظه.

وقيل: إن النبي كان يردد الآيات خلف جبريل خوف النسيان، فنزلت تطمئنه.

المغزى العام للآيات:
المغزى الأول: أن الله هو المسؤول عن حفظ دينه وكتابه، وليس الرسول ولا البشر. هذا يطمئن المسلمين بأن القرآن سيبقى محفوظاً إلى يوم القيامة.

المغزى الثاني: أن التعلم له منهج: استماع أولا ً، ثم متابعة، ثم فهم وبيان. ليس كل شيء يؤخذ بـ العجلة والسرعة.

المغزى الثالث: أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان بشراً يحرص ويخاف النسيان، لكن الله علمه وأدبه. هذا يرفع من مكانته كمعلم، ويجعله قدوة في التعلم.

المغزى الرابع: أن القرآن ليس من كلام محمد، بل هو من عند الله، جبريل نزل به، ومحمد تلقاه واستمع ثم بلغ. هذا رد على من زعموا أنه يقوله من تلقاء نفسه.

الأمر الخامس: أهداف وغايات ومقاصد الآيات

.1هدف طمأنة النبي صلى الله عليه وسلم : أن يترك العجلة والحرص الشديد، فـالله متكفل بحفظ القرآن في صدره .وهذا من رحمة الله بنبيه أن رفع عنه مشقة الخوف على القرآن.
.2هدف تعليم المسلمين منهج التعلم : أن التعلم الصحيح يبدأ بالاستماع الجيد، ثم المتابعة، ثم الفهم والبيان .ليس من الحكمة أن يتكلم المتعلم قبل أن يسمع المعلم.
.3هدف إثبات حفظ الله لكتابه : من خلال إعلانه أنه هو الذي سيجمع القرآن ويقرئه ويبينه .وهذا وعد من الله، وقد تحقق بحفظ القرآن من أي تحريف.
.4هدف تنبيه المؤمنين إلى أهمية التدبر : من خلال ترتيب المراحل: الجمع) الحفظ (ثم القراءة ثم البيان .فالمسلم عليه أن يحفظ أولا ً، ثم يقرأ، ثم يفهم ويتبين.
.5هدف نفي تهمة الافتراء عن النبي : أن القرآن ليس من تأليفه، بل هو وحي من الله، تلقاه بالسماع والاتباع، لا بالعجلة والارتجال.
.6هدف بيان أدب تلقي العلم : الاستماع بإنصات، وعدم مقاطعة المعلم، والحرص على متابعته بعد أن يفرغ، ثم طلب البيان والتفصيل.

ثانياً: تحليل الآية

المحور الأول: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}

الأمر الأول: لماذا نهي النبي عن تحريك لسانه مع جبريل؟

السبب الأول: الحرص الشديد الذي بلغ حد العجلة:
النبي صلى الله عليه وسلم كان أحب الناس إلى الله، وأحرصهم على حفظ كلام الله. لكن هذا الحرص جعله يتحرك بلسانه مع جبريل أثناء نزول الآيات، خوفاً أن تفلت منه. فأدبه الله برفق، وأمره أن يدع العجلة، فـالله متكفل بالحفظ.

السبب الثاني: تثبيت القاعدة في تلقي الوحي:
لم يكن النهي خاصاً بالنبي فقط في تلك الحالة، بل هو تأسيس لمنهج تلقي العلم عامة: على المتلقي أن ينصت بإنصات، ولا يبادر بالكلام قبل أن يفرغ المعلم. هذه قاعدة تربوية عظيمة.

السبب الثالث: الفرق بين البشر في تلقيهم والله في تكفله:
الله يريد أن يعلم نبيه وللمسلمين من بعده أن الله هو المسؤول الأول عن حفظ دينه. ليس الأمر متروكاً لجهد البشر وحفظهم، وإن كان جهدهم مطلوباً. فليطمئن المسلم، فـالله سيحفظ كتابه بجمعه

وقراءته وبيانه.

السبب الرابع: الرفق بالنبي:
كان النبي يحرص حتى يشق عليه الأمر. فنهاه الله ليرفع عنه المشقة. هذا من تمام محبة الله له.

الأمر الثاني: دلالات "تحريك اللسان" ولغة الجسد في هذه الآية

هذا موطن مهم طلبت تفصيله. الآية تتحدث عن "حركة اللسان"، وهي من أهم عناصر لغة الجسد في التواصل الإنساني.

دلالات حركة اللسان في السياق القرآني:

الدلالة الأولى: القلق والتوتر:
تحريك اللسان بشكل سريع ومتكرر يدل على القلق الداخلي والخوف من فوات الشيء. النبي كان قلقاً أن ينسى القرآن، فحرك لسانه. هذا حركة جسدية تعكس حالة نفسية من التوتر والحرص الشديد. و الله ينهاه عن هذه الحركة التي تعكس هذا القلق، طمأنة له أن الأمر ليس بحاجة إلى هذا القلق.

الدلالة الثانية: العجلة وعدم التأني:
اللسان المتحرك قبل اكتمال السماع يدل على شخصية "عجلى"، تميل إلى المبادرة قبل الوقت المناسب. النبي كان يريد أن يقرأ مع جبريل مباشرة، وهذا من شدة حبه للقرآن، لكن الله يوجهه إلى أن "التأني" في التلقي هو الأصل.

الدلالة الثالثة: حالة الاستعداد للإجابة:
في لغة الجسد، الشخص الذي يحرك لسانه أو شفتيه أثناء استماعه للآخر، يكون في حالة "استعداد للرد" أو "محاولة حفظ موازية". النبي كان يكرر ما يقوله جبريل تواً، وهذا قد يشغله عن التركيز الكامل. فنهاه الله عن هذه الحركة، وأمره بالإنصات التام.

الدلالة الرابعة: الجهد المبذول في الحفظ:
تحريك اللسان والشفتين هو جزء من آلية الحفظ الصوتي. بعض الناس يحركون شفاههم أثناء الحفظ لترسيخ الكلام. النبي كان يفعل ذلك. لكن الله يوجهه: لا تحتاج إلى هذا الجهد المضاعف، فنحن المتكفلون بالحفظ.

التطبيق العملي على لغة الجسد في التعلم:
في مجال التربية والتعليم، هذه الآية تعلمنا أن "لغة الجسد" للمتعلم يجب أن تعكس الانتباه والإنصات ، وليس العجلة والقلق. فالمتعلم الجيد هو الذي:

· يثبت لسانه ولا يحركه أثناء استماع المعلم.
· ينظر إلى المعلم بعينيه بتركيز.
· لا يقاطع المعلم قبل أن يفرغ.
· يظهر عليه الهدوء والطمأنينة.
· يستعد للسؤال بعد أن يكمل المعلم، وليس أثناء شرحه.

الأمر الثالث: الحرص على طلب العلم بين المحمودة والمذمومة

الحرص المحمود: هو الذي يبذل فيه الإنسان جهداً في التحصيل، لكن مع الالتزام بآداب التلقي. كحفظ النبي للقرآن بعد نزوله، وحرصه على تلاوته.

الحرص المذموم: هو الذي يؤدي إلى العجلة، ومقاطعة المعلم، وتقديم التلاوة على السماع. هذا الحرص يعطل التعلم أكثر مما يسرعه.

ما يميز حرص النبي أنه كان حرصاً على الخير، لكن الله أدبه بالرفق وأعلمه أن هناك من هو أولى منه بهذه المهمة، وهو الله سبحانه. وهذا من التواضع والتعلم: حتى أعظم الخلق يحتاج إلى توجيه في طريقة تلقيه للعلم.

الفائدة العملية للمسلم: احرص على طلب العلم، لكن لا تعجل. استمع أولا ً، ثم افهم، ثم احفظ، ثم اسأل عن البيان. إياك أن تتكلم والمعلم يتكلم، أو تكرر خلفه وأنت لم تسمعه جيداً.

المحور الثاني: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}

الأمر الأول: لماذا أسند الله جمع القرآن وقراءته إلى نفسه؟

السبب الأول: لإزالة القلق عن النبي:
النبي كان يخاف أن ينسى أو يختلط عليه. فأسند الله هذه المهمة إلى ذاته العلية، ليطمئنه: لا تقلق، نحن نفعل ذلك.

السبب الثاني: الإعجاز في حفظ القرآن:
منذ نزول القرآن إلى يومنا، والله يحفظه من التحريف والتبديل. هذا وعد الله، وقد تحقق. ولا يمكن لأي كتاب في التاريخ أن يدعي أن نصه المحفوظ كما نزل إلا القرآن. وهذا دليل على صدق هذه الآية.

السبب الثالث: أن القرآن من عند الله:
تحديداً أسند الله الجمع والقراءة والبيان إليه، ليبين أن هذا الكتاب نزل منه، وهو المسؤول عن تدبيره، وليس النبي مؤلفاً له.

السبب الرابع: تعظيم شأن القرآن:
أن الله نفسه يتولى جمعه وقراءته وبيانه. هذا يدل على عظمة هذا الكتاب، وأنه ليس كسائر الكتب التي يترك جمعها وفهمها للبشر فقط.

الأمر الثاني: دلالة "جمع القرآن" و"قرآنه" وعلاقتهما بمنهجية التعلم

الجمع: هو حفظ الآيات في الصدر، وترتيبها، وضبطها من النسيان. هذا هو "الحفظ" بالمعنى الواسع.

القراءة: هي التلاوة على الناس، وإظهار القرآن باللفظ. وهي ثاني مرحلة بعد الحفظ.

العلاقة بينهما منهجية: لا يمكن لأحد أن يقرأ القرآن بشكل صحيح دون أن يكون قد جمعه في قلبه أولا ً (أي حفظه). والله علم نبيه ذلك الترتيب: الجمع أولا ً ثم القراءة.

التطبيق على منهجية التعلم:

· المرحلة الأولى) الجمع (: هي استقبال المعلومة، وتخزينها في الذاكرة .هذه مرحلة الاستماع والحفظ الأولي.
· المرحلة الثانية) القراءة/المتابعة (: هي إعادة إنتاج المعلومة، وتلاوتها على الناس، أو تطبيقها.
· المرحلة الثالثة) البيان (: هي فهم المعاني العميقة، واستيعاب التفاصيل، والإجابة عن الأسئلة.

أي تعلم ناجح يمر بهذه المراحل: استقبال ← تلاوة/تطبيق ← فهم عميق.

الأمر الثالث: الأثر النفسي والتربوي لقوله {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}

الأثر النفسي: الطمأنينة والسكينة:
عندما يعلم المتعلم أن الله هو المتكفل بتعليمه، يشعر بالطمأنينة. لا يقلق إذا نسي، لا يقلق إذا أخطأ، فالله سيجمعه له ويقرئه ويبينه. هذا لا يعني ترك الجهد، لكنه يعني التخلص من القلق الممرض.

الأثر التربوي: الاستماع قبل الكلام:
أعظم درس تربوي في هذه الآية: أن تكون مستمعاً قبل أن تكون متحدثاً. كثير من الناس يريدون التحدث قبل أن يستمعوا، أو الإجابة قبل أن يفهموا السؤال. الآية تعلم أن أول خطوة في العلم هي "الإنصات" و"الاتباع"، وليس "السبق" و"المبادرة".

الأثر العملي: التدرج في التعلم:
لا تتعجل. خذ العلم خطوات: استمع أولا ً، ثم تابع وردد، ثم اطلب البيان. كثير من طلاب العلم المعاصرين يريدون البيان قبل الجمع، أو القراءة قبل الاستماع. هذا منهج خاطئ.

الأمر الرابع: الاستماع كمهارة تعلم أساسية

الآية تؤسس لمهارة "الاستماع الفعال" التي يتحدث عنها علماء التربية الحديثة.

مكونات الاستماع الفعال المستفادة من الآية:

.1الصمت وعدم تحريك اللسان: أول مهارة في الاستماع أن تصمت، لا تحرك شفتيك، لا تردد مع المتحدث، لا تقاطعه.
.2الاتباع بالانتباه: بعد أن يفرغ المتحدث، تبدأ مرحلة المتابعة: إما بإعادة ما سمعته، وإما بالأسئلة.
.3طلب البيان: بعد المتابعة، تأتي مرحلة الفهم العميق، وطلب التوضيح.

التطبيق العملي في حياتنا:

· عندما يتحدث أستاذك، لا تحرك شفتيك بتكرار كلامه .أنصت فقط.
· عندما يتحدث زوجك أو ولدك، لا تقاطعه ولا تعد ما يقول .استمع أولا ً، ثم رُد.
· عندما تسمع خطبة الجمعة، لا تشغل لسانك بغيرها .أنصت، ثم تابع ما تسمعه بقلبك.

المحور الثالث: {ثمّ إنّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}

الأمر الأول: دلالة "ثم" و"البيان" وترتيب مراحل التلقي

"ثم" تفيد الترتيب والتراخي، أي بعد الجمع والقراءة، يأتي البيان .ليس دفعة واحدة .وهذا يعني أن فهم معاني القرآن وتفاصيله يأتي بعد حفظه وتلاوته .لا يمكن للإنسان أن يفقه ما لا يحفظ، ولا يتدبر ما لا يتلو.

"البيان" هو الإيضاح والتفسير والتفصيل .وهو يشمل بيان الأحكام، والحلال والحرام، والناسخ و المنسوخ، والمتشابه والمحكم، وغير ذلك.

المراحل الثلاث للتعلم القرآني:

.1الجمع: حفظ القرآن في الصدر.
.2القراءة: تلاوته على الناس وتجويده.
.3البيان: فهم معانيه وتفسيره واستنباط الأحكام.

التطبيق على أي علم: لا تحاول أن تفهم أي علم فهماً عميقاً قبل أن تجمع مبادئه وتقرأ نصوصه. التدرج هو مفتاح النجاح.

الأمر الثاني: لماذا خُص البيان بالله وليس للنبي أو البشر؟

السبب الأول: أن الله هو أعلم بمراده:
لا أحد يعرف معنى كلام الله مثل الله نفسه. فبيانه هو الأصل، وبيان البشر تابع له. والله قد بيّن القرآن في كتابه، وبواسطة رسوله، وبواسطة الأئمة المجتهدين.

السبب الثاني: أن الله هو الذي يلهم الفهم الصحيح:
ليس كل من قرأ القرآن فهمه صحيحاً. البيان الإلهي يعني أن الله يوفق من يشاء لفهم كتابه فهماً صحيحاً. ولهذا يدعو المؤمنين: "رب زدني علماً".

السبب الثالث: رفع الحرج عن النبي:
النبي ليس مطالباً بأن يفهم كل شيء من تلقاء نفسه. فالله سيبين له. وكذلك العلماء، ليسوا مطالبين بالاستنباط من غير دليل، بل الله بين لهم الطريق.

السبب الرابع: إبطال قول المشركين:
كان المشركون يقولون: "إن محمداً يعلمه بشر". فالله يرد عليهم: بل نحن نعلمه القرآن، ونحن نبينه له. فلا فضل لأحد عليه في ذلك.

الأمر الثالث: كيف يفهم المسلم هذه الآيات فهماً عميقاً يتجاوز التفسير اللفظي؟
الفهم العميق لهذه الآيات يتجاوز مجرد معرفة سبب النزول والمعنى اللغوي. إليك المستويات العميقة:

المستوى الأول: فهم العلاقة بين هذه الآيات ومقاصد سورة القيامة:
سورة القيامة تدور حول إثبات البعث والجزاء، والنفس اللوامة، وأهوال يوم القيامة. فما علاقة آيات جمع القرآن وبيانه بهذا؟ العلاقة هي: أن القرآن نفسه هو الذي أخبر بهذه الحقائق. فإذا كان الله قد تكفل بحفظ هذا القرآن وبيانه، فهو دليل على أن ما فيه من أخبار عن يوم القيامة حق. فالذي يحفظ كتابه من التحريف، هو نفسه الذي يقيم القيامة. فإثبات صحة القرآن إثبات لصحة البعث.

المستوى الثاني: فهم أن هذه الآيات تقدم نموذجاً للتعلم الإلهي:
الله يعلم نبيه، وأسلوب تعليمه يختلف عن تعليم البشر. فالبشر يعلمون بالتكرار والحفظ القسري، أما الله فيعلم بالتكفل والطمأنة. فالمسلم عندما يتعلم، يجب أن يتوكل على الله أولا ً، ثم يجتهد ثانياً.

المستوى الثالث: فهم أن القرآن ليس مجرد نصوص، بل حياة:
الذي تكفل الله بجمعه وقراءته وبيانه هو تكفل بأن يكون هذا الكتاب منهج حياة. فهو ليس مجرد كلمات تترتل، بل هو دستور يُفهم ويُطبق.

المستوى الرابع: فهم أن البيان الإلهي مستمر:
لم يتوقف البيان عند موت النبي. بل يستمر البيان من خلال العلماء المجتهدين الذين يبينون معاني القرآن لكل عصر. وهذا من تمام تكفل الله ببيانه.

المستوى الخامس: فهم المسؤولية الفردية تجاه القرآن:
رغم أن الله تكفل بجمع القرآن، إلا أن على المسلم أن يجتهد في حفظه. فالتكفل الإلهي لا يعني ترك الجهد البشري. بل هو معونة من الله لمن يجتهد.

الأمر الرابع: المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

أولا ً: المهارات الحياتية:

.1مهارة ضبط الانفعالات والتحكم في العجلة: تعلمنا الآية ألا نستعجل في الأمور، وأن نترك لكل شيء وقته .العجلة تؤدي إلى الخطأ وضياع الجهد.
.2مهارة الاستماع الفعال: تعلمنا أن ننصت قبل أن نتحدث، ونستمع قبل أن نرد .هذه المهارة تحسن العلاقات الأسرية والمهنية.
.3مهارة التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب: النبي أخذ بأسباب الحفظ، لكنه توقف عن العجلة . تعلمنا أن نفعل ما علينا، ثم نتوكل على الله.
.4مهارة التدرج في تحقيق الأهداف: المراحل الثلاث) جمع، قراءة، بيان (تعلمنا أن نحقق أهدافنا خطوة خطوة، ولا نقفز إلى النتائج النهائية بسرعة.
.5مهارة طلب العلم بطريقة صحيحة: تعلمنا أن نبدأ بالاستماع، ثم المتابعة، ثم طرح الأسئلة .لا نعكس الترتيب.

ثانياً: المهارات المعرفية:

.1مهارة التمييز بين المحتوى وطريقة نقله: الآية تركز على "كيفية" تلقي الوحي، وليس فقط "ماذا" في الوحي .هذا يعلمنا أن الطريقة لا تقل أهمية عن المضمون.
.2مهارة الربط بين النصوص القرآنية: يجب أن نفهم أن هذه الآيات مرتبطة بموضوع السورة)القيامة (وليست منفصلة عنه .الربط بين أجزاء النص من أهم المهارات المعرفية.
.3مهارة استنباط الأصول التربوية من النص القرآني: من هذه الآية نستنبط أصولا ً تربوية في التعلم، مما يطور المهارة الاستنباطية لدى القارئ.
.4مهارة فهم النص في سياقه: لا نستطيع أن نفهم} لا تحرك به لسانك {دون أن نفهم الخوف الذي كان يملأ قلب النبي عليه الصلاة والسلام .فهم السياق النفسي جزء من المهارة المعرفية.

ثالثاً: المهارات العملية:

.1تطبيق "الاستماع قبل الكلام" في المجالس: في أي مجلس تعلم، أو اجتماع عمل، أو حوار أسري، التزم بالإنصات أولا ً، ثم الكلام .هذه المهارة العملية ستحسن علاقاتك كلها.
.2تطبيق قاعدة "التدرج" في أي مشروع تعليمي: إذا أردت أن تتعلم مهارة جديدة، ابدأ بجمع المعلومات) الجمع(، ثم تدرب عليها) القراءة(، ثم أسأل أهل الخبرة عن تفاصيلها) البيان .(لا تقفز إلى المرحلة الأخيرة.

.3تطبيق "طمأنة المتعلم" في التربية: عندما تعلم أبناءك، لا تزرع فيهم القلق، بل طمئنهم أنك معهم، وأن التعلم ليس بالعجلة .هذا مشتق من طمأنة الله لنبيه.
.4تطبيق حفظ القرآن بطريقة صحيحة: الآية تعطينا منهجاً لحفظ القرآن: استمع أولا ً) من قارئ مجود(، ثم تابع وردد، ثم اطلب البيان من المفسرين .لا تحرك لسانك مع القارئ، بل أنصت أولا ً.
.5تطبيق الثقة بالله في كل عمل: أي عمل تقوم به، اعلم أن الله هو المعين، والتكفل به .هذا يريحك من القلق والاضطراب.

ثالثاً: دلالات الآية والجوانب البلاغية والخواطر والتأملات

الأمر الأول: دلالات الآية كمحفز لتحويل النص إلى سلوك

هذه الآيات تحفز المؤمن على تحويل سلوكه في عدة اتجاهات:

.1تحفيز على تحسين أسلوب التلقي: أن تتعلم كيف تستمع، كيف تنصت، كيف تتابع، كيف تسأل .من قرأ هذه الآية بتدبر، لا يعود كما كان في طريقة استماعه للعلم.
.2تحفيز على حفظ القرآن والاهتمام به: أن الله تكفل بجمعه، فلا تتهاون في حفظه .اجتهد أن تكون من أهل القرآن.
.3تحفيز على التدبر بعد الحفظ: لا تكتفي بالحفظ، بل اطلب البيان .اقرأ التفسير، واسأل العلماء، وتفكر في معاني القرآن.
.4تحفيز على ترك العجلة في الخير: كن حريصاً على الخير، لكن لا تتعجل .أتقن عملك خطوة خطوة.

الأمر الثاني: خواطر الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: مع "لا تحرك به لسانك":
أتأمل لساني، هذا العضو الصغير الذي يحركني ويحرك بي. كم مرة تكلمت قبل أن أنصت؟ كم قاطعت متحدثاً لأني أردت أن أبدي رأيي؟ اللّهم علِمني الاستماع قبل الكلام.

الخاطرة الثانية: مع "إن علينا جمعه وقرآنه":
يا رب، كفيتني أمر القرآن. فلماذا أقلق؟ لماذا أخاف أن يضيع مني؟ أنت الذي جمعته في صدري، وأنت الذي تعلّمني قراءته. فلتطمئن نفسي، ولتستقر.

الخاطرة الثالثة: مع "فإذا قرأناه فاتبع قرآنه":
كم مرة سمعت القرآن ولم أتبعه؟ قرأته أئمة، وسمعته أذناي، لكن قلبي كان غافلا ً. اللّهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

الخاطرة الرابعة: مع "ثم إن علينا بيانه":
اللّهم علمنا من لدنك علماً، وبيّن لنا ما خفي علينا من أمر ديننا. فنحن نقرأ ولا نفهم، ونتلو ولا نتدبر. فأعنا على البيان.

الخاطرة الخامسة: جمع الخواطر في صورة عملية:
أتصور جبريل عليه السلام ينزل بالوحي، وأتصور النبي صلى الله عليه وسلم مُصغياً، لا يحرك لسانه، بل قلبه حاضر، وروحه متلقية. ثم أتصور النبي بعد ذلك يقرأ القرآن على أصحابه، ثم يبين لهم. هذا المشهد يجعلني أحب القرآن أكثر، وأحترم طريقة تلقيه أكثر.

الأمر الثالث: التصوير البياني في الآيات

أولا ً: تصوير حركة اللسان:
"لا تحرك به لسانك" تصوير لصورة سريعة: لسان يتحرك بسرعة، شفتان تتحركان، هواء يخرج، صوت متقطع. ثم يأتي النهي فيوقف هذه الحركة. التصوير هنا سينمائي تقريباً، وكأنك ترى النبي عليه الصلا ة والسلام.

ثانياً: تصوير تكفل الله:
"إن علينا جمع وقرآنه" تصوير لعظمة الله وهو يضع يده على هذا الكتاب، يجمعه، يقرؤه، يبينه. كأن الله يقول: "هذا كتابي، أنا المسؤول عنه، لا تقلق".

ثالثاً: تصوير الاتباع:
"فاتبع قرآنه" تصوير لطالب علم خلف معلمه، يمشي على خطاه، لا يتقدم عليه، لا يتأخر عنه. هذا تصوير للتواضع في التعلم.

رابعاً: تصوير البيان:
"علينا بيانه" تصوير لظهور النور: الغموض يزول، والظلمة تنجلي، والحقائق تتكشف. وكأن القرآن كان مغطى فرفع الله غطاءه.

الأمر الرابع: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغيير النظر إلى التعلم : لم يعد التعلم مجرد "جمع معلومات"، بل أصبح "مراحل متكاملة") جمع، قراءة، بيان .(وعليك أن تمر بها كلها.
.2تغيير النظر إلى العجلة : العجلة ليست دائماً فضيلة .قد تكون العجلة عيباً إذا أتت في غير موضعها .فتعلم أن تترك العجلة في التعلم وفي الحياة.
.3تغيير النظر إلى المسؤولية : أنت مسؤول عن جهدك، والله مسؤول عن النتيجة .اعمل ما عليك، وتوكل على الله في الباقي.
.4تغيير النظر إلى القرآن : القرآن ليس مجرد كتاب نقرأه في المناسبات .هو كتاب تكفل الله بحفظه وتعليمه وبيانه .فهو يستحق منا كل الاهتمام.

الأمر الخامس: تأملات ووقفات تدبرية

الوقفة الأولى: مع صورة النبي في هذا المشهد:
تأمل النبي عليه الصلاة والسلام وهو يحرك لسانه، مشغول القلب بالحرص على الوحي. ثم تأمل كيف رفق الله به، ولم يعنفه، بل قال له "لا تحرك" بأدب. ما أعظم رحمة الله بنبيه! وما أعظم قدوة في الرفق بالمتعلمين!

الوقفة الثانية: مع لسانك أنت:
قف مع لسانك. كم مرة تكلمت قبل أن يفرغ المتحدث؟ كم قاطعت معلماً أو والداً أو زوجاً؟ الآية تدعوك إلى مراجعة هذه العادة.

الوقفة الثالثة: مع "علينا":
قف مع كلمة "علينا". من من الناس يتحمل المسؤولية عن غيره؟ الله وحده هو الذي يقول "علينا" ويتحمل. هذا يعلمك أن تكون مسؤولا ً مع من تحت يدك: قل "علينا" وليس "عليهم".

الوقفة الرابعة: مع البيان:
تأمل: كل آية في القرآن تحتاج إلى بيان. لا تمر عليها مروراً عابراً. اسأل: ما معناها؟ ما سبب نزولها؟ ما علاقتها بما قبلها؟ البيان يحتاج إلى جهد.

الوقفة الخامسة: جمع التأملات:
أتأمل نفسي وأنا أقرأ القرآن. هل أستمع إليه أولا ً؟ هل أتدبره؟ هل أسأل عن معانيه؟ أم أقرأ بسرعة وأنا لا أعي؟ هذه الوقفة تغير علاقتي بالقرآن.

أخي الكريم،

آيات سورة القيامة من 16 إلى 19 كانت طمأنة للنبي صلى الله عليه وسلم، لكنها أيضاً دستور لك.

لا تحرك به لسانك:
لا تستعجل في أمور دينك ودُنياك. أنصت قبل أن تتكلم. استمع قبل أن ترد. إن في الاستماع قوة لا يعرفها إلا العاقل.

إن علينا جمعه وقرآنه:
لا تقلق على كتاب الله، فهو محفوظ بحفظ الله. وما دام كتابه محفوظاً، فسنته محفوظة، ودينه محفوظ، وشرعه محفوظ. فاطمئن.

فإذا قرأناه فاتبع قرآنه:
إذا تلي عليك القرآن، فاستمع وأنصت. ثم اتبعه بالعمل. لا تكن من الذين يسمعون ولا يتبعون.

ثم إن علينا بيانه:
لا تكتف بالقراءة. اسأل، تعمق، تدبر، تفقه. البيان الإلهي يأتي بالعلم، ويأتي بالهداية، ويأتي بالفهم العميق.

لغة الجسد التي تعلمناها من الآية: أثبت لسانك، أطلق سمعك، وعيك بقلبك، ثم تكلم بفهم.

المهارات الحياتية التي نأخذها: مهارة الاستماع، مهارة ضبط العجلة، مهارة التدرج، مهارة التوكل، مهارة طلب البيان.

الفهم العميق لهذه الآية: أنها نموذج مصغر لعلاقة الإنسان بربه في تلقي الهداية: استقبال، ثم استيعاب ، ثم تفعيل، ثم استزادة.
رابعاً: أهم الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الاول : ما الذي تدعونا إليه الآية في حياتنا (ت

هذه الآيات تدعونا إلى ثمانية أمور عظيمة:

.1تدعونا إلى حسن أدب التلقي والتعلم : أن نتعلم كيف نستمع، كيف ننصت، كيف نتلقى العلم قبل أن نتحدث عنه .فالعلم يؤخذ بالإنصات أولا ً، ثم بالمتابعة ثانياً، ثم بالبيان ثالثاً.
.2تدعونا إلى الثقة باللّه في حفظ دينه : لا نقلق على القرآن أو السنة من الضياع أو التحريف، ف اللّه متكفل بحفظه وبيانه .هذه الثقة تريح القلوب وتطمئن النفوس.
.3تدعونا إلى ترك العجلة في أمور الخير : كن حريصاً، لكن لا تكن عجلا ً .العجلة قد تضر أكثر مما تنفع .أتقن عملك، واتقن تعلمك، واتقن عبادتك، ولا تستعجل النتائج.
.4تدعونا إلى التواضع في التعلم : كن كالنبي صلى اللّه عليه وسلم الذي كان يحرص لكنه قبل التوجيه الإلهي .لا تستكبر عن أن تتعلم طريقة التعلم الصحيحة .كلنا طلاب، والمعلم الأول هو اللّه.
.5تدعونا إلى تدبر القرآن بعد تلاوته : لا تكتف بقراءة القرآن، بل اسأل عن معانيه، وتفكر في آياته، واطلب البيان من العلماء .فالقرآن أنزل ليفهم ويعمل به، لا ليتلى فقط.
.6تدعونا إلى تطبيق منهج "استمع – تابع – افهم" في كل تعلم : أي علم تتعلمه، أي مهارة تتقنها، أي معلومة تستقبلها، التزم بهذه المراحل الثلاث .هذا يضمن لك فهماً عميقاً وعلماً راسخاً.
.7تدعونا إلى أن نكون معلمين رحماء : كما رفق اللّه بنبيه في نهيه، نرفق بمن نعلمهم .لا نعنف المتعلم على عجلته، بل نوجهه بلطف إلى الطريقة الصحيحة.
.8تدعونا إلى ربط القرآن بالحياة : القرآن الذي جمعه اللّه وقرأه وبينه، هو دستور حياتنا .فلا نجعله في رفوف المكتبات، بل في قلوبنا وألسنتنا وأعمالنا.

الأمر الثاني: ما الذي نتعلمه من الآية في حياتنا العملية
نتعلم في مجال العبادات:

· أن نستمع للقرآن في الصلاة بخشوع وإنصات، ولا نحرك ألسنتنا مع الإمام.
· أن نتعلم أحكام التجويد والترتيل، فنقرأ القرآن كما يرضي اللّه.
· أن نخصص وقتاً لتدبر القرآن بعد تلاوته، وليس للاكتفاء بالقراءة السريعة.

نتعلم في مجال التعليم والدراسة:

· قبل أن تبدأ في حفظ أي مادة، استمع إليها جيداً من معلم متقن .هذه هي مرحلة "الجمع".
· ثم كرر ما سمعته) القراءة/المتابعة(، لا تنتقل إلى التفاصيل قبل أن تتقن الأساسيات.
· ثم اسأل عن البيان: لماذا؟ كيف؟ ما التفاصيل؟ ما التطبيقات؟

نتعلم في مجال العلاقات الإنسانية:

· عندما يتحدث إليك شخص، لا تقاطعه .لا تحرك لسانك قبل أن يفرغ .أنصت له أولا ً) جمع(، ثم ردد ما فهمت) متابعة(، ثم اسأل عما لم تفهم) بيان.(
· هذه الطريقة وحدها كفيلة بحل نصف مشاكل التواصل بين الزوجين، وبين الوالدين والأبناء، وبين المدير والموظفين.

نتعلم في مجال العمل والمهنة:

· عند استلام مهمة جديدة، استمع لتوجيهات مديرك جيداً دون مقاطعة.
· ثم كرر المهمة كما فهمتها للتأكد من صحة الاستقبال.
· ثم اطلب البيان لأي نقطة غير واضحة.
· هذا يوفر وقتاً وجهداً، ويمنع الأخطاء.

نتعلم في مجال الدعوة والإرشاد:

· عندما تدعو شخصاً إلى الله، لا تزحمه بالكلام .استمع لأسئلته وشبهاته أولا ً.
· ثم جاوب بما يفهم، وتابع معه.
· ثم اشرح له البيان بعد أن تستقر المبادئ في ذهنه.
· الداعية الناجح هو الذي يحسن الاستماع أولا ً.

الأمر الثالث: الدروس من الآية في حياتنا العملية

الدرس الأول: "الحرص لا يبرر سوء الأدب":
النبي صلى الله عليه وسلم كان حريصاً أشد الحرص على حفظ القرآن، لكن الله نهاه عن تحريك لسانه. هذا يعلمنا أن الحرص على الخير لا يعني أن نفعل أي شيء للحصول عليه، بل لابد من التزام الأدب والطريقة الصحيحة. فبعض الناس بحجة الحرص على العبادة يزاحمون ويسيئون ويضيقون على الآخرين. هذا خطأ. الأدب قبل الحرص.

الدرس الثاني: "التكفل الإلهي يريح القلوب":
الله قال: {إن علينا جمعه وقرآنه}. لو كان الأمر متروكاً للبشر، لاختلفوا ولضاع الكثير. لكن الله تولى ا لأمر بنفسه. هذا الدرس يعلمنا أن نكل أمورنا لله، فما تولاه الله لا نضيع فيه وقتاً في القلق. توكل على الله، وافعل ما عليك، واترك النتيجة له.

الدرس الثالث: "الاستماع نصف العلم":
النبي صلى الله عليه وسلم أمر بأن يستمع أولا ً ثم يتبع. هذا معناه أن "الاستماع الجيد" هو نصف عملية التعلم. من لا يحسن الاستماع، لن يحسن التعلم. هذه مهارة تحتاج إلى تدريب: أن تصمت، أن تركز، أن تمنع عقلك من التشتت، أن تؤخر ردود أفعالك إلى ما بعد اكتمال الحديث.

الدرس الرابع: "البيان بعد الجمع والقراءة":
كثير من طلاب العلم اليوم يقعون في خطأ فادح: يريدون البيان (التفسير، التفصيل، الإجابة عن الأ سئلة المعقدة) قبل أن يجمعوا المبادئ الأساسية ويقرؤوها قراءة صحيحة. هذا يشبه من يريد أن يبني طابقاً ثانياً قبل أن يبني الأساس. التدرج هو مفتاح النجاح.

الدرس الخامس: "لغة الجسد في التعلم":
الآية تعلمنا أن لغة الجسد جزء من عملية التعلم. تحريك اللسان أثناء استماع الآخر يرسل رسالة غير لائقة: "أنا لا أثق أنني سأحفظ، ولذلك أكرر معك"، أو "أريد أن أتحدث بدلا ً منك". المتعلم الجيد هو الذي يظهر جسده الهدوء والطمأنينة والإنصات. عيناه على المعلم، أذناه صاغيتان، فمه صامت، لسانه ساكن. هذه لغة جسد تحترم المعلم وتعظم العلم.

الدرس السادس: "العلم يورث الطمأنينة لا القلق":
النهي عن تحريك اللسان كان سبباً في طمأنة النبي. هذا معناه أن العلم الحقيقي يورث طمأنينة، وليس توتراً وقلقاً. فإذا رأيت طالب علم قلقاً، فاعلم أنه لم يصل إلى حقيقة العلم بعد.

الدرس السابع: "تعلم كيف تتعلم" قبل أن تتعلم:
الآية علمت النبي كيف يتعلم القرآن (استمع ثم تابع ثم اسأل البيان). هذا يعني أن من أهم ما نتعلمه في حياتنا هو "منهجية التعلم" نفسها. الإنسان الذي يتقن "كيف يتعلم" يستطيع أن يتعلم أي شيء.

الدرس الثامن: "القرآن منهج حياة لا مجرد تلاوة":
تكفل الله بجمعه وقراءته وبيانه لأجل أن يكون حياً في حياتنا. ليس لأجل أن ننال أجر التلاوة فقط، بل لأجل أن نفهم ونعمل. فإذا انقطعنا عند التلاوة ولم نصل إلى البيان، فقد فاتنا جوهر القرآن.

خامساً: مفاهيم وأبعاد وآفاق وقيم الآية)

الأمر الأول: آفاق وأبعاد الآيه)

البعد الأول: البعد التربوي التعليمي:
هذه الآيات تؤسس لنظرية تربوية متكاملة في كيفية التعلم. فالتعلم عملية ثلاثية المراحل: (جمع/استقبال) ثم (قراءة/متابعة/تطبيق) ثم (بيان/فهم عميق). أي منهج تعليمي لا يراعي هذه المراحل هو منهج ناقص. والآيات أيضاً تؤسس لأدب المتعلم مع المعلم: الإنصات، عدم المقاطعة، الا تباع بعد الفراغ، ثم طلب البيان.

البعد الثاني: البعد الإيماني العقدي:
تثبت الآيات أن القرآن وحي من الله، وأن الله هو المتكفل بحفظه وبيانه. هذا يبني يقيناً في قلب المسلم بأن هذا الكتاب محفوظ بحفظ الله، وأنه لا يمكن تحريفه أو تبديله، وهذا من دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم. كما تثبت الآيات أن النبي بشر يتعلم ويتلقى، وليس عند منزلة الألوهية.

البعد الثالث: البعد النفسي:
تعالج الآيات حالة "القلق المعرفي" التي تصيب المتعلم الخائف من النسيان أو الفوات. فالنبي كان قلقاً ، فعلمه الله أن يترك العجلة، وأن يطمئن إلى تكفل الله. هذا يعالج قلق كثير من طلاب العلم الذين يرون أن حفظهم ضعيف، فيقلقون ويحزنون. الآية تريحهم: ليست النتيجة على جهدك وحده، بل على توفيق الله.

البعد الرابع: البعد التواصلي:
ترسم الآيات نموذجاً للتواصل الفعال بين المتحدث والمستمع. المستمع الجيد هو الذي: لا يحرك لسانه، ينصت باهتمام، يتابع بعد الانتهاء، يطلب البيان لما أشكل عليه. هذه قواعد التواصل الناجح في أي ع لاقة إنسانية، وليست مقتصرة على تلقي الوحي فقط.

البعد الخامس: البعد الحضاري:
الأمة التي تحسن "الاستماع" قبل "الكلام"، وتحسن "المتابعة" قبل "الابتداع"، وتحسن "طلب البيان" قبل "الإفتاء" هي أمة تملك منهجية علمية رصينة. هذه الآيات تقدم نموذجاً حضارياً في تلقي العلم ونقله، يمنع الفوضى الفكرية والاجتهادات العشوائية.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفوس وكيفية تطبيقها

القيمة الأولى: قيمة "الإنصات":
تغرس الآية قيمة الإنصات والاستماع الجيد قبل الكلام.
التطبيق: في أي مجلس تعلم أو حوار، التزم بالصمت حتى يفرغ المتحدث. لا تقاطع، ولا تردد، ولا تحرك لسانك.

القيمة الثانية: قيمة "عدم العجلة":
تغرس أن العجلة في طلب العلم مذمومة، وأن التأني هو السبيل إلى الإتقان.
التطبيق: لا تستعجل حفظ القرآن أو فهم العلم. خذ وقتك، وردد، وتأكد من الإتقان قبل الانتقال إلى غيره.

القيمة الثالثة: قيمة "التوكل على الله":
تغرس أن الله هو المتكفل بالنتيجة، وأن على الإنسان فقط أن يؤدي الجهد بالطريقة الصحيحة.
التطبيق: عندما تحفظ القرآن أو أي علم، لا تقلق من النسيان. توكل على الله، وأدِ جهدك، واترك الباقي عليه.

القيمة الرابعة: قيمة "التدرج في التعلم":
تغرس أن التعلم له مراحل: جمع، ثم قراءة، ثم بيان. لا يمكن القفز إلى البيان دون الجمع والقراءة.
التطبيق: في تعليم أطفالك، لا تبدأ بالتفاصيل المعقدة. ابدأ بالأساسيات، ثم انتقل إلى التفاصيل.

القيمة الخامسة: قيمة "احترام المعلم":
تغرس أن المتعلم يجب أن لا يتحرك لسانه أمام المعلم، بل ينصت له.
التطبيق: غرس في أبنائك احترام المعلم، وعدم مقاطعته، والإنصات له حتى يفرغ.

الأمر الثالث: المفاهيم)

المفهوم الأول: مفهوم "العجلة في التلقي":
هي حركة اللسان مع المتحدث قبل أن يفرغ، وهي مذمومة لأنها تعكس قلقاً وتشتتاً وتعطلا ً للا ستماع الفعال.

المفهوم الثاني: مفهوم "الجمع":
هو حفظ المعلومات وترتيبها في الصدر أو في الذاكرة. وهو الخطوة الأولى في التعلم.

المفهوم الثالث: مفهوم "القراءة":
هي تلاوة المعلومات وإعادة إنتاجها. وهي الخطوة الثانية بعد الجمع، وتكون باللفظ والفعل.

المفهوم الرابع: مفهوم "الاتباع":
هو متابعة المعلم والمشي على خطاه، وعدم الابتداع أو التقدم عليه في التلقي.

المفهوم الخامس: مفهوم "البيان":
هو التوضيح والتفصيل والإفهام. وهو الخطوة الثالثة والأعمق في التعلم، ويأتي بعد الجمع والقراءة.

المفهوم السادس: مفهوم "لغة الجسد في التعلم":
هي الرسائل غير اللفظية التي يرسلها المتعلم أثناء تلقيه العلم، وتشمل حركة اللسان، العينين، اليدين، وضعية الجلوس. وهي مؤشر على حالة المتعلم النفسية والمعرفية.

الأمر الرابع: كيف يمكن تحويل هذه المفاهيم إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية

أولا ً: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء الإنسان الفرد:

مفهوم "الإنصات وعدم العجلة" يبني إنساناً متزناً، لا يتسرع في أحكامه، ولا يقاطع الآخرين، ولا يتحدث قبل أن يسمع. هذا الإنسان يكون محبوباً في محيطه، ناجحاً في عمله، لأن الناس يحبون من يستمع إليهم.

مفهوم "التدرج في التعلم" يبني إنساناً متقناً، لا ينتقل إلى المرحلة التالية قبل إتقان الحالية. هذا يمنعه من الهزات العلمية والتراجع المعرفي.

مفهوم "التوكل مع الجهد" يبني إنساناً لا ييأس ولا يقلق، لأنه يعلم أن الله هو المسؤول عن النتيجة. هذا يجعله أكثر استقراراً نفسياً.

ثانياً: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء المجتمع:

مجتمع يربي أفراده على "الإنصات قبل الكلام" هو مجتمع قليل فيه الخصومات والمشاحنات، لأن أفراده يسمعون بعضهم قبل أن يردوا. مشاكل الأسر والمجتمعات كثير منها ناتج عن عدم الاستماع الجيد.

مجتمع يطبق "التدرج في التعليم" هو مجتمع يخرج علماء ومتخصصين متقنين، لا مبتدئين متسرعة. هذا يرفع جودة التعليم والمخرجات.

ثالثاً: تحويل المفاهيم إلى طاقة بناء الحضارة الإسلامية:

الحضارة الإسلامية في أوجها كانت تقوم على منهجية علمية رصينة: التلقي عن الثقات، والاستماع أو لا ً، ثم الفهم، ثم البيان. هذه الآيات تقدم نموذجاً لهذه المنهجية. العودة إلى هذا المنهج هي عودة إلى أسس الحضارة.

رابعاً: تطبيقات عملية للنهضة:

· في التعليم: اعتماد منهج "الاستماع – المتابعة – البيان" في كل مراحل التعليم .تدريب المعلمين على عدم مقاطعة الطلاب، وتدريب الطلاب على الإنصات.
· في الإعلام: برامج حوارية تلتزم بقواعد الإنصات وعدم المقاطعة، تعطي كل طرف فرصة للكلام قبل الرد.

· في الأسرة: جلسات حوار عائلية حيث يتحدث كل فرد دون مقاطعة، ويتم الاستماع له باهتمام.

الأمر الخامس: أهمية الأسلوب القرآني الذي تجسده الآية في إعداد وتأهيل وتدريب وإصلاح الإنسان

أولاً: أهمية أسلوب "النهي المباشر" مع الرفق:
الآية استخدمت أسلوب النهي: {لا تحرك}، لكنه نهي مقترن ببيان السبب: {لتعجل به}. هذا الأسلوب يجمع بين الحزم والرفق، بين المنع والتفسير. في التربية، عندما ننهى المتربي عن سلوك، ينبغي أن نشرح له السبب، حتى لا يكون النهي تعسفياً بل مقنعاً.

ثانياً: أهمية أسلوب "إسناد المهمة إلى الله":
عندما قال الله: {إن علينا جمعه وقرآنه}، حول انتباه النبي من قلقه إلى الثقة بالله. هذا الأسلوب يعالج القلق ليس بالتقليل من شأن المهمة، بل بتعظيم شأن المتكفل بها. المربي يمكنه استخدام هذا ا لأسلوب: بدلاً من أن يقول "لا تقلق"، يقول "الله معينك".

ثالثاً: أهمية أسلوب "الأمر بالاتباع بعد الفراغ":
{فإذا قرأناه فاتبع قرآنه} هذا الأسلوب يعلم المربي أن يترك مساحة للمتعلم ليتابع ويعيد، لا أن يملي عليه طوال الوقت. التعليم التفاعلي أفضل من التعليم التلقيني.

رابعاً: أهمية أسلوب "ثم" للترتيب:
"ثم" دلت على الترتيب والتراخي. هذا الأسلوب يؤسس لمبدأ "التدرج" في التربية. لا تنتقل إلى المرحلة التالية قبل إتمام السابقة.

خامساً: الأسلوب القرآني كمنهج لتعديل السلوك:
الآية قدمت نموذجاً لتعديل السلوك: رصد السلوك الخطأ (تحريك اللسان)، ثم نهي واضح، ثم تعليل، ثم تقديم بديل إيجابي (الإنصات والاتباع). هذا النموذج يمكن تطبيقه في تعديل أي سلوك خاطئ في التربية.

رسالة ختامية جامعة

أخي الكريم،

آيات سورة القيامة من 16 إلى 19 ليست فقط في كيفية تلقي القرآن، بل هي منهج حياة.

تعلم منها:

· أن تستمتع قبل أن تتكلم.
· ألا تعجل في أمور دينك ودنياك.
· أن تثق بالله أكثر من ثقتك بنفسك.
· أن تتدرج في تعلمك، ولا تقفز إلى النهايات.
· أن تعرف أن الله لم يتركك وحدك، بل هو المتكفل بنجاحك، فاطمئن.

وتذكر دائماً:

· لسانك: إما أن يحركك إلى الجنة، أو إلى النار.
· استماعك: إما أن يبني عقلك، أو يهدمه.
· عجلتك: إما أن توقعك في الخطأ، أو تحرمك الصواب.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً. اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وج لاء أحزاننا، وذهاب همومنا. اللهم لا تجعلنا ممن يقرأ القرآن ولا يتدبره، ولا ممن يستمع ولا يتبع، ولا ممن يعجل فيقع. واجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك..

القسم الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

{كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}

أولا ً: تفسير الآية

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية تربط الآية بما قبلها

بعد أن طمأن الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الآيات السابقة بأنه المتكفل بجمع القرآن وقراءته وبيانه، انتقل السياق الآن إلى مواجهة المشركين والغافلين الذين كانوا يفضلون الدنيا على الآخرة، وكانوا يكذبون بالبعث.

الآيات السابقة (16-19) كانت خطاباً للنبي صلى الله عليه وسلم وحده، أما هذه الآيات فخطاب عام للبشر: {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ}. فبعد أن بين الله قدرته على البعث (في أول السورة)، وبين أهوال يوم القيامة (في آيات 7-15)، ثم بين حفظه لكتابه (16-19)، ها هو يفضح السبب الحقيقي لإنكار الناس للبعث وإعراضهم عن الآخرة: وهو حب الدنيا العاجلة وإيثارها على الآخرة.

والربط بين ما قبل وما بعد هو ربط بين "منهج تلقي الوحي" و"سلوك الناس تجاه الوحي". الله بين للنبي كيفية تلقي القرآن، ثم بين أن الناس مع هذا القرآن فريقان: فريق يتبعه ويؤمن به، وفريق يحب الدنيا ويذر الآخرة. وهذا الفريق هو الذي وصفه الله في هذه الآيات.

والمقصد العام: إقامة الحجة على من يفضل الدنيا، وبيان أن هذا التفضيل هو سبب ضلالهم، ثم وصف حال الفريقين يوم القيامة: فريق وجوههم ناضرة إلى ربها ناظرة، وفريق وجوههم باسرة تظن أن بها فاقرة.

الأمر الثاني: تفسير الآيات

{كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ}:

· كلا: حرف ردع وزجر. تفيد معنى: "ليس الأمر كما تظنون" أو "ارتدعوا وانزجروا". وهي تأتي هنا للإ نكار على الذين يفضلون الدنيا، وللانتقال من حديث إلى حديث. والمعنى: ليس الأمر أن البعث مستحيل أو أن القرآن ليس من عند الله، بل الأمر أنكم تحبون الدنيا.
· بل: حرف إضراب وانتقال. تفيد أن السبب الحقيقي ليس ما يزعمونه من شبهات، بل هو حب الدنيا.
· تحبون العاجلة: العاجلة هي الدنيا، سميت عاجلة لأنها سريعة الزوال، ولأن عذابها ونعيمها عاجلان قبل الآخرة. و"تحبون" تدل على حب شديد تعلق به القلب واستولى عليه. والمعنى: أنكم تفضلون حب الدنيا على حب الآخرة، وتؤثرون ما يزول على ما يبقى، وتقدمون اللذة الفانية على النعيم الدائم.

{وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ}:

· تذرون: من الإذاعة والترك. والمعنى: تتركون الآخرة، ولا تعملون لها، وتغفلون عنها، وتؤخرون أمرها.
· الآخرة: سميت آخرة لأنها بعد الدنيا، وهي دار البقاء والخلود.

والمعنى: أنكم مع حبكم للدنيا، تتركون العمل للآخرة، فلا تطلبونها، ولا تسعون إليها، ولا تريدونها. هذا هو الانحراف الكبير: تقديم الدنيا على الآخرة.

{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ}:

· وجوه يومئذ: أي يوم القيامة، وجوه بعض الناس. و"يومئذ" تعود على يوم القيامة المذكور في أول السورة.
· ناضرة: أي حسنة جميلة مشرقة مشرقة، ذات نضارة وبهاء وحسن. والنضارة في الوجه تدل على السرور والفرح والبهجة.

وهذه الوجوه هي وجوه المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله وقدموا الآخرة على الدنيا.

{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}:

· إلى ربها ناظرة: أي تنظر إلى الله سبحانه وتعالى في الجنة. وهي أعظم نعيم أهل الجنة، وأجل ما يُعطونه. والنظر إلى الله هو غاية المطالب وأعلى الأماني. والنظر هنا ليس كرؤية البشر لبعضهم، بل رؤية تليق بجلال الله وعظمة وجهه.

وهذه الآية من أعظم آيات الرؤية، وتدل على أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في الجنة.

{وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ}:

· باسرة: أي كالحة عابسة مكفهرة شديدة العبوس، من شدة الحزن والكآبة والخوف والندم. والوجه الباسر هو الوجه الذي تغيرت ملامحه من شدة الشر. ضد الناضرة.

وهذه الوجوه هي وجوه الكافرين والفجار الذين قدموا الدنيا على الآخرة.

{تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}:

· تظن: هنا بمعنى "تتيقن" أو "تعلم". وقيل هي على بابها من الظن الذي معناه التوقع المؤلم.
· فاقرة: هي الداهية العظيمة، والشر الأكبر، والمصيبة التي تفقر الظهر وتكسره، أي تكسر فقار الظهر. وقيل: الفاقرة: شدة العذاب التي تدخل في المسام وتصل إلى الفقار.

والمعنى: أن هذه الوجوه الباسرة تتيقن وتعلم أن الله سيفعل بها عذاباً عظيماً شديداً يكسر فقار الظهر. فهي في حالة من اليأس والفزع.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآيات

.1كشف السبب الحقيقي لإعراض الناس عن الآخرة: وهو حب الدنيا العاجلة وإيثارها.
.2الرد على منكري البعث بأن شبهاتهم مجرد غطاء لحبهم للدنيا.
.3بيان حقيقة الهدى والضلال: من قدم الآخرة اهتدى، ومن قدم الدنيا ضل.
.4وصف وجوه أهل الجنة: ناضرة إلى ربها ناظرة، تعبر عن أقصى درجات السعادة والبهجة.
.5وصف وجوه أهل النار: باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة، تعبر عن أقصى درجات الشقاء والحزن.
.6إثبات رؤية المؤمنين لله في الآخرة، وهي أعظم نعيم الجنة.
.7بيان أن الأعمال تنعكس على الوجوه يوم القيامة، فالوجوه مرآة لما في القلوب.
.8تحذير شديد من إيثار الدنيا على الآخرة، وبيان عاقبة ذلك الوخيمة.

الأمر الرابع: مغزى الآية وأسباب النزول

أسباب النزول:
نزلت هذه الآيات في المشركين الذين كانوا يفضلون الدنيا على الآخرة، وكانوا يقولون: "نحن نعيش مرة واحدة، فلا نبالغ في عبادة الله ولا نصدق بالبعث". وقيل نزلت في قوم من بني آدم في الجاهلية، أو في كفار قريش. وفي رواية: أن رجلا ً من المشركين قال للنبي: "والله لا تعمل للآخرة، ولا تترك الدنيا، فأنزل الله {كلا بل تحبون العاجلة}".

والسبب العام هو أن المشركين كانوا متعلقين بالدنيا، منكبين على شهواتها، معرضين عن الآخرة، يضحكون من الذين يصدقون بالبعث. فنزلت هذه الآيات توبيخاً لهم وبياناً لحقيقة حالهم.

المغزى العام للآيات:
المغزى الأول: أن مشكلة الإنسان مع الإيمان ليست مشكلة عقل أبداً، بل مشكلة قلب وإرادة. الإنسان يحب الدنيا، فيتبع هواه، فيضل عن الحق.

المغزى الثاني: أن مفاهيم النجاح عند البشر تختلف عن مفهوم النجاح الحقيقي. البشر يرون النجاح في جمع الدنيا، والله يرى النجاح في تقديم الآخرة.

المغزى الثالث: أن يوم القيامة هو يوم التجلي الأعلى: تتجلى فيه الحقائق، وتنكشف فيه الأعمال، وتظهر على الوجوه آثارها. الوجه مرآة القلب، فالقلب السعيد يظهر على وجهه نضارة وبشرى، والقلب الشقي يظهر على وجهه عبوس وكآبة.

المغزى الرابع: أن أعظم نعيم لأهل الجنة هو النظر إلى وجه الله الكريم. وهذا أبلغ دافع للمؤمنين

على العمل الصالح.

الأمر الخامس: أهداف وغايات ومقاصد الآيات

.1هدف فضح تلبيس النفس البشرية : التي تخفي حبها للدنيا وراء شبهات عقلية واهية) مثل إنكار البعث .(فالآية تكشف أن العائق هو "الحب" وليس "العقل".
.2هدف تحويل أولويات الإنسان من الدنيا إلى الآخرة : بإعلان أن الدنيا "عاجلة" فانية، والآخرة باقية .فمن العقل أن يقدم الباقي على الفاني.
.3هدف تحديد مفهوم النجاح الحقيقي : النجاح ليس جمع المال والجاه والشهوات، بل هو الفوز برضا الله والنظر إلى وجهه الكريم في الجنة.
.4هدف الترهيب من عاقبة تقديم الدنيا : من خلال وصف الوجوه الباسرة والفقار المكسور .هذا يخلق دافعاً للابتعاد عن المعاصي.
.5هدف الترجيب بثواب الآخرة : من خلال وصف الوجوه الناضرة والناظرة إلى ربها .هذا يخلق دافعاً للإقبال على الطاعات.
.6هدف إقامة الحجة على المشركين والغافلين : بأن يقال لهم يوم القيامة: قد كانت الدنيا أمامكم، وقدمتموها على الآخرة، فها أنتم ترون جزاءكم.
.7هدف تصحيح مفهوم "حب الدنيا" : ليس كل حب للدنيا مذموماً، بل الحب المذموم هو الذي يجعلك تقدمها على الآخرة .أما أن تحب الدنيا كوسيلة للآخرة فهذا مطلوب.

ثانياً: تحليل الآية

المحور الأول: {كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ العَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ}

الأمر الأول: تحليل "كلا" و"بل" ودلالتهما في كشف العذر الوهمي

كلا: حرف ردع وزجر. إنه يصكّ أذن السامع كالصاعقة: توقف! ليس الأمر كما تظن! لا تخدع نفسك! "كلا" هنا تقطع الطريق على كل من يقول: "أنا لا أؤمن بالبعث لأن الأدلة غير كافية"، أو "لأن العقل لا يستسيغه"، أو "لأن العلم لم يثبته". تقول: لا، ليس هذا السبب. كفى تبريراً.

بل: حرف إضراب وانتقال. بعد أن قطعت "كلا" العذر، تأتي "بل" لتقدم السبب الحقيقي: ليس ما تقوله ، بل هذا هو الدافع الخفي. "بل" هنا تفضح ما تخفيه النفس، وتزيح الستار عن القلب، وتعلن: "هذه هي حقيقتك يا إنسان".

الدلالة النفسية: هذا الأسلوب يكسر آليات الدفاع النفسي. الإنسان عادةً يبرر سلوكه بأعذار مقبولة اجتماعياً. يقول: "لست متديناً لأن الدين لا يلبي عقلي"، "لا أصلي لأني مشغول". هنا الله يكشف أن العذر الحقيقي هو "حب الدنيا". هذا المواجهة القاسية ولكنها الرحيمة في آن، تضع الإنسان أمام حقيقته، فلا يستطيع الهروب.

الأمر الثاني: لماذا وُصفت الدنيا بـ "العاجلة" والآخرة بـ "الآخرة" دون وصف؟

تسمية الدنيا بـ "العاجلة" تحمل عدة دلالات:

الدلالة الأولى: سرعة زوالها : الدنيا ليست دائمة، بل سريعة العبور كالبرق. وما أسرع ما تمضي الأيام والسنون. فالمغتر بالدنيا كمن يبني على الماء.

الدلالة الثانية: أنها معجلة بنعيمها وعذابها : في الدنيا، المؤمن قد يعجل له الخير، والكافر قد يعجل له الشر. لكن هذا ليس هو الجزاء الكامل، بل هو عاجل غير آجل.

الدلالة الثالثة: أنها تؤخذ بالعجلة : الدنيا حلوة خضرة، ومن يريدها يسعى إليها بسرعة. والإنسان عجولي بطبيعته، يحب أن يأخذ الشيء حالا ً دون انتظار.

أما تسمية الآخرة بـ "الآخرة" :
فهي التي تأتي بعد الدنيا، وهي الباقية الدائمة. لم توصف بصفة أخرى مثل "الباقية" أو "الدائمة" لأن اسمها يدل على تأخرها، وفيه تذكير بأنها ستأتي لا محالة. وترك وصفها يدع الإنسان يتأمل فيها

بنفسه، فهي دار الجزاء والخلود.

المقارنة بينهما:

· العاجلة: سريعة الزوال، فانية، فيها نعيم مشوب بشقاء، لذة يعقبها ألم.
· الآخرة: باقية، دائمة، فيها نعيم محض لا يشوبه شقاء، ولذة لا تفنى.

الأمر الثالث: دلالة "الحب" و"الترك" على تعلق القلب بالدنيا

"تحبون" وليس "تفعلون" أو "تشتهون". الحب أعمق من الفعل، فهو متعلق بالقلب. الإنسان قد يفعل الشيء دون أن يحبه، وقد يحبه دون أن يفعله. لكن هنا الحب هو الأصل، والأفعال تابعة له.

"تذرون" أي تتركون وتغفلون وتؤخرون. ليسوا فقط لا يعملون للآخرة، بل يتركونها خلف ظهورهم، كأنها شيء لا يستحق الالتفات.

العلاقة بين الحب والترك: حب الدنيا يستلزم ترك الآخرة. القلب وعاء لا يحتمل حبين متضادين: إن ملئ بحب الدنيا، لم يبق مكان لطلب الآخرة. وإن ملئ بحب الآخرة، هانت عليه الدنيا.

التطبيق النفسي: تأمل حبك الحقيقي. ما الذي تشتاق إليه؟ ما الذي تفكر فيه عندما تكون وحدك؟ ما الذي يؤلمك فقدانه؟ هذا هو ما تحب. إن كان الدنيا، فأنت من أصحاب هذه الآية. فغير قلبك، يتبعه عملك.

الأمر الرابع: لماذا قدّم حب العاجلة على ذر الآخرة؟

السبب الأول: الحب هو الأصل، والترك هو النتيجة:
لأنك أحببت الدنيا، تركت الآخرة. فالأمر يبدأ بالقلب، ثم يظهر على الجوارح. ولهذا قدم الله الحب، لأ نه المسبب، والترك هو المسبب.

السبب الثاني: أن الحب أعمق من الفعل:
قد يترك الإنسان الآخرة لسبب آخر غير الحب (مثل الكسل، المرض، الظروف). لكن الآية تريد أن تقول: الجذر العميق هو الحب. فإذا عالجت الحب، علاج ما بعده أسهل.

السبب الثالث: التوكيد على خطورة حب الدنيا:
حبه هو الباب إلى كل خطيئة. فالإنسان إذا أحب الدنيا، تبع ذلك: ترك الآخرة، الكفر بها، التكذيب بـ البعث، المعاصي. فالآية تبدأ من الجذر.

الأمر الخامس: كيف يعكس حب الدنيا على السلوك والتوجهات

حب الدنيا ليس مجرد شعور، بل له مظاهر عملية:

المظهر الأول: الشغف بجمع المال والحرص عليه:
من يحب الدنيا، ينشغل بجمع المال، ويكون شحيحاً به، ويبخل عن الإنفاق في الخير.

المظهر الثاني: الانشغال بالزينة والمظاهر:
من يحب الدنيا، ينفق وقته وماله في تحسين مظهره، وإظهار فخامته، والتفاخر بما عنده.

المظهر الثالث: الانهماك في الشهوات:
حب الدنيا يؤدي إلى الإسراف في الأكل والشرب والنكاح واللباس، والانغماس في الملذات دون نظر إلى حلال أو حرام.

المظهر الرابع: نسيان الآخرة وعدم العمل لها:
من علامات حب الدنيا: لا يصلي إلا نادراً، لا يقرأ القرآن، لا يتصدق، لا يذكر الموت، يظن أن العمر طويل.

المظهر الخامس: الكفر بالبعث والاستهزاء به:
قد يصل به حب الدنيا إلى أن يكذب بالبعث كلياً، لأنه يريد أن ينطلق في شهواته بلا رادع، ولا يريد

أن يحاسب.

هذه المظاهر كلها تنطبق على المشركين الذين نزلت فيهم الآية، وتنطبق على كل من يفضل الدنيا على الآخرة.

الأمر السادس: الفرق بين حب الدنيا المذموم وحبها المباح

ليس كل حب للدنيا مذموماً. فقد أحبها الأنبياء والصالحون من وجه، وكرهوها من وجه آخر.

حب الدنيا المذموم:

· أن تجعل الدنيا هي غايتك الكبرى.
· أن تشغلك عن طاعة الله وذكره.
· أن تنسيك الآخرة.
· أن تبخل بما عندك وتأكل حراماً وتشرب حراماً.
· أن تغتر بها وتظنها دار بقاء.

حب الدنيا المباح:

· أن تحبها كوسيلة للآخرة، فتطلب الرزق الحلال لتعينك على الطاعة.
· أن تأخذ منها ما يصلح بدنك ويقويك على عبادة الله.
· أن تشكر الله على نعمها.
· أن تتعلم منها وتستدل بها على قدرة الله.

الضابط: الدنيا مزرعة الآخرة. فأحب فيها ما يعينك على الآخرة، واترك منها ما يشغلك عنها. وانظر إلى ما بعد الموت، فالحب الحقيقي هو حب الباقي.

المحور الثاني: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}

الأمر الأول: دلالات "النضارة" و"النظر" وما تعكسه عن حالة القلب

النضارة في الوجه: هي البهجة والجمال والإشراق، وهو ما يحدث عندما يسعد القلب ويقر. الوجه مرآة القلب، فالقلب السعيد تظهر سعادته على وجهه. وصف الله وجوه المؤمنين بـ "ناضرة" أي أنها تشرق بنور الإيمان والرضا، كالقمر ليلة البدر.

النظر إلى الله: هو أعلى ما يطمح إليه المؤمنون. والنظر هنا رؤية حقيقية تليق بجلال الله، لا تشبه رؤية البشر لبعضهم. وهي نعمة لا توصف، وقرة عين لا تُقدّر.

ما تعكسه عن حالة القلب:

· القلب المؤمن: عامره بحب الله، راضٍ بقضائه، منتظر لقاء ربه. هذا القلب يعطي الوجه نضارةً وإشراقاً.
· القلب الذي يتطلع إلى ربه، لا يخشى شيئاً سواه، فهو مطمئن، وهذه الطمأنينة تظهر على الوجه.
· القلب الذي يعمل للآخرة، ويستعد للقاء الله، يكون قلبه معلقاً بربه، فيجازى بأعظم جزاء: النظر إلى وجهه الكريم.

الأمر الثاني: لماذا كانت رؤية الله أعظم نعيم الجنة؟

السبب الأول: أنها غاية المطالب:
كل نعيم الجنة من طعام وشراب وحور وقصور، شيء يمكن تخيله. أما رؤية الله فهي فوق التخيل، وهي أقصى ما يتمناه المؤمن.

السبب الثاني: أنها جزاء الإيمان الصادق:
المؤمن في الدنيا آمن بالله دون أن يراه، فجازاه الله أن يراه في الآخرة. هذا جزاء من جنس

العمل: آمن بالغيب، فرأى الشهادة.

السبب الثالث: أنها تليق بمقام العبودية:
العبد أحب شيء هو لقاء سيده ورضوانه. والنظر إلى وجه السيد الكريم هو أقصى درجات القرب و الحب.

السبب الرابع: أنها تنسي كل نعيم آخر:
إذا تجلى الله لأهل الجنة، ونظروا إليه، نسوا كل نعيم سواه. لأن رؤيته هي النعيم المطلق.

الدليل من القرآن: قال تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}، والزيادة هي النظر إلى وجه الله كما ق ال النبي صلى الله عليه وسلم.

الأمر الثالث: الوجه كمرآة للقلب والعمل

: "انعكاس الأعمال على ملامح وجه الإنسان".

الحقيقة التي تقررها الآية: أن الوجه ليس مجرد تركيبة جسدية، بل هو مرآة تعكس ما في القلب وما قدمته من عمل. يوم القيامة، تتجسد الأعمال على الوجوه:

· الوجوه الناضرة: لمن أسلموا وجههم لله، وعملوا الصالحات، وأحبوا الآخرة. نضارة الوجه هنا تعكس نقاء القلب وطمأنينته وسعادته.
· الوجوه الباسرة: لمن أعرضوا عن الله، وقدموا الدنيا، وارتكبوا المعاصي. العبوس والكلوحة تعكس ظلمة القلب وحسرته وندمه.

كيف يعكس العمل الوجه في الدنيا والآخرة:

في الدنيا (كإشارات مبكرة) :

· المؤمن الذي يكثر من الصلاة والذكر والصدقة، قد يرى أثر ذلك على وجهه: نوراً وسماحة وطمأنينة.
· الفاجر الذي يكثر من المعاصي، قد يرى أثر ذلك على وجهه: ظلمة وغبرة وكآبة، حتى لو ابتسم.
· هذا ليس قاعدة مطردة في الدنيا، لكنها علامة للبصيرين.

في الآخرة (بصورة مطلقة) :

· الوجوه الناضرة: بيضاء، مشرقة، ضاحكة، مستبشرة، كالقمر ليلة البدر.
· الوجوه الباسرة: سوداء، مظلمة، عابسة، كالحة، ذليلة، شاحبة.

العلاقة بين العمل والوجه:
العمل الصالح يورث النور في القلب، والنور في القلب يظهر على الوجه نضارةً وبهجةً يوم القيامة. و العمل السيئ يورث الظلمة في القلب، والظلمة تظهر على الوجه سواداً وعبوساً.

العبرة: لا تخدع نفسك. قد تظهر اليوم بوجه جميل، لكن الله ينظر إلى قلبك. فطهّر قلبك، يشرق وجهك يوم القيامة.

الأمر الرابع: أثر اليقين بالله على الوجوه في الدنيا والآخرة

في الدنيا:
من أيقن بالله، واطمأن إليه، وأحب لقاءه، نرى على وجهه:

· سماحة وابتسامة دائمة، لا تكدرها تقلبات الدنيا.
· طمأنينة لا تهزها المصائب.
· نوراً يراه من حوله، وإن لم يصفوه.

في الآخرة:
من كان يقينه بالله صادقاً، ويعمل له، ويحب لقاءه، ويرجو رؤيته، فإن الله يكرمه بالنظر إليه، وتكون وجوههم ناضرة إلى ربها ناظرة. هذا جزاء اليقين.

تأمل: "إلى ربها ناظرة" أي متطلعات إلى الله، منتظرات لرؤيته، مشتاقة إليه. هذه الحالة ليست حالة خوف، بل حالة عشق وشوق. الوجوه التي كانت في الدنيا تتطلع إلى الله بالدعاء والعبادة، ها هي تنظر إليه بالرؤية.

المحور الثالث: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}

الأمر الأول: دلالات "البسور" و"الفقار" وانعكاس سوء العمل على الوجه

البسور: هو عبوس الوجه وكلوحته وتقطيبه من شدة الكآبة والحزن والخوف. الوجه الباسر هو الوجه الذي فقد كل أمل وكل فرح، وأصبح معبراً عن ألم داخلي لا يوصف. البسور ضد النضارة، وهو علامة على الشقاء.

الفقار: هي فقرات الظهر. والفاقرة هي الداهية التي تكسر فقار الظهر. وهي كناية عن العذاب الشديد الذي يصل إلى العظم والنخاع، والذي لا يطاق.

انعكاس سوء العمل على الوجه:

· من كان في الدنيا يقدم الدنيا على الآخرة، ويعرض عن الله، ويعمل السيئات، ينعكس ذلك على وجهه يوم القيامة بعبوس وظلمة.
· من كان في الدنيا لا يبالي بالحرام والحلال، ويستهتر بالدين، ويضحك من المتدينين، يوم القيامة يبكي ويبسر وجهه.
· الوجه مرآة العمل، فكما كان القلب قاسياً في الدنيا، يصبح الوجه باسراً في الآخرة.

الأمر الثاني: لماذا جاء الفعل "تظن" ولم يقل "تعلم"؟

"تظن" تأتي هنا بمعنى "تتيقن" كما في قوله تعالى: {إنا ظننا أن لن يقدر علينا الله}. وقيل هي على بابها، أي تظن ظناً مؤلماً موجعاً، وليس يقيناً مطمئناً.

السر في اختيار "تظن":

السر الأول: أن العذاب أكبر مما تظن:
لو قيل "تعلم" لكان علماً محدداً محدوداً. أما "تظن" فتدل على أن الأمر أكبر من أن تحيط به معرفتهم، وأن ما يعتقدونه من عذاب هو أقل من الحقيقة.

السر الثاني: حالة اللايقين المقلق:
العلم قد يكون مطمئناً. أما الظن المؤلم فهو من أشد أنواع القلق. إنهم لا يعلمون بالضبط ماذا سيفعل بهم، لكنهم يتوقعون أسوأ عذاب، وهذا التوقع يصيبهم بالفزع قبل العذاب نفسه.

السر الثالث: أن العذاب لم يقع بعد:
لأن العذاب سيقع بعد الحساب، وهم في حالة انتظار، فوصف الظن يناسب مرحلة ما قبل وقوع العذاب.

السر الرابع: الإشارة إلى أنهم في الدنيا كانوا يظنون ظنوناً خاطئة:
فجاء الجزاء من جنس العمل: في الدنيا ظنوا ظن السوء بالله وبالرسول، وفي الآخرة يظنون أن يفعل بهم فاقرة.

الأمر الثالث: العلاقة بين الآيتين (ناضرة/باسرة) في بناء الدافع

هذا التقابل القرآني بين الوجوه الناضرة والوجوه الباسرة يخلق دافعاً نفسياً قوياً:

الدافع للخير:
عندما يرى المؤمن وصف الوجوه الناضرة الناظرة إلى ربها، يشتاق إلى هذه الحال، ويعمل للوصول إليها. هذا دافع للرجاء.

الدافع لترك الشر:
عندما يرى وصف الوجوه الباسرة التي تظن أن يفعل بها فاقرة، يخاف أن يكون منها، فيجتنب المعاصي. هذا دافع للخوف.

التوازن بين الرجاء والخوف:
السياق القرآني يجمع بين الوصفين في آيات متتالية، ليبقى المؤمن بين الخوف والرجاء، لا يغتر فيقع ، ولا ييأس فيقنط.

الأمر الرابع: كيف يبني القرآن مفهوم الخوف والرجاء من خلال وصف الوجوه

مفهوم الخوف:
ليس خوفاً يأساً، بل خوف يدفع إلى العمل. الوجوه الباسرة تذكر أن هناك عقاباً شديداً. هذا يخلق حاجزاً نفسياً يمنع من المعصية.

مفهوم الرجاء:
ليس رجاءً تمادياً، بل رجاء يدفع إلى الاجتهاد. الوجوه الناضرة الناظرة إلى ربها تذكر أن هناك نعيماً عظيماً. هذا يخلق دافعاً للطاعة.

التوازن بينهما:
المؤمن الحق هو من يخاف الله ولا يأمن مكره، ويرجو رحمته ولا يقنط منها. هذا التوازن هو الذي يبني شخصية إيمانية سوية.

الآية كنموذج تربوي:
في تربية النفس وتربية الأبناء، ينبغي الجمع بين الترغيب والترهيب، بين وصف الجنة والنار، بين وصف الوجوه الناضرة والباسرة. هذا أجدى من الاقتصار على أحدهما.

ثالثاً: دلالات الآية والجوانب البلاغية والخواطر والتأملات

الأمر الأول: دلالات الآية كمحفز لتحويل النص إلى سلوك

هذه الآيات تحفز المؤمن على:

.1مراجعة أولوياته : ما الذي يحبه أكثر؟ الدنيا أم الآخرة؟ هذا السؤال يغير الحياة.
.2كشف تلبيس النفس : توقف عن تبرير ضعفك بحب الدنيا، واعترف به، ثم عالجه.
.3الاستعداد ليوم الوجوه : يوم القيامة، لا ينفع المال ولا الجاه، بل ينفع الوجه وما يحمله من أثر العمل.
.4العمل للرؤية : أن تعمل لتنظر إلى ربك، هذا أسمى دافع .اجعل نصب عينيك قوله:} إلى ربها ناظرة.{
.5تطهير الوجه في الدنيا : أصلح قلبك، يصلح وجهك يوم القيامة .الوجه اليوم قد يكون جميلا ً لكن القلب خرب، والقلب يومئذ هو الذي يحدد ملامح الوجه.

الأمر الثاني: خواطر الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: مع "كلا بل تحبون العاجلة":
أنا أيضاً أحب العاجلة. أعترف. لكن هذا الحب أعمى قلبي؟ ألهاني عن الآخرة؟ اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همي.

الخاطرة الثانية: مع "وتذرون الآخرة":
أتأمل أعمالي اليوم. كم عملا ً عملته للآخرة؟ وكم عملا ً عملته للدنيا؟ لو وضعتهما في ميزان، أيهما يرجح؟ هذا الحساب المخيف يغير نومي.

الخاطرة الثالثة: مع "وجوه يومئذ ناضرة":
يا ليتني كنت منهم! أتمنى أن يشرق وجهي يوم القيامة كالقمر. وماذا أفعل لأكون كذلك؟ أصلح قلبي،

وأحب الله، وأعمل لوجهه. هذا الأمل يدفعني للاجتهاد.

الخاطرة الرابعة: مع "إلى ربها ناظرة":
يا الله، أعظم نعيم! أن أراك! أنظر إلى وجهك الكريم! هذه الرؤية تساوي كل أعمال الدنيا. اللهم ارزقني النظر إلى وجهك.

الخاطرة الخامسة: مع "ووجوه يومئذ باسرة":
أخاف أن أكون منهم. أخاف أن يكون وجهي باسراً عابساً يوم القيامة. نعوذ بالله. هذا الخوف يردعني عن المعاصي.

الخاطرة السادسة: مع "تظن أن يفعل بها فاقرة":
أتخيل: ربي سيفعل بي فاقرة؟ داهية تكسر ظهري؟ نعوذ بالله من ذلك. اللهم أجرنا من عذابك.

الخاطرة السابعة: انعكاس العمل على الوجه:
أتأمل وجهي اليوم في المرآة. هذا الوجه الذي أراه اليوم، سيوم القيامة يكون إما ناضراً أو باسراً. أنا من يختار. قراري اليوم يرسم ملامح وجهي غداً.

الأمر الثالث: التصوير البياني في الآيات

أولا ً: تصوير حب الدنيا:
"تحبون العاجلة" صورة شخص معشوق، يطوف في خيال العاشق، يملأ قلبه، يشغله عن كل شيء. الدنيا تصبح معشوقة، تلهي عن ذكر الله.

ثانياً: تصوير ترك الآخرة:
"تذرون الآخرة" صورة الإنسان يترك شيئاً وراء ظهره، كأنه لا يستحق النظر، يقذفه خلفه ولا يلتفت إليه. هذه صورة إهانة للآخرة.

ثالثاً: تصوير الوجوه الناضرة:
كوجوه مشرقة، كالقمر، تلمع نوراً وبهجة، تتبسم، تشرق بالحب والرضا. صورة تجمع الجمال الجسدي و الروحي معاً.

رابعاً: تصوير النظر إلى الله:
"إلى ربها ناظرة" صورة عيون تشخص إلى الأعلى، منتظرة، متشوقة، فإذا تجلى الرب، رأته، فذابت فرحاً. هذه صورة لا توصف.

خامساً: تصوير الوجوه الباسرة:
باسرة: كالحة، عابسة، متجهمة، كأنها لبست قناعاً من الألم. صورة شاحبة مظلمة تعكس اليأس و الحسرة.

سادساً: تصوير الفاقرة:
صورة الظهر ينكسر فقار فقار، وعمود فقري ينهار. والألم يصل إلى النخاع. هذه صورة للعذاب الباطني كما أنه ظاهري.

الأمر الرابع: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغير نظرتنا إلى النجاح : النجاح ليس جمع الدنيا، بل الفوز بالجنة والنظر إلى الله .كثير من الناس يظنون أن الغني هو الناجح، والآية تقول: الناجح من كانت وجهه ناضرة إلى ربها ناظرة.
.2تغير نظرتنا إلى الدنيا : لم تعد الدنيا غاية، بل وسيلة .نحن نعبر إلى الآخرة، ونأخذ من الدنيا زاداً .فلا نغتر بها، ولا نطمئن إليها.
.3تغير نظرتنا إلى الوجوه : الوجه الجميل في الدنيا قد يكون خادعاً .الوجه الحقيقي سينكشف يوم القيامة .فلا تنجرف خلف المظاهر.
.4تغير نظرتنا إلى الحب : العاقل لا يحب ما يفنى، بل يحب ما يبقى .حول حبك من الدنيا إلى الله وإلى الآخرة.
.5تغير نظرتنا إلى العمل : كل عمل له أثر، وسيظهر على الوجه يوم القيامة .فلا تحتقر عملا ً ص الحاً، ولا تأمن من عمل سيئ.

الأمر الخامس: تأملات ووقفات تدبرية

الوقفة الأولى: مع "تحبون العاجلة":
قف مع قلبك: من تحب؟ ما الذي تفكر فيه عندما تخلو بنفسك؟ ما الذي تشتاق إليه؟ إذا كان الجواب: المال، المنصب، المتعة، فأنت في خطر. غيّر محبوبك.

الوقفة الثانية: مع "تذرون الآخرة":
قف مع تقويمك اليومي: كم ركعة صليتها؟ كم آية قرأتها؟ كم صدقة تصدقت بها؟ كم ذكراً ذكرت الله به؟ هذا هو زاد الآخرة. ما أقل زادي!

الوقفة الثالثة: مع "وجوه ناضرة":
تخيل وجهك يوم القيامة. هل سيكون مشرقاً؟ ماذا تريد أن يكون عليه؟ ارسم في خيالك: وجه ضاحك، مشرق، يلمع بالنور، عيناه تتطلعان إلى الله. هذا هو الأمل. اعمل له.

الوقفة الرابعة: مع "إلى ربها ناظرة":
تأمل هذه النعمة: ترى ربك. بعينيك. هذا هو أعظم ما يتمناه المؤمن. اجعل هذه الرؤية هدفك الأ سمى. كل عمل صغير تفعله، اجعله يوصلك إلى هذه الرؤية.

الوقفة الخامسة: مع "وجوه باسرة":
تخيل وجهك عابساً كالحاً، مظلماً، شاحباً. تخيل نفسك تتمنى لو أنك لم تولد، أو لم تقدم على ما قدمت. هذه صورة مرعبة. استعذ بالله منها. فلتكن هذه الصورة رادعاً لك عن المعصية.

الوقفة السادسة: مع "تظن أن يفعل بها فاقرة":
تخيل ألماً لا يطاق، يكسر فقار ظهرك. ليس ألماً جسدياً فقط، بل ألم نفسي لا يوصف. هذا هو عذاب الله. فَهَبْ أَمْرَكَ لله وتب إليه.

الوقفة السابعة: تأمل الوجه بين الدنيا والآخرة:
انظر إلى وجهك في المرآة الآن. هذا الوجه سيتغير. إما إلى نضارة وإشراق، وإما إلى عبوس وكآبة. ا لاختيار لك. ماذا ستختار؟

رابعاً: أهم الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

مفهوم النجاح الحقيقي كما تصوره الآيات، وكيفية الموازنة بين متطلبات الدنيا والآخرة

هذا ما طلبت استبداله بفقرتي "ترويض النفس" و"النقد الذاتي البناء".

أولا ً: مفهوم النجاح الحقيقي في القرآن من خلال هذه الآيات:

النجاح في نظر الله ليس هو ما يظنه الناس. الناس يظنون أن الناجح هو من جمع مالا ً كثيراً، أو بنى قصوراً شامخة، أو بلغ منصباً عالياً، أو نال شهواته كلها. هذه الآيات تقدم مفهوماً مغايراً تماماً:

النجاح الحقيقي هو: أن لا يحب الإنسان العاجلة على حساب الآخرة.
من نجح في أن يجعل الآخرة هي هدفه، والدنيا وسيلة له، فقد فاز بالنجاح الحقيقي. ومن أخفق في ذلك، وخسر الآخرة، فهو الخاسر الحقيقي، حتى لو ملك الدنيا بأسرها.

علامات الناجح الحقيقي من الآية:

.1قلبه معلق بالآخرة، لا بالدنيا.
.2يعمل للدار الآخرة كما لو كان يموت غداً.
.3يقدم رضا الله على رضا نفسه والناس.
.4يزهد في الدنيا زهداً لا يمنعه من أداء واجباته فيها.
.5ينتظر النظر إلى وجه الله في الجنة، ويشوقه ذلك.

علامات الخاسر الحقيقي من الآية:

.1يحب الدنيا حباً يلهيه عن الآخرة.
.2يترك العمل للآخرة ويؤجله.
.3يكون وجهه يوم القيامة باسراً عابساً.
.4يعذبه الله عذاباً شديداً.

إذاً، النجاح هو الفوز بالجنة والنجاة من النار. وهذا لا يتحقق إلا بإيثار الآخرة على الدنيا، وجعل الدنيا مزرعة لها.

ثانياً: كيفية الموازنة بين متطلبات الدنيا والآخرة:

كثير من الناس يظنون أن طلب الآخرة يتطلب ترك الدنيا كلية. وهذا خطأ. والآخرون يظنون أن طلب الدنيا يتطلب ترك الآخرة. وهذا أيضاً خطأ. الآية تذم الذين "يحبون العاجلة" و"يذرون الآخرة"، أي الذين يقدمون الدنيا على الآخرة، وليس الذين يأخذون من الدنيا بقدر حاجتهم مع إقامة الدين.

الموازنة الصحيحة قائمة على مبادئ:

المبدأ الأول: الآخرة غاية، والدنيا وسيلة:
الموازنة الصحيحة هي أن تجعل الآخرة هدفك الأسمى، والدنيا وسيلة تصل بها إلى هذا الهدف. لا تجعل الدنيا غاية، فإذا صارت غاية أفسدتك. وإذا صارت وسيلة أصلحتك.

المبدأ الثاني: خذ من الدنيا قدر الحاجة، وازدد من الآخرة قدر الاستطاعة:
لا تترك واجباتك الدنيوية: العمل، الأسرة، الصحة، الراحة المباحة. لكن لا تتوسع فيها توسعاً يشغلك عن الآخرة. واجعل للآخرة نصيباً وافراً من وقتك وجهدك.

المبدأ الثالث: أحب الدنيا بقدر ما تعينك على الآخرة:
حب المال جائز إذا كان لتأدية الزكاة والصدقة وإعانة الأهل. حب المنصب جائز إذا كان لنشر الخير وإقامة العدل. حب الراحة جائز إذا كانت لتقوى على الطاعة. أما الحب الذي يشغلك عن الله ويجعلك تترك الآخرة، فذلك هو المذموم.

المبدأ الرابع: لا تؤخر توبة ولا عملا ً صالحاً:
الموازنة لا تعني تأجيل العمل للآخرة. بل اعمل لآخرتك في كل يوم، واجعل لدنياك نصيباً من العمل دون أن يطغى على عملك للآخرة.

المبدأ الخامس: تذكر الموت كثيراً:
من يذكر الموت لا يغفل عن الآخرة. ومن يغفل عن الآخرة يطغى عليه حب الدنيا. فكثرة ذكر الموت هي الميزان الذي يوازن بين الدنيا والآخرة.

تطبيقات عملية للموازنة:

· في العمل : اعمل بإتقان، لكن لا تشغلك ترقية عن صلاتك، ولا يغرنك نجاح فتنسى الله.
· في المال : اكسب حلالا ً، وأنفق في الخير، واجعل لله نصيباً منه في الزكاة والصدقة.
· في الوقت : وازن بين وقت عملك، ووقت أهلك، ووقت عبادتك. لا تطغ واحداً على الآخر.
· في العلاقات : أحب الناس، لكن لا تعلق قلبك بهم حباً يلهيك عن حب الله.
· في المتع : استمتع بالحلال، لكن لا تجعل لذتك هدفك الأوحد.

خلاصة الموازنة:
عش في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وخذ منها ما يعينك على الطريق، واجعل قلبك معلقاً بالآ خرة. قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل". هذه هي الموازنة: أن تكون في الدنيا، ولا تكون من الدنيا.

المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات الحياتية:

.1مهارة تحديد الأولويات : تعلم أن تضع الآخرة أولا ً، والدنيا ثانياً .هذه المهارة تنظم حياتك كلها.

.2مهارة ضبط الرغبات : تعلم أن تتحكم في حبك للدنيا، وألا يتحكم هو فيك .هذه مهارة قوة الإ رادة.
.3مهارة قراءة الوجوه : تعلم أن الوجه مرآة القلب، في الدنيا والآخرة .فلا تغتر بالوجوه الجميلة الخادعة.
.4مهارة الموازنة : تعلم كيف توازن بين متطلبات الدنيا والآخرة دون إفراط أو تفريط.

المهارات المعرفية:

.1مهارة التفريق بين الحب المباح والحب المذموم : تعرف أي حب يقربك إلى الله وأي حب يبعدك.
.2مهارة ربط الأعمال بالعواقب : كل عمل له أثر على وجهك يوم القيامة .هذا الربط يغير سلوكك.
.3مهارة استحضار الآخرة : أن تستحضر يوم القيامة في كل لحظة، وكأنك تراه أمامك.

المهارات العملية:

.1تدريب يومي على المحاسبة : في نهاية كل يوم، اسأل: كم عملت للدنيا؟ كم عملت للآخرة؟ وازن بينهما.
.2وضع أهداف أخروية : اجعل لنفسك أهدافاً للآخرة: حفظ جزء من القرآن، صيام أيام، صدقة شهرية .لا تجعل أهدافك دنيوية فقط.
.3تذكير النفس بوصف الوجوه : اقرأ وصف الوجوه الناضرة والباسرة كل يوم، لتظل الآخرة حاضرة في قلبك.
.4تطوير الوجه الباطن : اعتن بقلبك كما تعتني بوجهك، بل أكثر .فالقلب هو ما سيشرق أو يعبس يوم القيامة.

خامساً: مفاهيم وأبعاد وآفاق وقيم الآية

الأمر الأول: آفاق وأبعاد الآية

البعد الأول: البعد النفسي التحليلي:
الآية تحلل النفس البشرية تحليلاً ً عميقاً، وتكشف أن جذر الشر هو حب الدنيا. هذا البعد يقدم نظرية نفسية إسلامية في الدوافع: أن الإنسان يفعل ما يحب. فغير حبك، يتغير سلوكك.

البعد الثاني: البعد الأخلاقي:
تؤسس الآية لأخلاق قائمة على "تقديم الآخر". ليس الأخلاق أن تتصرف بحسب ما تريد، بل أن تقدم ما يحبه الله على ما تحبه أنت. وهذه هي الأخلاق العليا.

البعد الثالث: البعد الجمالي:
الآية تربط بين الجمال الداخلي (القلب والعمل) والجمال الخارجي (الوجه). الجمال الحقيقي هو جمال الوجه يوم القيامة، وهو نتيجة جمال الروح والقلب. هذا يغير مفهوم الجمال من المادي إلى الروحي.

البعد الرابع: البعد الروحي:
تضع الآية "النظر إلى الله" كغاية قصوى وأعلى درجات القرب. هذا يوجه العبادة من مجرد خوف من النار إلى حب الله والشوق إلى رؤيته.

البعد الخامس: البعد الاجتماعي:
مجتمع يقدم الآخرة على الدنيا هو مجتمع تختلف فيه القيم: لا يتنافس على المال والجاه، بل يتنافس على الخيرات. هذا يقلل الصراع والحسد والظلم.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفوس

القيمة الأولى: قيمة إيثار الآخرة:
غرس أن الآخرة خير وأبقى، وأن على المؤمن أن يقدمها على الدنيا.
التطبيق: في قراراتك اليومية، اسأل: هل هذا يقدمني إلى الآخرة أم يؤخرني؟

القيمة الثانية: قيمة الرضا بما قسم الله:

من أيقن أن الآخرة هي دار البقاء، هانت عليه الدنيا، ورضي بما قسم الله له فيها.
التطبيق: لا تحزن على فوات دنيوي، وافرح بكل عمل أخروي.

القيمة الثالثة: قيمة الشوق إلى الله:
غرس أن أعظم أمنية للمؤمن هي رؤية الله في الجنة.
التطبيق: ارفع يديك بالدعاء: "اللهم إني أسأل لذة النظر إلى وجهك".

القيمة الرابعة: قيمة الخوف من عذاب الله:
غرس خوفاً يردع عن المعصية، ويجعل العبد في حالة استعداد دائم.
التطبيق: كلما هممت بذنب، تذكر الوجوه الباسرة والفقار المكسور.

القيمة الخامسة: قيمة الوعي بحقيقة الوجوه:
غرس أن الوجه ليس مجرد جلد وعظام، بل هو مرآة للقلب والعمل.
التطبيق: صلح قلبك يصلح وجهك يوم القيامة.

الأمر الثالث: المفاهيم

المفهوم الأول: مفهوم "العاجلة":
الدنيا سميت عاجلة لأنها سريعة الزوال، ولأن الإنسان يعجل فيها بأخذ نصيبه من اللذة. وهي تتناقض مع "الآجلة" أي الآخرة.

المفهوم الثاني: مفهوم "حب الدنيا المذموم":
هو الحب الذي يجعلك تقدم الدنيا على الآخرة، ويشغلك عن طاعة الله، ويصرف قلبك عن ذكر الله.

المفهوم الثالث: مفهوم "ذر الآخرة":
هو ترك العمل للآخرة وعدم الاكتراث بها، وتأجيل التوبة والصلاح إلى وقت لاحق.

المفهوم الرابع: مفهوم "نضارة الوجه":
هي الإشراق والبهجة والجمال الذي يظهر على وجوه المؤمنين يوم القيامة، نتيجة لسعادة القلب وإيمانه.

المفهوم الخامس: مفهوم "النظر إلى الله":
هو رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، وهي أعظم نعيم الجنة، وهي ثابتة بالقرآن والسنة.

المفهوم السادس: مفهوم "بسورة الوجه":
هو عبوسه وتقطيبه وذهاب نوره من شدة الحزن والخوف والكآبة.

المفهوم السابع: مفهوم "الفاقة":
هي الداهية العظيمة التي تكسر فقار الظهر، وتعبير عن شدة العذاب.

الأمر الرابع: كيف تحول هذه المفاهيم إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

بناء الإنسان:

· يبني إنساناً لا يُستعبد للدنيا، فيكون حراً.
· يبني إنساناً هدفه الجنة، فيكون متزناً نفسياً.
· يبني إنساناً يعرف قيمة العمل الصالح، فيكون منتجاً.

بناء المجتمع:

· مجتمع تختلف فيه معايير النجاح من الماديات إلى الروحيات.
· مجتمع يقل فيه الفساد والظلم، لأن الناس يعملون للآخرة لا للدنيا فقط.
· مجتمع يتماسك في الشدائد، لأن أفراده ينتظرون الجزاء الأخروي.

بناء الحضارة:

· الحضارة الحقيقية هي التي توازن بين الدنيا والآخرة، لا التي تقدم إحداهما على الأخرى.
· الآية تقدم نموذجاً للموازنة: أن تحب الدنيا بقدر ما تعينك على الآخرة، وتتركها بقدر ما تشغلك عنها.
· أمة تملك هذا المفهوم تستطيع أن تبني دنيها دون أن تخسر آخرتها، وتصنع حضارة مادية دون أن تذوب فيها.

الأمر الخامس: أهمية الأسلوب القرآني في إعداد وإصلاح الإنسان

أولا ً: أسلوب المواجهة المباشرة:
"كلا بل تحبون" أسلوب يصدم الإنسان، يزلزله، يوقظه من غفلته. هذا الأسلوب ضروري لمن غلبت عليه الغفلة.

ثانياً: أسلوب كشف الدوافع الخفية:
لا يكتفي بوصف السلوك، بل يكشف الدافع الذي يقف وراءه (حب الدنيا). هذا يعلم الإنسان أن يعالج الجذور لا الأعراض.

ثالثاً: أسلوب المفارقة بين الفريقين:
بمقارنة وجوه الفريقين، يبني في نفس المؤمن أملا ً يدفعه ورعباً يردعه. وهذا التوازن ضروري للصحة النفسية.

رابعاً: أسلوب التصوير البصري:
وصف الوجوه بالنضارة والبسور، والنظر إلى الله، والفقار المكسور، كلها صور قوية تعلق في الذاكرة وتؤثر في السلوك.

خامساً: أسلوب الإيجاز البليغ:
كل كلمة في هذه الآيات تحمل بحراً من المعاني: "عاجلة"، "آخرة"، "ناضرة"، "ناظرة"، "باسرة"، "فاقرة". هذا الإيجاز يعلم الإنسان كيف يعبر عن أعمق المعاني بأقل الألفاظ.

رسالة ختامية

أخي الكريم،

هذه الآيات تحدد لك خياراً مصيرياً: على من سيكون وجهك يوم القيامة؟

إن أحببت الدنيا وقدمتها على الآخرة، وتركت العمل للآخرة، فاستعد لوجه باسر، ولعذاب يفقر ظهرك. هذا مصير من آثر الفانية على الباقية.

وإن أحببت الآخرة، وجعلت الدنيا في يدك لا في قلبك، وعملت لها وهي غايتك، وانتظرت لقاء ربك، فاستعد لوجه ناضر، وأعظم بهجة: النظر إلى وجه الله الكريم.

الموازنة بين الدنيا والآخرة ليست مستحيلة، لكنها تحتاج إلى:

· قلب يعلق بالله لا بالدنيا.
· يد تعمل للدنيا، وقلب يسعى للآخرة.
· توبة لا تؤجل، وحساب لا يغفل.
· وخوف من يوم تظهر فيه الوجوه حقيقة ما كان في القلوب.

تذكر: وجهك اليوم أنت تستطيع أن تجمله بالمكياج والملابس. أما وجهك يوم القيامة، فلا يجمله إلا ا لإيمان والعمل الصالح. فاختر لنفسك ما تريد.

انظر في المرآة اليوم، واسأل نفسك: ماذا أريد أن يكون وجهي غداً؟

اللهم اجعل وجوهنا يوم القيامة ناضرة إلى ربنا ناظرة، ولا تجعلها باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة. اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، واجعل الآخرة هي غايتنا ومنى قلوبنا.

المبحث الثاني
بسم الله الرحمن الرحيم

{كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ * وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ}

أولا ً: تفسير الآية وفق المنهجية المطلوبة

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية تربط الآية بما قبلها

بعد أن بين الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة (20-25) سبب إعراض الإنسان عن الآخرة وهو حب الدنيا، وبين مصير الفريقين يوم القيامة: فريق وجوههم ناضرة إلى ربها ناظرة، وفريق وجوههم باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة – بعد هذا الانتقال من الحديث عن حب الدنيا إلى الحديث عن مشهد يوم القيامة، يأتي الآن مشهد آخر: مشهد سكرات الموت وخروج الروح.

الآيات السابقة تحدثت عن "يوم القيامة" الكبير. وهذه الآيات تحدث عن "ساعة الموت" التي هي أول القيامة الصغرى لكل إنسان. فكما أن يوم القيامة فيه أهوال، فساعة الموت لها أهوالها. والربط بينهما: أن من يستعد للموت يستعد للقيامة.

والسياق ينتقل من الحديث عن "الوجوه" في الآخرة إلى الحديث عن "الروح" عند الموت. وكأن الله يقول: لا تغتروا بحب الدنيا، فإن الموت آتٍ لا محالة، وساعة الموت شديدة، ثم بعد ذلك المساق إلى الله.

والمقصد العام: تذكير الإنسان بسكرات الموت، وبيان أنه لا منجّي إلا الله، والحث على الاستعداد لهذا اليوم الذي لا ينفع فيه إلا العمل الصالح.

الأمر الثاني: تفسير الآيات

{كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ}:

· كلا: حرف ردع وزجر. معناها: ارتدعوا وانزجروا عن حب الدنيا وإعراضكم عن الآخرة. أو ليس الأمر كما تظنون من أنكم مخلدون في الدنيا، بل ستعرفون الحقيقة عند الموت.
· إذا: ظرفية للمستقبل، تفيد التحقيق، أي أن هذا الأمر سيقع لا محالة.
· بلغت: أي وصلت وارتفعت.
· التراقي: هي عظام الترقوة، وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق، وهما عظمان في أعلى الصدر عند منبت العنق. وبلوغ الروح التراقي هو آخر مرحلة من مراحل خروج الروح، حين تصل الروح إلى الحلقوم وتصعد إلى التراقي، فيُحتضر الإنسان ويشرف على الموت.

والمعنى: ليس الأمر كما تظنون أيها الغافلون، فسوف يأتيكم الموت، وتصل أرواحكم إلى حاف الموت، وتنتهي إلى التراقي.

{وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ}:

· وقيل: أي قال الحاضرون عند المحتضر، أو قال أهلوه، أو قيل في نفسه.
· من راق: أي من يرقيه؟ من يرقيه من السحر أو السم أو العين أو المرض؟ أو من يرقيه بمعنى: من يطبه ويداويه؟ أو من يقرأ عليه الرقية ليشفى؟ والمعنى: يتساءل الناس: هل من طبيب أو راقٍ قادر على إنقاذ هذا المحتضر من الموت؟ فلا يجدون.

وقيل: "من راقٍ" أي من ملك يرقى بروحه إلى السماء؟ والمعنى: يقول الملائكة: من الذي يصعد بروحه ؟ وقيل: يقول المحتضر في نفسه: هل من راقٍ يشفيني؟ فيعلم أنه لا راقي.

{وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ}:

· وظن: أي أيقن وعلم. والظن هنا بمعنى اليقين.
· أنه: أي أن هذا الوقت هو وقت.

· الفراق: أي فراق الدنيا، فراق الأهل والمال والأولاد والحياة.

والمعنى: وأيقن المحتضر في سكرات موته أن هذه هي ساعة الفراق، فراق كل شيء، فراق الدنيا ومن فيها. يعلم أن لا عودة بعدها.

{وَالتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ}:

· التفت: أي التوت وانضمت واجتمعت.
· الساق بالساق: أي ساقاه إحداهما على الأخرى عند الموت، حين يلف عليها الكفن. وقيل: التفت ساقاه أي ضمت إحداهما إلى الأخرى بعد الموت. وقيل: هو كناية عن اشتداد الأمر وتلاصق الشدائد، وهذا أرجح. والساق كناية عن الشدة. فالتفاف الساق بالساق: اجتماع شدة الدنيا وشدة الآخرة، أو شدة الموت وشدة البعث، أو شدة الفراق وشدة الحساب.

والمعنى: التفت الشدائد على المحتضر عند الموت، واجتمع عليه هول الدنيا وهول الآخرة، أو التفت ساقاه في الكفن، وهذه إشارة إلى الموت نفسه.

{إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَسَاقُ}:

· إلى ربك: أي إلى الله سبحانه وتعالى وحده.
· يومئذ: أي يوم الموت، أو يوم القيامة، أو يوم البعث، أو وقت الاحتضار.
· المساق: أي السوق والإحضار. أي أن الله هو الذي يسوق العباد للحساب والجزاء.

والمعنى: إلى ربك وحده أيها الإنسان يساق الخلق يوم القيامة، أو يساق المحتضر عند الموت إلى مصيره. فكل إنسان مساق إلى ربه لا محالة، ولا يملك أحد لنفسه ضراً ولا نفعاً.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآيات

1.تذكير الإنسان بسكرات الموت وشدتها وأهوالها.
2.بيان عجز البشر عن إنقاذ المحتضر مهما بلغت علومهم وقوتهم.
3.إيقان الإنسان عند الموت أن هذه هي ساعة الفراق الحقيقي.
4.تصوير اجتماع الشدائد في لحظة الموت، بحيث لا مفر ولا مهرب.
5.تقرير حقيقة المساق إلى الله، وأن كل إنسان سيُساق إليه سواءً أحب أم كره.
6.الربط بين الموت والقيامة، فمن استعد للموت استعد للقيامة.
7.الرد على من يظن أن الدنيا دار بقاء، بتذكيره بلحظة الموت.
8.بيان أن لا منجَي من الموت، وأن العلاج الحقيقي ليس عند الأطباء بل عند الله.

الأمر الرابع: مغزى الآية وأسباب النزول

أسباب النزول:
نزلت هذه الآيات في المشركين الذين كانوا يغفلون عن الموت ويؤثرون الدنيا. وقيل في سبب النزول: أن رجلا ً من المشركين قال: "لو أن لي راقياً يرقيني مما بي". أو قال: "هل من راقٍ يرقيني؟ " فنزلت: {وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ}. وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة أو في أبي جهل عند موته.

ولكن العبرة بعموم اللفظ، فالآيات تتحدث عن كل إنسان يحتضر، وتصف مشهد الموت بكل أهواله. وهي تخاطب الإنسان أينما كان وفي أي زمان، لتذكره بهذه اللحظة الحاسمة.

المغزى العام للآيات:
المغزى الأول: أن الموت قريب من كل إنسان، مهما طال عمره، ومهما تمتع بدنياه، فسيأتي اليوم الذي تبلغ روحه التراقي، وينادي أهله: هل من طبيب ينقذه؟ فلا يجد.

المغزى الثاني: أن الإنسان عند الموت يتذكر كل شيء، ويوقن أن الدنيا انتهت، ويتمنى لو كان عمل صالحاً يقدمه. لكن الأوان قد فات.

المغزى الثالث: أن لا ملجأ من الموت ولا من الله. فالإنسان مساق إلى ربه، ساقه إلى الحساب و الجزاء. فلا يغرنك شبابك، ولا قوتك، ولا صحتك، فالموت يأتي بغتة.

المغزى الرابع: أن الموت ليس النهاية، بل هو بداية مرحلة أخرى من السوق إلى الله. فمن ظن أنه إذا مات انتهى الأمر فقد وهم. بل الموت جسر، والآخرة هي الدار.

الأمر الخامس: أهداف وغايات ومقاصد الآيات

.1هدف إيقاظ الغافلين : الذين انشغلوا بحب الدنيا عن ذكر الموت والآخرة، بأن يصور لهم سكرات الموت لعلهم يتعظون.
.2هدف إثبات البعث : من خلال قوله} إلى ربك يومئذ المساق{، أي أن هناك يوماً بعد الموت يساق فيه العباد إلى ربهم.
.3هدف كشف عجز البشر : مهما تقدم الطب، ومهما بلغ الأطباء، فإنهم لا يستطيعون منع الموت إذا جاء أجله .هذا يردع الغرور الطبي.
.4هدف تذكير الإنسان بحقيقة الفراق : أن الدنيا ليست دار إقامة، وسيأتي يوم يفارق فيها كل حبيب، ويترك كل ماله، ويبقى وحيداً مع عمله.
.5هدف إثبات أن المساق إلى الله وحده : لا ملجأ يومئذ إلا الله، ولا ناصر إلا الله، ولا شفيع إلا بإذنه.
.6هدف تحفيز المؤمن على الاستعداد : من يعلم أنه سيساق إلى الله، يعمل لهذا اليوم، ويتزود من العمل الصالح.

ثانياً: تحليل الآية
المحور الأول: {كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ}

الأمر الأول: لماذا بدأ الآية بـ "كلا" مرة أخرى؟

"كلا" في هذا الموضع لها دلالات متعددة:

الدلالة الأولى: الردع والزجر عن الغفلة:
بعد أن تحدث عن حب الدنيا (في الآيات السابقة) وعاقبته، يعود بـ "كلا" لينتقل إلى مشهد آخر يردع الغافلين. كأنه يقول: ليس الأمر كما تظنون أن الدنيا باقية، بل انتظروا هذا المشهد.

الدلالة الثانية: التحذير من التلهي عن ذكر الموت:
الإنسان يحب الدنيا فينسى الموت، فتأتي "كلا" لتصكه في وجهه: توقف عن غفلتك، واذكر ساعة الموت.

الدلالة الثالثة: تأكيد أن الموت قادم لا محالة:
"كلا" تفيد القطع والإيجاب، أي أن الأمر محقق لا ريب فيه. فالموت آتٍ، سواء أحببت أم كرهت.

الدلالة الرابعة: الانتقال من حديث إلى حديث:
كلا هنا أداة انتقال من الكلام عن أحوال القيامة إلى الكلام عن أحوال الموت، وكأن كلاهما عظيم يحتاج إلى ردع.

الرسالة النفسية من "كلا":
تحدث "كلا" في نفس القارئ صدمة وانتباهاً. بعد أن كان في غفلة عن الموت، تأتي "كلا" فترده إلى الواقع. هذا الأسلوب النفسي أشد تأثيراً من الكلام المباشر، لأنه يقطع سيل الغفلة فجأة.

الرسالة التربوية من "كلا":
في التربية، عندما يكون المتعلم غافلا ً عن أمر مهم، نستخدم كلمة حاسمة "لا"، "انتبه"، "كلا". هذا ا لأسلوب يوقظ العقل، ويجهزه لتلقي الرسالة التالية.

الرسالة العقلية من "كلا":
تعيد "كلا" توجيه العقل من التفكير في حب الدنيا إلى التفكير في الموت والآخرة. إنها تحول مجرى التفكير، وهو أسلوب عقلي مهم في الإقناع.

الرسالة العملية من "كلا":
تذكرنا "كلا" في حياتنا العملية أن نتوقف عن الانشغال الزائد بالدنيا، وأن نخصص وقتاً لذكر الموت.

فمن ذكر الموت، قلت غفلته، وكثرت حسناته.

الأمر الثاني: ما هي "التراقي" ولماذا خصها الله بالذكر؟

التراقي: هي عظام الترقوة، وهي العظام التي تظهر في أعلى الصدر عند منبت العنق. سبب تخصيصها بالذكر:

السبب الأول: أنها آخر مرحلة من مراحل الموت:
عندما تبلغ الروح التراقي، يكون الإنسان في سياق الموت. لم تعد الروح في الجسد كله، بل وصلت إلى أقصى نقطة قبل الخروج. فذكرها ليدل على شدة الحالة وقرب الانتهاء.

السبب الثاني: أن التراقي مكان صعب لخروج الروح:
تلتقي عند التراقي الأعصاب والعروق الهامة، وخروج الروح منها شديد. فذكرها للدلالة على كرب الموت.

السبب الثالث: أن الإنسان عند بلوغ الروح التراقي لا يستطيع الكلام:
يصبح عاجزاً عن التعبير، لا يستطيع أن يوصي، ولا يستطيع أن يتكلم، بل يكون في غيبوبة الموت. وهذا تذكير بأن الموت يأتي فجأة.

السبب الرابع: أنها إشارة إلى أن الموت لا مفر منه:
لا يصل شيء إلى التراقي إلا الموت. فخصها بالذكر ليعلم الإنسان أن هذه المحطة محتومة عليه.

الرسالة النفسية:
تخلق هذه الكلمة في نفس القارئ شعوراً بالخوف والوجل، لأنها توحي بمرحلة متقدمة من الموت. النفس تخاف من الموت، فتذكرها بأقصى مراحله يزيد من خشيتها، مما يدفعها للاستعداد.

الرسالة التربوية:
تعليم الإنسان ألا يتجاهل الموت، وأن الموت ليس مجرد حدث عابر، بل له مراحل تبدأ من المرض ثم الاحتضار ثم بلوغ الروح التراقي. فالتربية على ذكر الموت تربي على التقوى.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن الموت حقيقة يقينية، وأنه يمر بمراحل محددة. هذا يزيل الأوهام التي يبنيها الإنسان عن الخلود، ويجعله يواجه الحقيقة.

الرسالة العملية:
لتحضير نفسك للموت، اجعل وصيتك مكتوبة دائماً، ولا تؤجل التوبة، وتصدق ولو بقليل، فربما تأتي ساعة بلوغ التراقي وأنت غافل.

مثال تقريبي:
تخيل رجلاً في الرابعة والثلاثين، بصحة جيدة، يخطط للمستقبل، يبني بيتاً، يربط أحلامه. ثم يصاب بمرض مفاجئ، وفي لحظات، تبلغ روحه التراقي. زوجته تبكي، أولاده صغار. يتساءل الأطباء: هل من طريقة لإنقاذه؟ فلا يجدون. هذا هو المشهد الذي ترسمه الآية. فهل يستعد الإنسان له قبل أن يحدث؟

المحور الثاني: {وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ}

الأمر الأول: معنى "من راقٍ" وتعدد أقوال المفسرين

القول الأول: من يرقيه من سقمه ومرضه؟ أي من طبيب أو معالج يستطيع أن يداويه ويشفيه من هذا المرض الذي ألم به. وهذا قول كثير من المفسرين.

القول الثاني: من يقرأ عليه الرقية؟ أي من يرقيه من السحر أو العين أو المس. والمعنى: يبحثون عن راقٍ لعل فيه أثراً يشفيه، فلا يجدون.

القول الثالث: من ملك يرقى بروحه إلى السماء؟ أي تتساءل الملائكة: من الذي يصعد بهذه الروح إلى السماء؟ أو يتساءل المحتضر: هل من ملك يرقى بي؟

القول الرابع: "من راق" أي من يرقى به إلى الله. والخلاصة: أن الكل يتساءل: هل من منقذ؟ هل من مخلص؟ فلا يوجد.

الرسالة النفسية:
هذا السؤال "من راق" يعكس حالة اليأس والصدمة لدى الحاضرين. هم يبحثون عن أي أمل، عن أي وسيلة لإنقاذ المحتضر، لكنهم لا يجدون. هذا يخلق في نفس القارئ شعوراً بأن الموت لا مفر منه، وأن الأسباب كلها عاجزة عند حلول الأجل.

الرسالة التربوية:
نعلم من هذه الآية ألا نغتر بقوة الأطباء والعلاج. فالشفاء بيد الله وحده. ونعلم أن نعلق أملنا على الله لا على الأسباب. فالتربية على التوكل تبدأ من هنا.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن الطب مهما تقدم فهو عاجز عن دفع الموت عندما يحين الأجل. هذا يهدم الوهم الذي يعيش فيه كثير من الناس: أن الطب سيحل كل المشاكل، وأن الموت قد يؤجل. لا، الأجل لا يتقدم و لا يتأخر.

الرسالة العملية:
لا تهمل العلاج، ولكن لا تعلق قلبك عليه. كل الأسباب بيد الله. وإذا مرضت، تداو، وتوكل على الله. و لا تؤجل التوبة والاستعداد للموت بحجة أنك ستتعالج وتشفى.

مثال تقريبي:
تخيل مريضاً بالسرطان في المراحل الأخيرة. أهله يجمعون المال، ويأتون بأكبر الأطباء، ويستخدمون أحدث العلاجات. لكن الأجل حان. يسألون: هل من طبيب ينقذه؟ هل من دواء يشافيه؟ فلا يجدون. هذا هو معنى "من راق". كل الأسباب تنتهي، ويبقى أمر الله.

الأمر الثاني: دلالة السؤال "من راق" على اليأس والعجز البشري

السؤال بـ "من" للاستفهام عن الذوات، وفي هذا الموضع يدل على التحير والعجز. ليس هناك جواب، لأنهم يبحثون عن شيء غير موجود.

دلالاته:

1. دلالة العجز المطلق : لا طبيب، لا دواء، لا راق .انتهت قدرات البشر.
2. دلالة الدهشة : يتساءلون مندهشين: كيف انتهى الأمر بهذه السرعة؟ كنا نأمل، فإذا بالأمل يتبخر.
3. دلالة الفزع : صوت الفزع والهلع: هل من منقذ؟ هل من مغيث؟ ثم يتبين أنه لا شيء.

الرسالة النفسية:
تخلق هذه الآية في نفس الإنسان شعوراً بالخوف من لحظة الموت، لكنه خوف محمود يدفع إلى الا ستعداد. كما تخلق شعوراً بالتواضع: فكل عظمة البشر تنتهي عند الموت. لا طبيب ينقذ، لا مال يفدي، لا جاه ينفع.

الرسالة التربوية:
نربّي أنفسنا وأبناءنا على ألا نعتمد على الأسباب اعتماداً مطلقاً. لا نقول: "الطب سيحل كل شيء". بل نقول: "السبب بيد الله، والنتيجة بيده". هذه التربية تحمي من الصدمات والانهيارات.

الرسالة العقلية:
العقل الذي يدرك هذه الحقيقة هو عقل متزن لا يغتر بقوته. يعرف أن لكل بداية نهاية، وأن الحياة ليست خالدة. هذا الإدراك يجعل الإنسان حكيماً في قراراته.

الرسالة العملية:
عملياً، جهز نفسك للموت قبل أن يأتيك سؤال "من راق". اكتب وصيتك، وتصدق، وتب، وأصلح ما بينك وبين الناس. لا تؤجل، فربما لا تجد راقياً.

المحور الثالث: {وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ}

الأمر الأول: معنى "الظن" هنا ولماذا لم يقل "تيقن"؟

"ظن" هنا بمعنى: أيقن وعلم، وهذا من معاني الظن في القرآن. قال تعالى: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ}، أي تيقنت.

لماذا اختار الله لفظ "ظن"؟

السبب الأول: للإشارة إلى أن الذي في الدنيا كان ظنه خاطئاً:
في الدنيا كان يظن أن الدنيا باقية، وأن الموت بعيد، وأنه سيخلد. فعند الموت، يأتيه اليقين، لكن وصف بالظن من باب المقابلة: كان ظن فصار ظناً آخر.

السبب الثاني: أن الظن هنا يحمل معنى اليقين المؤلم:
اليقين المطمئن شيء، واليقين الموجع شيء آخر. وصفه بـ "ظن" يدل على أن هذا اليقين ليس مريحاً بل هو مؤلم، لأنه متصل بالفراق.

السبب الثالث: أن المحتضر قد لا يوقن يقيناً تاماً كيقين المؤمن:
لا يزال في حالة صدمة وتردد، فيظن وليس يعلم على وجه القطع، لكن عظمة الموقف تجعل هذا الظن في قوة اليقين.

الرسالة النفسية:
تصف الآية الحالة النفسية للمحتضر: مرحلة الصدمة واليقين المتأخر. الإنسان كان في الدنيا يعيش كأنه خالد، وعند الموت فقط يستيقن أنه مفارق. هذه الحالة النفسية تجمع بين الندم والحسرة و الخوف.

الرسالة التربوية:
نعلم من هذا ألا ننتظر الموت لنوقن بالفراق. من المؤمن أن يوقن وهو في صحته بأن الدنيا زائلة، وأن الفراق آتٍ. فالتربية على "تذكر الموت" هي تربية على اليقين المبكر.

الرسالة العقلية:
العاقل من يوقن بالفراق وهو في قوته وصحته، لا أن ينتظر حتى يصل إلى التراقي. هذا توجيه عقلي واضح: استخدم عقلك الآن، ولا تؤجل اليقين.

الرسالة العملية:
اجعل في مفكرتك جملة: "اليقين بالفراق". ذكر نفسك كل يوم بأنك ستفارق كل شيء. هذا التذكير يغير أولوياتك، ويجعلك تقدم الآخرة على الدنيا.

مثال تقريبي:
تخيل شاباً كان يخطط للسفر إلى بلد بعيد للدراسة، وسافر بالفعل، وبعد أيام يكتشف أن الدراسة لا تناسبه، فيندم على سفره وترك أهله. هو الآن في بلد الغربة، ويريد الرجوع لكن لا يستطيع. هذا مثال للإنسان الذي كان في الدنيا، فلما فارقها ندم. لكن بعد الموت لا رجوع.

الأمر الثاني: دلالة "الفراق" (فراق ماذا؟)

الفراق يشمل فراق عدة أمور:

فراق الأهل والأحبة:
يفارق أباه، أمه، زوجته، أولاده، إخوته. كل من أحبهم يتركهم. هم يبقون في الدنيا، وهو يرحل. هذه أشد لحظات الحزن.

فراق المال والدنيا:
يفارق أمواله التي جمعها، وبيوته التي بناها، وسياراته التي ركبها، وملابسه التي لبسها. كل شيء

يتركه وراءه.

فراق الشباب والقوة:
يفارق صحته وقوته ونشاطه. يخرج من الدنيا ضعيفاً، لا يملك حتى تحريك لسانه.

فراق الحياة نفسها:
يفارق الحياة التي كان يتمتع بها، أحلامه، آماله، طموحاته. كل شيء ينتهي.

الرسالة النفسية:
خلق مشاعر الحسرة في نفس القارئ، حين يتخيل نفسه وهو يفارق كل ما يحب. هذه الحسرة تدفعه إلى ألا يرتبط بالدنيا ارتباطاً مطلقاً، لأن الفراق آتٍ لا محالة.

الرسالة التربوية:
نربّي أنفسنا على ألا نجعل حبنا للأهل حباً يلهينا عن الله. نحبهم، لكن حب الله أولى. لأننا سنفارقهم، ونبقى وحدنا مع أعمالنا.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن كل شيء في الدنيا مؤقت، والعلاقات مؤقتة، والمشاعر مؤقتة. فلا تبني عليها مستقبلا ً أبدياً.

الرسالة العملية:
تواصل مع أهلك، أحبهم، لكن لا تعلق قلبك بهم تعلقاً يمنعك من ذكر الله. وليكن حبك لهم حباً في الله، وأعدّهم للفراق بأن تحسن إليهم وتوصي بهم خيراً.

مثال تقريبي:
تخيل أباً يحتضر، وأولاده حوله يبكون. هو يريد أن يوصيهم لكن لسانه لا ينطق. يتمنى لو قضى معهم وقتاً أطول، أو لو ترك لهم وصية، أو لو سامحهم قبل أن يموت. لكن الأوان فات. هذا هو الفراق الموجع.

المحور الرابع: {وَالتَفّتِ السّاقُ بِالسّاق}

الأمر الأول: تفسير "التفاف الساق بالساق" ومعانيه المتعددة

هذه العبارة من أعظم ما ورد في وصف شدة الموت، ولها عدة تفسيرات:

التفسير الأول (المراد به شدة الموت):
الساق كناية عن الشدة. والتفاف الساق بالساق: اجتماع شدة الدنيا وشدة الآخرة على المحتضر، أو شدة الموت وشدة البعث، أو شدة الفراق وشدة الحساب. أي أن الشدائد تلتقي وتتلاحق، فلا يجد الإ نسان مخرجاً.

التفسير الثاني (المراد به لف الكفن):
التف الساق بالساق: أي ضمت ساقاه بعضهما إلى بعض عند لفه في الكفن. وهذا إشارة إلى الموت نفسه ولف الجسد.

التفسير الثالث (المراد به التفاف ساقي المحتضر في النزع):
عند الاحتضار، تتشنج العضلات، وتضطرب الأرجل، قد تلتوي وتلتف، وتضرب بعضها ببعض.

الراجح: أن المعنى شامل لكل هذه المعاني، وهي كناية عن اشتداد الكرب، وتلاصق الشدائد، والانتهاء إلى الموت الذي لا مفر منه.

الرسالة النفسية:
تصف الآية أقصى درجات الكرب النفسي والجسدي عند الموت. الإنسان يشعر بأن شدائد الدنيا والآ خرة تجتمع عليه، لا مفر ولا مهرب. هذا يخلق في نفس القارئ خشية عميقة.

الرسالة التربوية:
نربّي أنفسنا على ألا نستهين بسكرات الموت. كثير من الناس يظنون أن الموت مجرد نوم، والآية تبين أنه كرب عظيم. فالتربية على الاستعداد لهذا الكرب تكون بالعمل الصالح.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن الموت ليس مجرد انتهاء حياة، بل هو أشد الكروب. هذا الإدراك يدفع الإنسان إلى أن يأخذ الموت بجدية، وألا يكون غافلا ً عنه.

الرسالة العملية:
لكي تستعد لهذا اليوم، أكثر من ذكر الموت. تذكر أن الشدائد ستلتقي عليك. اجعل لك عملا ً صالحاً ينجيك في ذلك اليوم.

مثال تقريبي:
تخيل سفينة في وسط عاصفة، أمواج متلاطمة، رياح قوية، السفينة تتمايل، والماء يتسرب إليها. هذا هو اجتماع الشدائد. كذلك المحتضر: شدة الألم، شدة الفراق، شدة الخوف من الآخرة، كلها تلتقي عليه.

الأمر الثاني: لماذا استخدم القرآن أسلوب الكناية هنا؟

استخدم أسلوب الكناية (الساق بالساق) بدلا ً من التصريح بالموت، لأن:

السبب الأول: التعظيم والتفخيم:
لو قال "مات" لكان تعبيراً عادياً. أما كناية "التفاف الساق" فتصور شدة الموت وتعقده، مما يعظم الموقف في النفس.

السبب الثاني: الإثارة والتركيز:
الكناية تثير انتباه السامع، وتجعله يتوقف ليفهم المعنى، فيزداد تأثراً.

السبب الثالث: الإيحاء بشدة الكرب:
كلمة "الساق" وحدها تدل على الشدة في العربية، والتفافها يدل على ازدواج الشدة.

السبب الرابع: الإشارة إلى ملامح الجسد:
هو تصوير جسدي ملموس، يسهل تخيله، فيؤثر في النفس أكثر من الكلام المجرد.

الرسالة النفسية:
الكناية تخلق حالة من الترقب والتفكر، وتجعل المعنى يتغلغل في النفس بعمق، لأن العقل يحاول فك الرمز، فيرسخ المعنى.

الرسالة التربوية:
في التربية، استخدام الكناية (التعبير غير المباشر) أحياناً أنجع من التعبير المباشر، لأنه يشرك المتعلم في الوصول إلى المعنى، فيثبت عنده أكثر.

الرسالة العقلية:
تدرب العقل على استيعاب المعاني الرمزية والمجازية، مما يوسع مداركه اللغوية والفكرية.

الرسالة العملية:
تعلم كيف تستخدم الكناية في مواقفك الحياتية، خاصة في المواقف الحساسة، حيث التصريح قد يكون صادماً. هذا من البلاغة والحكمة.

مثال تقريبي:
تقول لصديق: "حان وقت الرحيل" بدلا ً من "ستموت". الأولى أبلغ وأعمق تأثيراً. كذلك القرآن، قال "التفت الساق بالساق" بدلا ً من "مات".

المحور الخامس: {إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ}

الأمر الأول: معنى "المساق" ودلالته على السوق والجمع

المساق في اللغة: السوق والإحضار والإجبار. والمعنى: إلى ربك وحدك يساق الخلق يوم القيامة، أو يساق المحتضر عند موته.

دلالات المساق:

.1دلالة القهر والإجبار : المساق ليس اختيارياً .الإنسان يدفع ويساق، لا يستطيع التوقف أو الالتفاف . هذا دليل على عظمة الله وقهره.
.2دلالة الجمع بعد التفرق : الناس كانوا متفرقين في الدنيا، فإذا جاء يوم الموت، أو يوم القيامة، يساقون إلى ربهم جميعاً.
.3دلالة الاستسلام : لا مقاومة، لا اعتراض، لا هروب .الجميع يساقون، الكبير والصغير، القوي و الضعيف.

الرسالة النفسية:
تخلق هذه الكلمة شعوراً بالخضوع والذلة أمام عظمة الله. الإنسان يشعر أنه لا يملك لنفسه شيئاً، وأن الله هو القاهر فوق عباده.

الرسالة التربوية:
نربّي أنفسنا على الاستسلام لله في الدنيا قبل أن نساق إليه قهراً في الآخرة. من اختار طاعة الله في الدنيا، هان عليه المساق في الآخرة.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن كل شيء في الكون يساق إلى الله. هذا ينسف فكرة أن الإنسان حر مطلق، أو أن الكون عشوائي. بل كل شيء بمشيئة الله وقدره.

الرسالة العملية:
ساق نفسك إلى طاعة الله في الدنيا، قبل أن تساق إلى حسابه في الآخرة. بادر بالتوبة والعمل الصالح، فأنت مساق لا محالة.

مثال تقريبي:
تخيل سجيناً يقاد إلى حكم الإعدام، مقيداً بالسلاسل، محاطاً بالحراس، لا يستطيع الهروب. كل خطوة يخطوها، يقترب من نهايته. هذا هو المساق. لكن يوم القيامة، لا سجون ولا أحكام بشرية، بل سوق إلى الله العادل.

الأمر الثاني: لماذا خاطب الله نبيه بـ "ربك"؟

قال {إلى ربك} وليس "إلى الله" أو "إلى ربهم". تخصيص الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم له حكمة:

الحكمة الأولى: تشريف النبي : إضافة الرب إلى النبي تشريف له، وإظهار لمكانته عند ربه.

الحكمة الثانية: تسلية النبي : كأن الله يقول: يا محمد، هؤلاء المشركون الذين يستهزئون بك، سيساقون إلى ربك، وهو الذي سينتقم لهم منك.

الحكمة الثالثة: تنبيه النبي إلى عظمة المساق : أي أن الذي يساقون إليه هو ربك الذي أنت تعرفه وتعظمه.

الحكمة الرابعة: التذكير بالربوبية : ربك هو الذي خلقك ورعاك، وهو الذي سيساق إليه الجميع.

الرسالة النفسية:
تخلق هذه الإضافة في نفس المؤمن شعوراً بالقرب من الله والطمأنينة. فكأن الله يقول: ربك الذي يحميك ويرعاك هو الذي سيساق إليه الخلق.

الرسالة التربوية:

نعلم من هذه الإضافة أن نحب الرسول صلى الله عليه وسلم، ونعظمه، ونعتبر أن ما له من تشريف هو لأمته أيضاً. فنحن ننسب إلى ربه.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن الله هو رب الجميع، لكنه خص رسوله بالذكر تشريفاً. وهذا من أسرار البلاغة القرآنية.

الرسالة العملية:
نقتدي بالنبي في طاعة ربه، ونعمل كما عمل، فنفوز بالمساق الآمن إلى الله.

الأمر الثالث: متى يكون المساق؟ "يومئذ" تعود على أي يوم؟

"يومئذ" تحتمل عدة معان:

المعنى الأول: يوم الموت. أي إلى ربك في ساعة الموت المساق، أي ساقته الملائكة إلى مصيره.

المعنى الثاني: يوم القيامة. أي إلى ربك يوم البعث والنشور المساق.

المعنى الثالث: الوقت الذي بلغت الروح التراقي. أي في تلك الساعة بالذات.

والراجح: أنه شامل لجميع هذه الأوقات، فكلها أيام يساق فيها العباد إلى الله.

الرسالة النفسية:
هذا الإبهام يخلق حالة من الترقب الدائم، فالمساق قد يكون اليوم، أو غداً، أو بعد دقيقة. فيجب الا ستعداد دائماً.

الرسالة التربوية:
علينا أن نربي أنفسنا وأبناءنا على أن الموت قد يأتي في أي لحظة، فالاستعداد لا يتأخر.

الرسالة العقلية:
العاقل من يستعد لكل الاحتمالات، ومنها الموت المفاجئ. فهذا من شدة الفطنة والعقل.

الرسالة العملية:
اجعل وصيتك جاهزة، وتب دائماً، ولا تؤجل عملا ً صالحاً. فقد يأتي المساق اليوم.

ثالثاً: دلالات الآية والجوانب البلاغية والخواطر والتأملات

الأمر الأول: دلالات الآية كمحفز لتحويل النص إلى سلوك

هذه الآيات تحفز الإنسان على عدة سلوكيات:

.1تحفيز على ذكر الموت : قراءة هذه الآيات تجعل الموت حاضراً في القلب، فيكثر العبد من الطاعات استعداداً له.
.2تحفيز على عدم الاغترار بالأطباء والعلاج : لكن هذا لا يعني ترك العلاج، بل يعني التوكل على الله وعدم نسيان الموت مهما تقدم الطب.
.3تحفيز على تجهيز الوصية : لأن الإنسان لا يدري متى يأتيه الموت، فيجب أن تكون وصيته جاهزة لأهله.
.4تحفيز على التوبة الفورية : لا تؤجل التوبة إلى سكرات الموت، فربما لا تستطيع، أو يختم لك بسوء.
.5تحفيز على استشعار المساق : كأن الإنسان يساق إلى الله في كل لحظة، فيراقب نفسه.

الأمر الثاني: خواطر الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: مع "إذا بلغت التراقي":
أتخيل نفسي وأنا على فراش الموت، روحي تتصاعد إلى التراقي، عيني تزول، قدمي تبرد، أهلي

حولي يبكون. هل أنا مستعد لهذه اللحظة؟ هل عملي صالح ينجيني؟

الخاطرة الثانية: مع "وقيل من راقٍ":
أتخيل أهلي يتساءلون بألم: هل من طبيب ينقذه؟ فيأتي أعظم الأطباء فيقول: لا فائدة. وحينها أعلم أن الموت لا مفر منه. فأنا الآن بحاجة إلى راقٍ حقيقي: هو عملي الصالح وتوبتي الصادقة.

الخاطرة الثالثة: مع "وظن أنه الفراق":
أتخيل لحظة اليقين بأني سأفارق كل شيء: أولادي، زوجتي، بيتي، مالي، أصدقائي. أتألم لهذا الفراق. فأنا الآن أستطيع منع هذا الألم بأن أتعلق بالله لا بالدنيا.

الخاطرة الرابعة: مع "والتفت الساق بالساق":
أتخيل شدة الموت، كيف تجتمع على سكرات الألم، ويضيق الأمر، وتتقارب الشدائد. لا مفر، لا مهرب. اللهم اجعل موتي سهلا ً، وتقبلني برحمتك.

الخاطرة الخامسة: مع "إلى ربك يومئذ المساق":
أتخيل روحي تساق إلى ربي، جسدي يوضع في القبر، وعملي هو الذي يسبقني. اللهم لا تسقني إلى عذابك، بل أسقني إلى رحمتك.

كيفية استشعار هذه الخواطر:

· خصص وقتاً يومياً (قبل النوم) لتتخيل مشهد الموت وتستعد له.
· اقرأ الآيات بتدبر وتأمل، وتوقف عند كل عبارة.
· احضر جنائز الآخرين، فهي تذكرك بالموت.
· ادعُ الله أن يحسن خاتمتك.

الأمر الثالث: التصوير البياني في الآيات

أولا ً: تصوير بلوغ الروح التراقي:
صورة الروح تصعد من الصدر إلى الحلقوم إلى التراقي، كالماء يغلي في القدر، أو كالنسمة تتصاعد. هذه صورة تظهر شدة الاحتضار.

ثانياً: تصوير السؤال "من راقٍ":
صورة الحاضرين يتلفتون، ينظرون إلى الأطباء، إلى الأدوية، إلى الوسائل، يتساءلون: هل من منقذ؟ وجوههم مذعورة، عيونهم باكية، وإذا بالإجابة: لا أحد.

ثالثاً: تصوير الفراق:
صورة الإنسان ينظر إلى أهله للمرة الأخيرة، عيناه تدمعان، لسانه يتحرك بكلمات لا تخرج. يفارقهم وهم يبكون. صورة مشهد الختام.

رابعاً: تصوير التفاف الساق بالساق:
صورة جسد يعتلج، أقدام تلتف، شدائد تتراكم. قد تكون صورة الكفن وهو يلف الساقين، وقد تكون صورة عاصفة من الألم.

خامساً: تصوير المساق إلى الله:
صورة الخلق جميعاً يساقون إلى الله، كالقطيع يساق إلى الحوض، لا يتخلف أحد. صورة الجمع و الحشر.

الأمر الرابع: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

1.تغير نظرتنا إلى الموت : الموت ليس نهاية، بل بداية المساق إلى الله .فلا نخاف الموت، بل نخاف ما بعده.
2.تغير نظرتنا إلى الدنيا : الدنيا ليست دار إقامة، بل دار عبور .فلا نغتر بها، ولا نطمئن إليها.
3.تغير نظرتنا إلى الأطباء : هم أسباب لا غير .الشافي هو الله .نأخذ بهم ولا نغتر بهم.
4.تغير نظرتنا إلى الأهل والمال : سنفارقهم، فلا نربط قلوبنا بهم ربطاً ينسينا الله.
5.تغير نظرتنا إلى الحساب : نحن مساقون إلى ربنا، فليكن حسابنا لأنفسنا قبل أن نحاسب.

الأمر الخامس: تأملات ووقفات تدبرية

الوقفة الأولى: مع "كلا":
قف وكأن الله يصرخ في وجهك: توقف عن غفلتك! تذكر الموت! هذه الوقفة تصحيك من نومك.

الوقفة الثانية: مع "إذا بلغت التراقي":
تخيل نفسك وقد وصلت إلى هذه المرحلة. ماذا تتمنى لو كنت فعلت؟ افعلها الآن. هذا هو التخطيط للموت.

الوقفة الثالثة: مع "من راقٍ":
تأمل: كل من حولك يحاول مساعدتك، لكنهم عاجزون. فلا معين إلا الله. ارجع إليه الآن.

الوقفة الرابعة: مع "وظن أنه الفراق":
تأمل: ماذا ستفارق؟ من تحب؟ ما تملك؟ ثم تأمل: ما الذي سيصحبك؟ عملك فقط. فماذا عملت؟

الوقفة الخامسة: مع "والتفت الساق بالساق":
تأمل شدة الموت. هل أنت مستعد لهذه الشدة؟ الاستعداد يكون بالعمل الصالح والتوبة.

الوقفة السادسة: مع "إلى ربك يومئذ المساق":
تأمل: أنت مساق إلى ربك. هل أنت راضٍ عن مساقك؟ هل أنت مستعد للقائه؟

رابعاً: أهم الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الأول: مفهوم النجاح الحقيقي في ضوء هذه الآيات

النجاح الحقيقي ليس هو طول العمر ولا كثرة المال، بل هو حسن الخاتمة. الإنسان الناجح هو الذي:

· يتذكر الموت في حياته فيستعد له.
· لا يغتر بالأطباء والأسباب، بل يتوكل على الله.
· يوقن بالفراق مبكراً فيعمل للقاء الله.
· يستعد للمساق إلى ربه بأحسن عمل.

الأمر الثاني: كيفية الموازنة بين متطلبات الدنيا والآخرة في ضوء هذه الآيات

الموازنة أن تعيش في الدنيا كأنك ستموت غداً. هذه القاعدة الجامعة:

· اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً (اجتهد في أسبابها المباحة).
· واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً (بادر بالتوبة والطاعة).
· لا تؤجل العمل الصالح، فإن الموت يأتي بغتة.
· لا تغتر بالعلاج الحديث، فالشفاء بيد الله.

الأمر الثالث: الدروس من الآية في حياتنا العملية (تفصيل واف)

الدرس الأول: الموت قريب مهما بدا بعيداً:
التراقي قد تبلغ في أي لحظة. لا تظن أنك ستكمل مشاريعك كلها. خذ من حياتك قبل موتك.

الدرس الثاني: لا تغتر بقوتك وصحتك:
أقوى رجل، وأصح إنسان، يأتي عليه وقت يصرع فيه المرض، ويسقط صريعاً. فلا تتكل على صحتك.

الدرس الثالث: الفراق حتمي، فلا تتعلق بالدنيا:
كل ما تحبه في الدنيا ستتركه. فلا تجعله أكبر همك. اجعل الله أكبر همك.

الدرس الرابع: الأطباء أسباب، والله هو الشافي:
لا تترك العلاج، ولا تعتمد عليه. واسأل الله الشفاء، واذكر أن الموت إذا جاء لم يردّه طبيب.

الدرس الخامس: شدة الموت عظيمة، فاستعد لها:
لا تستهن بسكرات الموت. العمل الصالح هو الذي يهونها. فأكثر منه.

الدرس السادس: المساق إلى الله محتوم، فلا تظن أنك هارب:
مهما هربت، ومهما تأخرت، ستساق إلى الله. فبادر إلى الرضا بهذا المساق.

الدرس السابع: الموت ليس نهاية القصة:
بل هو بداية مرحلة المساق. فمن استعد للموت استعد للقيامة. ومن أعد للموت زاده، فاز بالجنة.

الدرس الثامن: تب قبل أن تبلغ روحك التراقي:
فإذا بلغت التراقي، لا ينفع ندم. فتب اليوم، قبل غد.

المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات الحياتية:

.1مهارة استحضار الموت : تذكر الموت يومياً يجعل حياتك منظومة بقيم الآخرة.
.2مهارة التوكل مع الأخذ بالأسباب : تداوٍ وتوكل، ولا تعلق قلبك بالعلاج.
.3مهارة التعامل مع الفراق : استعد للفراق بحسن العلاقات والتسامح والوصية.

المهارات المعرفية:

.1مهارة التفكير في النهايات : اربط كل بداية بنهاية، وكل عمل بعاقبته.
.2مهارة التمييز بين الأسباب والنتائج : الأسباب بيد الله، والنتائج بيده، فلا تخلط بينهما.

المهارات العملية:

.1كتابة الوصية : اجعل وصيتك جاهزة ومحدثة، ولا تؤجلها.
.2التوبة اليومية : تب كل يوم من ذنوبك، كأنك ستموت الليلة.
.3زيارة القبور : زر المقابر لتذكر الموت، وتزهد في الدنيا.

خامساً: مفاهيم وأبعاد وآفاق وقيم الآية

الأمر الأول: آفاق وأبعاد الآية

البعد الأول: البعد الوجودي:
تطرح الآية أسئلة وجودية: من أين جئنا؟ وإلى أين نصير؟ تجيب: جئنا من الله، وإليه المساق.

البعد الثاني: البعد الطبي النفسي:
تصف الآية سكرات الموت بدقة، وتصف عجز الطب أمام الأجل. هذا يضع الطب في حجمه الحقيقي.

البعد الثالث: البعد الاجتماعي:
تصف الآية مشهد العائلة والأصدقاء حول المحتضر. هذا يبني وعياً اجتماعياً بأهمية حضور المرضى وتذكيرهم بالله.

البعد الرابع: البعد الروحي:
تربط الآية بين الموت والمساق إلى الله، فتجعل الموت قربة إلى الله لمن استعد له.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفوس

القيمة الأولى: قيمة الاستعداد للموت:
التطبيق: جهز كفنك، واكتب وصيتك، وتب من ذنوبك.

القيمة الثانية: قيمة التوكل على الله:
التطبيق: تداوٍ، ولا تعلق قلبك بالعلاج، وادعُ الله الشفاء.

القيمة الثالثة: قيمة تذكر الآخرة:
التطبيق: اجعل لك وردًا يوميًا في قراءة آيات الموت والقيامة.

القيمة الرابعة: قيمة عدم الغرور بالقوة:
التطبيق: لا تتكبر بصحتك أو شبابك، فالموت يأتي الجميع.

القيمة الخامسة: قيمة حسن الظن بالله:
التطبيق: احسن ظنك بالله في حياتك ومماتك، فهو أرحم الراحمين.

الأمر الثالث: المفاهيم

المفهوم الأول: مفهوم "التراقي":
هي أقصى مرحلة من مراحل الموت، حيث تصل الروح إلى أعلى الصدر، وتكون عندها اللحظات الأ خيرة.

المفهوم الثاني: مفهوم "من راقٍ":
هو سؤال العجز واليأس: هل من منقذ من الموت؟ فلا يوجد.

المفهوم الثالث: مفهوم "الفراق":
هو مفارقة كل ما أحب في الدنيا: الأهل، المال، الحياة.

المفهوم الرابع: مفهوم "التفاف الساق بالساق":
هو كناية عن اشتداد الكرب وتلاصق الشدائد عند الموت.

المفهوم الخامس: مفهوم "المساق":
هو السوق والإحضار إلى الله، سواء عند الموت أو عند القيامة.

الأمر الرابع: كيف تحول هذه المفاهيم إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

بناء الإنسان:

· يبني إنسانًا يتذكر الموت فيقصر الأمل ويكثر العمل.
· يبني إنسانًا لا يغتر بالأسباب بل يتكل على الله.
· يبني إنسانًا يستعد للحساب قبل أن يحاسب.

بناء المجتمع:

· مجتمع يتفقد مرضاه ويذكرهم بالله.
· مجتمع لا يغتر بالطب ولا يهمله.
· مجتمع تعم فيه الوصية والاستعداد للموت.

بناء الحضارة:

· حضارة توازن بين الطب والتوكل.
· حضارة لا تنسى الآخرة في زحمة الدنيا.
· حضارة تربط الموت بالقرب من الله، لا بالخوف والفناء.

الأمر الخامس: أهمية الأسلوب القرآني في إعداد وإصلاح الإنسان

أهمية أسلوب التصوير بالتراقي:
يصور القرآن الموت بأدق مراحله، فيصل إلى القلب ويوقظ الغافل.

أهمية أسلوب السؤال "من راقٍ":
يبين عجز البشر، فيرد الإنسان إلى ربه.

أهمية أسلوب الكناية "التفاف الساق":
يخلق رهبة وتأثيراً أعمق من التصريح.

أهمية أسلوب الحوار الداخلي:
يجعل القارئ يتفاعل مع المشهد كأنه يحدث له.

أهمية أسلوب الإيجاز:
كل كلمة تحمل معاني عظيمة، تثبت في العقل وتؤثر في القلب.

رسالة ختامية

أخي الكريم،

هذه الآيات تضعك أمام مشهدك أنت. ليس مشهد غيرك. أنت الذي ستبلغ روحك التراقي. أنت الذي سيبحث أهلك عن راقٍ فلا يجدون. أنت الذي ستوقن بالفراق. أنت الذي ستلتف ساقك بساقك. وأنت الذي ستساق إلى ربك.

فماذا أعددت لهذا اليوم؟

هل أعددت توبة نصوحاً؟ هل أعددت عملا ً صالحاً؟ هل أعددت وصية؟ هل أعددت قلباً معلقاً بالله لا بالدنيا؟

لا تنتظر حتى تبلغ روحك التراقي، فحينها لا ينفع ندم. تب اليوم، وتبكِ على ذنوبك، وأصلح ما بينك وبين ربك، وتصدق، وتوضأ، وصلِّ، وصل رحمك، واعفُ عمّن ظلمك.

واعلم أن المساق إلى الله قادم، وهو خير لمن أعد له الزاد. فلتكن الدنيا في يدك لا في قلبك، وليكن شغلك الآخرة، واستعد للموت خير استعداد.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم لقائك. اللهم أحسن خاتمتنا، وارحمنا في سكرات الموت، واغفر لنا زلاتنا، وأدخلنا الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين.

المبحث الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

}فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى * أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى{

أولا ً: تفسير الآية

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية تربط الآية بما قبلها

بعد أن وصف الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة26) - (30أهوال سكرات الموت، ومشهد الاحتضار حين تبلغ الروح التراقي، ويتساءل الحاضرون "من راقٍ"، ويوقن المحتضر بالفراق، وتلتفت الشدائد عليه، ثم يساق إلى ربه – بعد هذا المشهد المرعب، ينتقل السياق إلى وصف حال الكافر الغافل في الدنيا، الذي أوصله إلى هذا المصير الأليم.

الآيات السابقة تحدثت عن "النتيجة") سكرات الموت والمساق إلى الله(، وهذه الآيات تتحدث عن "السبب" الذي أوصل إلى هذه النتيجة .فهي تصف سلوك الإنسان في الدنيا: لم يصدق، ولم يصل، بل كذب وتولى، ثم ذهب إلى أهله يتبختر .وهذا هو سبب عذابه وخذلانه.

والربط بين ما قبل وما بعد هو ربط بين "السبب" و"النتيجة" .من كان هذا حاله في الدنيا) تكذيب وإعراض وكبر(، كانت هذه نهايته في الآخرة) سكرات موت مؤلمة ومساق إلى عذاب الله.(

والمقصد العام: بيان أن ما ينتظر الكافر من عذاب ليس عبثاً، بل هو جزاء ما قدمت يداه في الدنيا

من تكذيب وإعراض واستكبار.

الأمر الثاني: تفسير الآيات

}فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى{:

· فلا: "فاء" تفصيل وتعليل، أي هو كذلك في الدنيا، لم يصدق ولم يصل .و"لا" نافية.
· صدق: أي لم يصدق بالله ولا برسوله ولا بالقرآن ولا باليوم الآخر .أي لم يؤمن إيماناً صادقاً يظهر أثره على جوارحه .والتصديق هو أساس الإيمان، وهو عمل القلب.
· ولا صلى: أي لم يؤد الصلاة المفروضة عليه .والصلاة هي أعظم الأعمال البدنية، وأول ما يحاسب عليها العبد يوم القيامة.

والمعنى: أن هذا الإنسان الكافر لم يؤمن بالله ورسله، ولم يقم بأداء الصلاة التي هي عمود الدين ورأس العبادة بعد الإيمان.

}وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى{:

· ولكن: حرف استدراك، يفيد الانتقال من نفي شيء إلى إثبات ضده.
· كذب: أي كذب بالحق، وبالرسول، وبالقرآن، وباليوم الآخر .وهذه أعلى درجات الكفر، فهي تكذيب صريح.
· وتولى: أي أعرض عن الحق، وولى دبره، ولم يستمع للنصح والإرشاد، وترك سبيل المؤمنين.

والمعنى: أنه بدلا ً من أن يصدق ويصلي، فعل العكس: كذب بالحق، وأعرض عنه واستكبر.

}ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى{:

· ثم: للترتيب والتراخي، أي بعد أن كذب وتولى، ذهب إلى أهله.
· ذهب إلى أهله: أي رجع إلى منزله وأهله وذويه.
· يتمطى: أي يتبختر في مشيته، ويتمايل من الكبر والعجب، ويمد يديه ورجليه تكبراً وتيهاً .والمطي: التبختر والتمايل، وهو مشية المتكبرين.

والمعنى: أنه بعد أن كذب بالحق وأعرض عنه، عاد إلى أهله متبخترا متكبراً، فرحاً بما فعل، غير آسف على تفريطه.

}أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى{:

· أولى: معناها: قاربك ما تكره، أو دنا منك العذاب والهلاك .وقيل هي كلمة تهديد ووعيد .وهو من "الويل" بمعنى الهلاك والحزن والعذاب .و"أولى" فعل ماض بمعنى "دنا وأقترب" .وقيل: معناها "ليت لك"، أي أن العذاب أولى بك وأحق.
· لك: أيها الإنسان الكافر.
· فأولى: تأكيد وتكرار للتهديد.

والمعنى: قاربك ما تستحقه من العذاب والهلاك، ثم هو أولى بك وأحق، أي أن العذاب قد دنا منك، وهو أحق بك وأجدر.

}ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى{:

· ثم: للترتيب والتراخي، أي بعد ذلك تأكيد ثان.
· أولى لك فأولى: تكرار الجملة السابقة للتأكيد والتهديد الشديد.

والمعنى: ثم إن العذاب الذي دنا منك هو أولى بك وأحق، ثم يتكرر التأكيد لزيادة التهديد والوعيد.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآيات

.1بيان أسباب عذاب الكافر في الآخرة: ترك التصديق) الإيمان(، وترك الصلاة، والتكذيب، والإعراض.
.2الربط بين سلوك الدنيا وعاقبة الآخرة، فمن كذب وتولى في الدنيا كان عذابه أولى به في الآخرة.

.3وصف صورة الكافر المتكبر الذي يذهب إلى أهله بعد مجالس التكذيب وهو يتمطى) يتبختر (كبراً.
.4تكرار التهديد "أولى لك فأولى" تأكيداً لشدة العذاب وحتمية وقوعه.
.5إظهار أن الكفر ليس مجرد نقص في العلم، بل هو تكذيب وإعراض وكبر.
.6بيان أن ترك الصلاة من علامات الكفر والتكذيب، وأنها ليست عبادة ثانوية.
.7التنفير من صفة الكبر والتيه، فهي من أخلاق الكافرين.
.8إقامة الحجة على الكافر، بأن الله قد أنذره وكرر عليه التهديد، فلا عذر له يوم القيامة.

الأمر الرابع: مغزى الآية وأسباب النزول

أسباب النزول:
نزلت هذه الآيات في كافر من كفار قريش، قيل إنه "أبو جهل" أو "الوليد بن المغيرة" أو "العاص بن وائل" .كان هؤلاء يجلسون إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيسمعون القرآن، ثم ينصرفون إلى أهليهم وهم في غاية الكبر والتيه، يتبخترون ويتمايلون، ولا يصدقون ولا يصلون.

وقال ابن عباس: نزلت في أبي جهل .كان إذا سمع القرآن كذّب وتولى، ثم انطلق إلى أهله يتبختر . وقال قتادة: نزلت في كل كافر يفعل ذلك، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

المغزى العام للآيات:
المغزى الأول: أن الإيمان ليس مجرد تصديق نظري، بل هو عمل يظهر على الجوارح، وأولها الصلاة . فمن ترك الصلاة، مع تكذيبه بالحق، فهو نموذج الكافر الكامل.

المغزى الثاني: أن الكبر والتيه من أخلاق الكافرين، والمؤمن يتصف بالتواضع والخشوع .فمن رأى نفسه يمشي متبختراً، فليتذكر هذه الآية.

المغزى الثالث: أن العذاب ليس ظلماً، بل هو عدل إلهي، جزاء لمن كذب وتولى .فالآيات تبيّن السبب قبل النتيجة.

المغزى الرابع: أن التهديد الإلهي) "أولى لك" (ليس تهديداً عابراً، بل هو متكرر ومؤكد، ليعلم الكافر أن مصيره محتوم إذا لم يتب.

الأمر الخامس: أهداف وغايات ومقاصد الآيات

.1هدف بيان أسباب الشقاء : الكفر والتكذيب والإعراض عن الصلاة.
.2هدف ربط الدنيا بالآخرة : ليعلم الإنسان أن ما يفعله اليوم هو ما يحصده غداً.
.3هدف التحذير من الكبر والتيه : فهما صفتان ذميمتان تدلان على الكفر والإعراض.
.4هدف إظهار فضل الصلاة : جعلها قرين التصديق، وكأن الإيمان بلا صلاة ناقص لا قيمة له.
.5هدف التأكيد على عدل الله : فالجزاء من جنس العمل، ومن كذب وتولى في الدنيا، ناله العذاب في الآخرة.
.6هدف تخويف الكافر وترغيبه في التوبة : بتكرار التهديد لعله يرعوي.
.7هدف تربية المؤمن على التصديق والصلاة : فهما طريق النجاة، وضد طريق الهلاك.

ثانياً: تحليل الآية
المحور الأول:} فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى{

الأمر الأول: لماذا جمع الله بين التصديق والصلاة في هذه الآية؟

جمع الله بين التصديق) الإيمان القلبي (والصلاة) العمل الجسدي (لبيان أن الإيمان الحقيقي لا ينفصل عن العمل .فمن يدّعي الإيمان بلسانه ولا يصلي، فهو كمن لم يصدق حقيقة .والصلاة هي أول عمل يُسأل عنه العبد، وهي عمود الدين، وتركها من علامات الكفر أو النفاق.

السبب الأول: الصلاة أعظم الأعمال بعد الإيمان:
الصلاة هي الركن العملي الثاني بعد الشهادتين، وهي التي فرضها الله في السماء، وهي علامة الإسلام الظاهرة .فمن تركها فقد ترك أعظم شعائر الدين.

السبب الثاني: أن الصلاة تصدق الإيمان:
الإيمان يحتاج إلى إثبات عملي .والصلاة هي الدليل العملي على صدق الإيمان .فمن آمن لكنه لا يصلي، فإيمانه غير صادق.

السبب الثالث: أن الكفار كانوا يتركون الصلاة:
كفار قريش لم يكونوا يصلون، وكانوا يستهزئون بالصلاة .فنعتهم الله بهذه الصفة: لم يصدقوا ولم يصلوا.

السبب الرابع: التوكيد على أهمية الصلاة:
جعلها في مرتبة التصديق، ليعلم المؤمن أنها لا تقل أهمية عن الإيمان نفسه عملياً.

الرسالة النفسية:
تخلق هذه الآية في نفس المؤمن شعوراً بالمسؤولية تجاه الصلاة .فإذا كان ترك الصلاة قرين التكذيب، فما بال المؤمن الذي يصلي أحياناً ويترك أحياناً؟ يستشعر خطر التفريط في الصلاة .كما تخلق في نفس الكافر الذي يصلي) لأسباب دنيوية (شعوراً بالتناقض: كيف تصلي وأنت مكذب؟ فيراجع نفسه.

الرسالة التربوية:
نربّي أنفسنا وأبناءنا على أن الصلاة ليست مجرد عادة، بل هي ميزان الإيمان .من حافظ عليها دلّ على إيمانه، ومن تركها دلّ على ضعف إيمانه أو زواله .فالتربية على الصلاة هي تربية على الإيمان نفسه.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن الصلاة ليست طقوساً جوفاء، بل هي فعل يترجم الإيمان إلى واقع .والعقل السليم يربط بين المعتقد والسلوك .فمن آمن بالله، لزم أن يعبده، وأعظم عبادته الصلاة .فترك الصلاة دليل عقلي على ضعف الإيمان أو انعدامه.

الرسالة العملية:
حافظ على صلواتك الخمس، فهي الفارق بين الإيمان والكفر .ولا تؤخرها عن وقتها .اجعل للصلاة أولوية في يومك، فهي أول ما يسأل عنه العبد .قبل أن تخطط لأعمالك، خطط لصلواتك.

مثال تقريبي:
تخيل رجلاً يقول إنه يحب زوجته حباً شديداً، لكنه لا يجلس معها، ولا يكلمها، ولا ينفق عليها، ولا يهتم بها .هل تصدق حبه؟ كلا .فالحب الحقيقي له مظاهر عملية .كذلك الإيمان: من آمن بالله حقاً، لابد أن يصلي .الصلاة هي مظهر الحب والطاعة.

المحور الثاني:} وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى{

الأمر الأول: الفرق بين "صدق" و"كذب" وبين "صلى" و"تولى"

الآية جمعت أربعة أفعال: الفعلين المتروكين) صدق – صلى(، والفعلين اللذين أتاهما بدلاً عنهما)كذب – تولى .(هذه المفارقة تبين انحراف الإنسان:

صدق مقابل كذب:

- "صدق" تتعلق بالقلب واللسان: تصديق الحق والإيمان به.
- "كذب" ضد الصدق، وهو نقيض الإيمان، وهو نطق القلب واللسان بالباطل ورفض الحق.

صلى مقابل تولى:

- "صلى" تتعلق بالجوارح وبالقلب معاً، وهي خضوع وتوجه إلى الله.
- "تولى" أي أعرض واستكبر، وهو نقيض الخضوع، وهو إعراض عن الله ورسوله وعن الطاعة.

الرسالة النفسية:
تخلق هذه المفارقة صورة عن الإنسان الذي اختار الضد بدلاً عن الأصل .هذا يثير في النفس تساؤ

لا ً: لماذا يختار الإنسان الكذب على الصدق، والإعراض على الصلاة؟ الجواب: حب الدنيا والكبر .هذه المفارقة تكشف حقيقة النفس البشرية حين تغلبها الشهوات.

الرسالة التربوية:
في التربية، يجب أن نعلم أن ترك الخير لا يعني حياداً، بل يعني غالباً الإتيان بالشر بدلا ً عنه .من لم يصدق، كذب .ومن لم يصل، أعرض .فالفراغ الروحي يملأ بالانحراف .لذلك، نربّي أبناءنا على ملء أوقاتهم بالخير، lest يملؤها الشر.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن الإنسان لا يمكن أن يبقى في حالة فراغ عقائدي .إما أن يصدق وإما أن يكذب .إما أن يصلي وإما أن يعرض .فلا مناص من اختيار .فعلى العاقل أن يختار الصدق والصلاة.

الرسالة العملية:
راجع نفسك: هل أنت من المصدقين المصلين، أم من المكذبين المعرضين؟ أي الفريقين أقرب إليك في سلوكك؟ هذا السؤال يغير مسار حياتك.

مثال تقريبي:
تخيل شاباً في مفترق طرق .طريق إلى اليمين يؤدي إلى النجاح، وطريق إلى اليسار يؤدي إلى الفشل .لم ياختر الطريق الأيمن) لم يصدق(، بل اختار الطريق الأيسر) كذب .(ثم لم يقف في الطريق)لم يصل(، بل مشى مسرعاً) تولى .(ثم زاد سرعته) ذهب إلى أهله يتمطى .(هذا مثل الكافر: ترك الخير، وفعل الشر، وأصر عليه، وتكبر.

المحور الثالث:} ثمّ ذهَبَ إلى أهْلِهِ يَتَمَطّى{

الأمر الأول: دلالة "يتمطى" على الكبر والغرور

يتمطى فعل مشتق من "المطي" وهو التبختر والتمايل والكبر في المشية .وهو مشية المتكبرين الذين يشعرون أنهم فوق الناس .دلالات هذه الكلمة:

الدلالة الأولى: الكبر والعجب:
الكافر لا يكتفي بالتكذيب والإعراض، بل يزيد عليه الكبر والتيه .يتبختر في مشيته كأنه سيد الناس، وهو عبد للشيطان.

الدلالة الثانية: الفرح بما فعل:
يذهب إلى أهله وهو مسرور بتكذيبه وإعراضه، يريد أن يخبرهم بخبره، ويضحك معهم على المؤمنين.

الدلالة الثالثة: الإصرار على الضلال:
لم يكتف بأن كذب في مجلس الرسول، بل ذهب إلى بيته ليواصل كبره وتيهه ويغرّر بأهله أيضاً.

الدلالة الرابعة: نسيان الموت:
في غفلته وكبره، نسي أن الموت قادم، وأنه سيُساق إلى ربه، فجاء جزاؤه "أولى لك فأولى".

الرسالة النفسية:
تخلق هذه الآية في نفس المؤمن كرهاً لصفة الكبر، ورغبة في التواضع .فالكبر يذكرنا بالكافرين، و المؤمن يتواضع لله وللناس .كما تخلق خوفاً من عاقبة الكبر، فهي أول معصية عصي الله بها)إبليس.(

الرسالة التربوية:
نربّي أنفسنا وأبناءنا على التواضع في المشي والجلوس والكلام .نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التبختر، وقال: "بينما رجل يمشي في حلة، تعجبه نفسه، مرجلا ً رأسه، يتبختر في مشيته، إذ خسف الله به الأرض" .فالتربية على التواضع تبدأ من المشية.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن الكبر صفة لا تليق بالإنسان .فالإنسان أصله من تراب، ونهايته جيفة، وهو بين ذلك

يحمل النجاسة .فكيف يتكبر؟ العاقل يتواضع، فيرفعه الله.

الرسالة العملية:
لا تمشِ متبختراً مائلا ً، واغضض من صوتك، ولا تعجب بنفسك .تذكر أن كل متكبر يُصرع .تواضع لله، يرفعك الله.

مثال تقريبي:
تخيل طاووساً ينشر ريشه ويتبختر ويتمايل، معجباً بجماله، ناظراً إلى رجليه ولا يرى قبحها .ثم يأتي الصياد ويصطاده .هذا مثل المتكبر: يمشي مزهواً، ثم يقع في الفخ .كذلك الكافر يمشي مزهواً، ثم يقع في عذاب الله.

الأمر الثاني: العلاقة بين الكبر والتكذيب والإعراض

العلاقة وثيقة ومتكاملة:

· التكذيب ينبع من الكبر: لأنه لا يريد أن يخضع للحق.
· الإعراض نتيجة الكبر: لأنه يظن نفسه غنياً عن الهداية.
· التبختر مظهر الكبر: لأنه يظهر عظمته الوهمية.

النتيجة: الكبر هو أصل الشرور .إبليس كبر فلم يسجد، وفرعون كبر فادعى الربوبية، وقارون كبر فخسف الله به .والكافر كبر فكذب وتولى وتمطى.

الرسالة النفسية:
الكبر مرض نفسي خطير، يمنع الإنسان من رؤية عيوبه، ويجعله يرفض النقد والنصح .من علامات الكبر: الغضب إذا نُصح، والفرح إذا مُدح، والتبختر في المشية .العلاج: تذكر الموت، والنظر إلى من هو أفضل منك في الدين، ومن هو أسوأ منك في الدنيا.

الرسالة التربوية:
نربّي الأطفال على التواضع منذ الصغر .نعلمهم ألا يتبختروا في مشيتهم، وألا يشعروا بأنهم أفضل من غيرهم .ونضرب لهم أمثلة المتواضعين من الأنبياء والصالحين.

الرسالة العقلية:
العاقل يعلم أن الكبر لا يزيده إلا هواناً عند الناس، وخسارة عند الله .التواضع هو الذي يجلب المحبة والاحترام.

الرسالة العملية:
إذا شعرت بشيء من الكبر، تذكر خلقك الأول) نطفة (وخلقك الأخير) جيفة .(تذكر أنك عبد لا تملك لنفسك نفعاً ولا ضراً.

مثال تقريبي:
تخيل قارون وقد خرج على قومه في زينته، يتمطى ويكبر .ثم فجأة، خسف الله به الأرض، فصار تحت الأرض وهو يتمطى كان .هذا هو مصير المتكبرين.

المحور الرابع:} أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى{

الأمر الأول: معنى "أولى" وأصلها اللغوي

أولى فعل ماضٍ من "الويل" أو "الولي"، ومعناه: دنا وقرب واستحق .و"أولى لك" دعاء عليه بالويل و الهلاك، وتهديد بادنو العذاب منه .وقيل: هي بمعنى "قاربه ما يكره" أو "أحق بك العذاب".

الرسالة النفسية:
هذا التهديد المتكرر يخلق في نفس القارئ رهبة من عذاب الله .والمؤمن يخاف أن يكون من أهل هذا الوعيد، فيعمل للنجاة .والكافر إذا سمعها) إن كان في الدنيا وقد بقي له أمل (قد يرتدع .وإلا فهي حجة عليه.

الرسالة التربوية:
في التربية، التهديد بالعقاب قد يكون وسيلة للردع، لكن ينبغي أن يكون معه بيان السبب، وأن يكون التهديد عادلا ً .في هذه الآية، التهديد جاء بعد بيان السبب) التكذيب والإعراض والكبر(، فهو تهديد مبرر.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن الله لا يهدد عباده عبثاً .التهديد هنا حكيم، لأنه جاء بعد أن بين لهم الطريق الصحيح)التصديق والصلاة (والطريق الخاطئ) التكذيب والإعراض.(

الرسالة العملية:
لا تستخف بوعيد الله .إذا قرأت "أولى لك فأولى"، فاعلم أن الله جاد في وعيده .فاستعد لتجنب هذا الوعيد.

الأمر الثاني: لماذا تكرر التهديد "أولى لك فأولى" مرتين؟

التكرار في القرآن له حكم بالغة:

الحكمة الأولى: التأكيد والمبالغة:
ليعلم الكافر أن العذاب محقق لا محالة، وأن التهديد ليس كلاماً عابراً.

الحكمة الثانية: الرد على استكبار الكافر:
الذي ظن أنه كبير عظيم، يقال له: "أولى لك" مرة، ثم "أولى لك" مرة أخرى، ليزداد وعيداً.

الحكمة الثالثة: التنبيه على شدة العذاب:
كل تكرار يدل على درجة أشد من العذاب .فالأولى: عذاب الدنيا والموت، والثانية: عذاب القبر، و الثالثة: عذاب الآخرة .وقيل: هو تأكيد بعد تأكيد.

الحكمة الرابعة: الإشارة إلى أن العذاب متدرج:
قريب منه، ثم أقرب، ثم أشد.

الرسالة النفسية:
التكرار يخلق في النفس حالة من الترقب والرهبة .فبدلا ً من أن يمر التهديد مرور الكرام، يتكرر فيتغلغل في الوجدان، فيصبح دافعاً دائمياً للتوبة والعمل الصالح.

الرسالة التربوية:
في التربية، التكرار مفيد لتثبيت المعنى .حين تكرر تحذيراً لابنك، يثبت في ذهنه ويصبح رادعاً . وكذلك الله كرر التهديد ليثبت في قلوب العباد.

الرسالة العقلية:
العاقل يعرف أن التكرار في كلام العظيم ليس عبثاً، بل له حكمة .فيقف ويتدبر، ويسأل: لماذا تكرر؟ فيزداد إيمانه ويقينه.

الرسالة العملية:
اجعل هذا التهديد نصب عينيك .كلما هممت بمعصية، تذكر "أولى لك فأولى" .تذكر أن العذاب قريب، وأقرب منه الموت .فتب وأقلع.

مثال تقريبي:
تخيل أباً يهدد ابنه: "لا تقترب من النار، وإلا احترقت ...لا تقترب من النار، وإلا احترقت" .التكرار ليس عبثاً، بل هو شدة خوف الأب على ابنه .كذلك الله يكرر التهديد شفقاً على عباده، لعلهم يرتدعون.

الأمر الثالث: الفرق بين الآيات31 - 35والآيات التي قبلها

الآيات السابقة26) - (30وصفت مشهد الموت .وهذه الآيات31) - (35وصفت سلوك الكافر في الدنيا الذي أوصله إلى ذلك المشهد .إذاً:

· الآيات السابقة: النتيجة) مشاهد الموت والعذاب.(
· هذه الآيات: السبب) التكذيب والإعراض والكبر.(
· الربط: من كان هذا سلوكه، كان هذا مصيره.

الرسالة النفسية:
هذا الربط بين السبب والنتيجة يريح نفس المؤمن، لأنه يرى عدالة الله .ليس عذاب الكافر ظلماً، بل هو جزاء عمله .وفي نفس الوقت، يخاف المؤمن على نفسه، فيحرص على ألا يقع في هذه الأسباب.

الرسالة التربوية:
نربّي أنفسنا على أن نتوقع نتائج أفعالنا .كل فعل له رد فعل، وكل عمل له جزاء .من زرع خيراً حصد خيراً، ومن زرع شراً حصد شراً.

الرسالة العقلية:
العقل يدرك العدالة الإلهية من خلال هذا الربط .فالله لا يعذب أحداً بغير ذنب، بل يعذبه بسبب تكذيبه وإعراضه.

الرسالة العملية:
اسأل نفسك: هل أنا على طريق المكذبين المعرضين؟ إذا كان الجواب نعم، ففير مسارك فوراً .وإذا كان لا، فاستمر وازدد.

ثالثاً: دلالات الآية والجوانب البلاغية والخواطر والتأملات

الأمر الأول: دلالات الآية كمحفز لتحويل النص إلى سلوك

هذه الآيات تحفز الإنسان على:

.1التصديق بالله ورسوله : الإيمان القلبي أول خطوة.
.2المحافظة على الصلاة : فهي أعظم عمل بعد الإيمان.
.3ترك التكذيب والإعراض : فهما طريق الهلاك.
.4ترك الكبر والتبختر : فالتواضع من أخلاق المؤمنين.
.5استشعار الخوف من وعيد الله : فالتكرار فيه زاجر.

الأمر الثاني: خواطر الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: مع "فلا صدق ولا صلى":
يا رب، أنا أصدق وأصلي، لكن هل هو تصديق كامل وصلاة خاشعة؟ أم أن تصديقي ناقص وصلاتي غافلة؟ هذا يدفعني لتطوير إيماني وصلاتي.

الخاطرة الثانية: مع "ولكن كذب وتولى":
أتأمل المكذبين المعرضين، فأخاف أن أكون مثلهم في شيء .أخاف من لحظة غفلة أعرض فيها عن الحق .اللهم ثبتني.

الخاطرة الثالثة: مع "ثم ذهب إلى أهله يتمطى":
أتخيل صورة الكافر المتبختر، فيقشعر بدني .ثم أتساءل: هل في مشيتي شيء من التبختر؟ هل أنا متكبر في جلوسي أو كلامي؟ فأصلح من نفسي.

الخاطرة الرابعة: مع "أولى لك فأولى":
كأن الله يوجه لي هذا التهديد .أخاف، فألتجئ إلى الله: اللهم لا تجعلني من أهل "أولى لك" .اللهم تب علي وارحمني.

الخاطرة الخامسة: تأمل الدرس الجامع:
الإيمان والصلاة = نجاة .الكفر والإعراض = هلاك .الاختيار بيدي .فماذا أختار اليوم؟

الأمر الثالث: التصوير البياني في الآيات

أولا ً: تصوير عدم التصديق وعدم الصلاة:
صورة إنسان فارغ من الخير، لا إيمان في قلبه، ولا صلاة في جوارحه .كبيت خال من الأثاث.

ثانياً: تصوير التكذيب والتولي:
صورة إنسان يدير ظهره للحق، ويكذب به بلسانه وقلبه .صورة العداء المعلن.

ثالثاً: تصوير الذهاب إلى الأهل يتمطى:
صورة إنسان يمشي مزهواً متبختراً، كأنه فاتح، وهو لا شيء .صورة الكبر المضحك المبكي.

رابعاً: تصوير التهديد المتكرر:
كصوت الرعد يتردد، كل مرة أشد .صورة الوعيد المهيب.

الأمر الرابع: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغير نظرتنا إلى الصلاة : من عادة يومية إلى فاصل بين الإيمان والكفر.
.2تغير نظرتنا إلى الكبر : من صفة عادية إلى صفة الكافرين.
.3تغير نظرتنا إلى التكذيب : من مجرد رأي فكري إلى سبب للهلاك.
.4تغير نظرتنا إلى وعيد الله : من كلام نظري إلى تهديد جدير بالتوقف عنده.

الأمر الخامس: تأملات ووقفات تدبرية

الوقفة الأولى: مع "فلا صدق ولا صلى":
قف مع صلاتك .هل تؤديها بخشوع؟ هل تشعر أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر؟ إذا كانت صلاتك لا تغير فيك شيئاً، فانتبه.

الوقفة الثانية: مع "ولكن كذب وتولى":
قف مع نفسك: هل هناك حق تعرفه لكنك تعرض عنه؟ هل تسمع كلمة الحق فتشيح بوجهك؟ تب من هذا.

الوقفة الثالثة: مع "ذهب إلى أهله يتمطى":
قف مع مشيتك .هل تمشي بتواضع أم بتكبر؟ هل تتبختر وتختال في مشيتك؟ النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التبختر.

الوقفة الرابعة: مع "أولى لك فأولى":
قف مع وعيد الله .لا تمر عليه مروراً عابراً .تذكره كلما هممت بمعصية .دعه يكون رادعاً لك.

الوقفة الخامسة: التأمل في المقارنة:
قارن بين الكافر والمؤمن .الكافر: كذب، تولى، تمطى، فوعيد .المؤمن: صدق، صلى، تواضع، فجنة .أي الطريقين تختار؟

رابعاً: أهم الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الأول: مفهوم النجاح الحقيقي في ضوء هذه الآيات

النجاح الحقيقي هو الجمع بين التصديق والصلاة .من نجح في أن يصدق بقلبه ويصلي بجوارحه، فقد فاز بالدنيا والآخرة .ومن أخفق في أحدهما، فقد أخفق في النجاح الحقيقي .النجاح ليس مالا ً ولا جاهاً، بل هو: قلب مصدق، وجسد مصل، ونفس متواضعة، ولسان ذاكر.

الأمر الثاني: كيفية الموازنة بين متطلبات الدنيا والآخرة في ضوء هذه الآيات

الموازنة هنا تعني: ألا تشغلك الدنيا عن التصديق والصلاة .قد تجمع مالا ً وتشتري بيتاً وتربية أبناء، لكن لا يصرفك هذا عن إيمانك وصلاتك .ومن ترك الصلاة بحجة الانشغال بالدنيا، فقد اختار طريق الكافرين .قال تعالى:} فلا صدق ولا صلى .{فليكن شعارك: الدنيا في يدي، والآخرة في قلبي .أعمل

لدنياي، ولا أترك صلاتي.

الأمر الثالث: الدروس من الآية في حياتنا العملية
الدرس الأول: الإيمان والصلاة ثنائي النجاة:
لا يكفي أحدهما .إيمان بلا صلاة كجسد بلا روح، وصلاة بلا إيمان كبناء بلا أساس.

الدرس الثاني: التكذيب والإعراض ثنائي الهلاك:
من كذب بالحق وأعرض عنه، فقد أعد نفسه للنار.

الدرس الثالث: الكبر أول معصية:
إبليس كبر فطرد .والكافر كبر فخسر .تواضع ترفع.

الدرس الرابع: التبختر من صفات الكافرين:
لا تمش في الأرض مرحاً، إنك لن تخرق الأرض، ولن تبلغ الجبال طولا ً.

الدرس الخامس: وعيد الله متكرر لسبب:
ليعلم الكافر أنه لا مفر له، وليعلم المؤمن أن الله جاد في وعيده.

الدرس السادس: الدنيا دار اختبار:
سلوك الإنسان فيها يحدد مصيره في الآخرة .فاختر الطريق الصحيح.

الدرس السابع: لا تكن كمن يسمع الحق ثم يعرض:
المؤمن إذا سمع الحق تبعه، والكافر إذا سمعه أعرض عنه واستكبر.

الدرس الثامن: التوبة باب مفتوح:
هذه الآيات وإن نزلت في الكفار، فهي تحذير لكل مسلم مقصر .فبادر بالتوبة.

المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات الحياتية:

.1مهارة التمييز بين الصدق والكذب : في الإيمان وفي الحياة عامة.
.2مهارة التواضع : ترك الكبر والتبختر في المشية والكلام.
.3مهارة الاستجابة للحق : إذا سمعت الحق لا تعرض عنه، بل اتبعه.

المهارات المعرفية:

.1مهارة ربط الأسباب بالمسببات : لماذا نزل العذاب؟ لأنهم كذبوا وتولوا.
.2مهارة الربط بين السلوك والعقيدة : السلوك) الصلاة (يعكس العقيدة) التصديق.(

المهارات العملية:

.1المحافظة على الصلاة : وضع منبهات للصلاة، وعدم تأخيرها.
.2مراجعة النية : قبل الصلاة، استحضر أنها عبادة، لا عادة.
.3تدريب النفس على التواضع : المشي بهدوء، وخفض الصوت، وعدم التعجب بالنفس.

خامساً: مفاهيم وأبعاد وآفاق وقيم الآية

الأمر الأول: آفاق وأبعاد الآية

البعد الأول: البعد العقدي:
تبين الآية أن الإيمان ليس مجرد تصديق قلبي، بل لابد من عمل يظهره، وأولها الصلاة.

البعد الثاني: البعد النفسي:
تحلل الآية نفسية الكافر: التكذيب، الإعراض، الكبر، والتبختر.

البعد الثالث: البعد الاجتماعي:
تصور الآية كيف يؤثر الكافر على أهله: يذهب إليهم وهو يتمطى، لينقل إليهم كبره وغروره.

البعد الرابع: البعد التربوي:
تضع الآية نموذجاً تربوياً في النهي عن الكبر، والحث على التواضع، والدعوة إلى الصلاة.

البعد الخامس: البعد الأخلاقي:
تؤسس الآية لأخلاق المؤمن: التصديق، الصلاة، التواضع، وترك التكذيب والإعراض والكبر.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفوس

القيمة الأولى: قيمة الصدق في الإيمان:
التطبيق: لا تكن مؤمناً بالاسم فقط، بل اجعل إيمانك يظهر على جوارحك.

القيمة الثانية: قيمة الصلاة:
التطبيق: حافظ على صلواتك بخشوع، فهي علامة إيمانك.

القيمة الثالثة: قيمة التواضع:
التطبيق: لا تتبختر في مشيتك، ولا تتكبر على الناس، فـالله لا يحب كل مختال فخور.

القيمة الرابعة: قيمة الاستجابة للحق:
التطبيق: إذا سمعت الحق، فاتبعه، ولا تول عنه.

القيمة الخامسة: قيمة الخوف من وعيد الله:
التطبيق: اجعل وعيد الله رادعاً لك عن المعاصي.

الأمر الثالث: المفاهيم

المفهوم الأول: مفهوم "التصديق":
هو إيمان القلب واللسان بـالله ورسوله وما جاء به، وهو أصل الإيمان.

المفهوم الثاني: مفهوم "الصلاة":
هي أعظم العبادات البدنية، وهي عمود الدين، وصلة العبد بربه.

المفهوم الثالث: مفهوم "التكذيب":
هو نقيض التصديق، وهو رفض الحق مع العلم به أو بدونه.

المفهوم الرابع: مفهوم "التولي":
هو الإعراض عن الحق، والاستكبار عن قبوله، وهو من صفات الكافرين.

المفهوم الخامس: مفهوم "التمطي":
هو التبختر والتمايل في المشية، وهو مظهر الكبر والعجب.

المفهوم السادس: مفهوم "أولى":
هو قرب العذاب واستحقاقه، وهو وعيد شديد.

الأمر الرابع: كيف تحول هذه المفاهيم إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية

بناء الإنسان:

· يبني إنساناً مصدقاً بـالله، مصلياً لربه، متواضعاً لخلقه.
· يبني إنساناً لا يكذب ولا يعرض عن الحق.

بناء المجتمع:

· مجتمع يتصف أفراده بالصدق والإيمان والتواضع.

· مجتمع يقيم الصلاة في بيوته ومساجده.
· مجتمع تختفي فيه صفات التكذيب والإعراض والكبر.

بناء الحضارة الإسلامية:

· الحضارة التي تقوم على التصديق بالله والصلاة والتواضع هي حضارة راقية أخلاقياً.
· الأمة التي تتصف بهذه الصفات تكون قوية مهابَة، لأن الله معها.

الأمر الخامس: أهمية الأسلوب القرآني في إعداد وإصلاح الإنسان

أهمية أسلوب الجمع بين الإيمان والعمل:
يبين أن الدين متكامل، لا يكفي أحدهما دون الآخر.

أهمية أسلوب المقابلة بين الخير والشر:
"صدق – كذب"، "صلى – تولى" .هذه المقابلة توضح الطريقين بوضوح.

أهمية أسلوب التكرار في التهديد:
يخلق الرهبة اللازمة لردع الإنسان عن المعصية.

أهمية أسلوب التصوير بالسلوك اليومي:
"ذهب إلى أهله يتمطى" صورة حياتية قريبة، تصل إلى القلب بسرعة.

أهمية أسلوب الإيجاز:
آيات قليلة تحمل معاني عظيمة، تدل على بلاغة القرآن وإعجازه.

رسالة ختامية

أخي الكريم،

هذه الآيات تقدم لك معادلة واضحة:
التصديق + الصلاة = النجاة
التكذيب + الإعراض = الهلاك

والمؤمن لا يكتفي بالتصديق النظري، بل يتبعه بالصلاة العملية .والكافر لا يكتفي بالتكذيب، بل يزيد عليه الإعراض والكبر والتبختر.

فأي الطريقين تختار؟

تذكر: الله لم يتركك حائراً .بيّن لك الطريقين بوضوح .فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر .لكن اعلم أن عاقبة الكفر والتكذيب هي قوله تعالى:} أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى * ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى.{

لا تجعل نفسك موضع هذا الوعيد .بادر إلى التصديق بالله ورسوله، وحافظ على صلاتك بخشوع، وتواضع لله وللناس، ولا تكن من المتبخترين.
اخيرا
بسم الله الرحمن الرحيم

}أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى * أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى{

أولا ً: تفسير الآية

الأمر الأول: مقدمة تمهيدية تربط الآية بما قبلها

بعد أن وصف الله سبحانه وتعالى في الآيات السابقة31) - (35حال الكافر في الدنيا: لم يصدق، ولم يصل، بل كذب وتولى، ثم ذهب إلى أهله يتمطى، وتوعده بقوله "أولى لك فأولى" – بعد هذا البيان الموجع، يختم الله السورة بآيات ترد على منكر البعث من أصله، وتثبت قدرة الله على الخلق والإعادة.

الآيات السابقة تحدثت عن "سلوك الكافر") التكذيب والإعراض والكبر(، وعن "وعيده") أولى لك .(وهذه الآيات تتحدث عن "حقيقة قدرة الله" التي غفل عنها هذا الكافر .فهو يستبعد البعث، والله يذكره ببدء خلقه: ألم يكن نطفة؟ ثم علقة؟ ثم خلق فسوى؟ ثم جعل منه الزوجين؟ فمن قدر على هذا الخلق البديع، أفلا يقدر على إحياء الموتى؟

والربط بين ما قبل وما بعد هو ربط بين "موقف الكافر من البعث" و"دليل قدرة الله على البعث" . الكافر تكبر واستبعد، والله يرد عليه بأبسط دليل عقلي: انظر إلى خلقك الأول، تجد القدرة، فكيف تنكر الخلق الثاني؟!

والمقصد العام: ختم السورة بتثبيت الإيمان بالبعث، وتقرير قدرة الله المطلقة التي تتجلى في خلق الإنسان من نطفة ثم علقة ثم تسوية، وإقامة الحجة على منكري البعث بأن من قدر على هذه الأطوار كلها فهو قادر على إحياء الموتى.

الأمر الثاني: تفسير الآيات

}أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى{:

· أيحسب: أي أيظن ويتوهم .والاستفهام للإنكار والتوبيخ، أي كيف يظن الإنسان هذا الظن الباطل؟
· الإنسان: الجنس، والمراد به الكافر المنكر للبعث الذي تقدم ذكره، وهو الذي كذب وتولى.
· أن يترك سدى: السدى في اللغة: المهمل الذي لا يؤمر ولا ينهى، والذي لا يحاسب على عمله .وقيل: السدى: الباطل والعبث .والمعنى: أيظن الإنسان أن الله خلقه عبثاً، وأنه سيبقى مهملاً لا يؤمر ولا ينهى، ولا يبعث ولا يحاسب؟! أيظن أن له غاية من الدنيا هي الأكل والشرب والزواج والنوم، ثم يموت وينتهي كل شيء؟!

والمعنى: كيف يتوهم الإنسان الكافر أنه خلق عبثاً، وأنه لن يُبعث ولن يحاسب؟! هذا ظن فاسد.

}أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى{:

· ألم يك: أي ألم يكن هذا الإنسان المنكر للبعث في أول أمره.
· نطفة: هي المني القليل .والنطفة مبدأ خلق الإنسان، وهي حقير ضعيف لا قيمة له.
· من مني يمنى: أي من ماء يهراق ويصب في الأرحام .وقيل: يمنى أي يقدر ويخلق.

والمعنى: ألم يكن هذا الإنسان الذي يتكبر ويستبعد البعث، أصله نطفة حقيرة من ماء مهين، يمنى في الأرحام؟! فكيف يتكبر بعد هذا الأصل الضعيف؟ وكيف يستبعد قدرة الله بعد أن خلقه من لا شيء؟

}ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى{:

· ثم: للترتيب والتراخي، أي بعد مرحلة النطفة.
· كان علقة: العلقة هي قطعة الدم الجامدة، وهي المرحلة الثانية من خلق الإنسان .والنطفة تصير علقة بعد أن تستقر في الرحم.
· فخلق: أي فصوّر وأبدع وجعل منه خلقاً سوياً، فخلقه بعد أن كان علقة .والخلق هنا بمعنى التصوير والتشكيل.
· فسوى: أي فعدل وهيأ وأحكم خلقه، وجعله متناسب الأعضاء، معتدل القامة، سوياً لا عوج فيه.

والمعنى: ثم صار هذا الإنسان في بطن أمه علقة، ثم خلق الله منه خلقاً كاملاً، وسوى أعضاءه وجعله متناسقاً محكماً.

}فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى{:

· فجعل منه: أي من ذلك المني الذي يمنى، أو من ذلك الإنسان الذي خلقه وسواه.
· الزوجين: أي النوعين، أو الصنفين.

· الذكر والأنثى: أي خلق منه الرجل والمرأة .قال تعالى:} وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى * مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى.{

والمعنى: أن الله بقدرته جعل من النطفة الواحدة تارة ذكراً وتارة أنثى، مع اختلاف الخلقة والتركيب بينهما، وهذا من أعظم آيات القدرة.

}أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى{:

· أليس ذلك بقادر: الاستفهام للتقرير والإثبات .والمعنى: أليس الله الذي فعل كل هذه الأمور من خلق الإنسان من نطفة ثم علقة ثم تسوية، ثم جعل منه الذكر والأنثى – أليس بقادر على إحياء الموتى؟
· على أن يحيي الموتى: أي يبعثهم من قبورهم للحساب والجزاء .والإحياء للموتى هو عين البعث الذي ينكره الكفار.

والمعنى: بلى، إن الذي خلق الإنسان من العدم، وأمرّه بأطوار الخلق المختلفة، قادر على إعادته وبعثه بعد الموت .فالخلق الثاني أهون من الخلق الأول عند الله.

الأمر الثالث: الأفكار الرئيسية التي تتحدث عنها الآيات

.1الرد على من يظن أن الحياة عبث :} أيحسب الإنسان أن يترك سدى .{فالإنسان ليس مهملا ً، بل مأمور منهي، وسيحاسب.
.2تذكير الإنسان بأصل خلقه الضعيف : نطفة حقيرة من مني يمنى، ليرد كبره وغروره.
.3بيان مراحل خلق الإنسان : نطفة – علقة – خلق – تسوية – جعل الذكر والأنثى.
.4إظهار قدرة الله العظيمة : الذي خلق الإنسان من لا شيء، وسواه، وأخرج منه الذكر والأنثى.
.5إثبات البعث بقياس الأولى : من قدر على بدء الخلق، فهو على إعادة الخلق أقدر.
.6الرد على كل منكر للبعث : سواء منكري القدرة أو منكري الحكمة.
.7إثبات أن الله على كل شيء قدير : خلق الإنسان من نطفة إلى أن صار ذكراً أو أنثى دليل على القدرة المطلقة.
.8ختم السورة بالتذكير بالقدرة على البعث : لتكون الآية الأخيرة دافعاً للإيمان والاستعداد.

الأمر الرابع: مغزى الآية وأسباب النزول

أسباب النزول:
نزلت هذه الآيات رداً على منكري البعث من كفار قريش، وعلى رأسهم أبي بن خلف والعاص بن وائل . كانوا يقولون: "نحن نموت ويأكلنا التراب، فمن يحيينا؟" وقال بعضهم: "إنما نعيش في الدنيا، ثم نموت ولا نبعث" .فنزلت هذه الآيات تذكرهم ببدء خلقهم، وتقيم عليهم الحجة.

وقال قتادة: نزلت فيمن قال: "إنما نمتوت ونحيا، وما يهلكنا إلا الدهر" .فنزلت ترد عليه وتثبت البعث . والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

المغزى العام للآيات:
المغزى الأول: أن الحياة ليست عبثاً، والإنسان ليس مهملا ً .له خالق خلقه لحكمة، وله شرع أمره به ونهاه، وله دار جزاء يوفى فيها أجره.

المغزى الثاني: أن أصل الإنسان ضعيف حقير، فلا ينبغي له أن يتكبر أو يغتر .من كان أصله نطفة مهينة، فمن أين يأتيه الكبر؟

المغزى الثالث: أن مراحل خلق الإنسان دليل على قدرة الله العظيمة، فهي أطوار متتالية، من نطفة إلى علقة إلى خلق إلى تسوية إلى تذكير وتأنيث .فمن قدر على هذه الأطوار كلها، أفلا يقدر على الإ عادة؟

المغزى الرابع: أن الإيمان بالبعث هو قمة الإيمان بالقدرة .فمن آمن بأن الله خلق السموات والأرض وا لإنسان، فهو بالإعادة أولى بالإيمان.

الأمر الخامس: أهداف وغايات ومقاصد الآيات

.1هدف إثبات أن الحياة ليست عبثاً : فالإنسان مخلوق لغاية، وهو مسؤول عن أفعاله، وسيجازى

عليها.
.2هدف ردع الكبر والغرور : بتذكير الإنسان بأصله الحقير النطفة، ليتواضع ولا يتكبر.
.3هدف إقامة البرهان على البعث : من خلال مراقبة مراحل خلق الإنسان، وهذا برهان عقلي واضح.
.4هدف إظهار عظمة قدرة الله : في خلق الإنسان من نطفة إلى تسوية إلى تفريق إلى ذكر وأنثى.
.5هدف تقريب فكرة البعث إلى العقول : بقياس الأولى: الإعادة أهون من البدء.
.6هدف الرد على كل من يقول بخلق الإنسان صدفة : الآيات تثبت أن هناك خالقاً مدبراً حكيماً.
.7هدف تربوي في تذكير الإنسان بضعفه : لئلا يطغى ويتمرد على خالقه.
.8هدف ختام السورة بقدرة الله : لتكون الآية الأخيرة محطة تأمل وإيمان.

ثانياً: تحليل الآية)
المحور الأول:} أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى{

الأمر الأول: معنى "السدى" ولماذا وصف الله ترك الإنسان بهذا الوصف؟

السدى: هو الشيء المهمل الذي لا يوجه ولا يؤمر ولا ينهى، والذي لا غاية له ولا هدف .ومنه "السدى" في النسيج: هو الخيط الذي يمر بلا نظام .فالإنسان السدى هو الذي لا أثر له ولا قيمة.

لماذا وصف الله ترك الإنسان سدى بأنه ظن خاطئ؟

السبب الأول: لأن الله لم يخلق الإنسان عبثاً : قال تعالى:} أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون .{فخلق الإنسان له غاية، وهي عبادته ومعرفته، ثم الجزاء على ذلك.

السبب الثاني: لأن الإنسان مكلف بالأوامر والنواهي : لم يتركه الله سدى، بل أرسل له الرسل، وأنزل له الكتب، وأمره و نهاه.

السبب الثالث: لأن الإنسان سيجزى على عمله : يوم القيامة، يحاسب على كل صغيرة وكبيرة، فلا إهمال ولا عبث.

السبب الرابع: لأن ظن الإهمال يؤدي إلى الفساد : من ظن أنه سيترك سدى، انطلق في المعاصي دون خوف من عقاب.

الرسالة النفسية:
تخلق هذه الآية في نفس المؤمن شعوراً بالمسؤولية .ليس الإنسان حراً طليقاً يفعل ما يشاء، بل هو مربوب مأمور منهي، سيسأل عن كل شيء .هذا الشعور يمنع الكسل والتفريط، ويدفع إلى العمل الجاد . كما تخلق رهبة في نفس الغافل، لأنها تنفي عنه وهم الإهمال.

الرسالة التربوية:
نربّي أنفسنا وأبناءنا على أن الحياة ليست عبثاً، وأن كل عمل له حساب .فالتربية على المسؤولية تبدأ من الإيمان بأن الله يرى كل شيء ويحاسب عليه .فالطفل الذي يعلم أن كل حركاته مسجلة عند الله، يكون أكثر حرصاً على السلوك القويم.

الرسالة العقلية:
العقل السليم يرفض فكرة العبث .فمن خلق بشراً وأعطاهم عقلا ً وإرادة وشرع لهم قوانين، لا يمكن أن يتركهم سدى بلا جزاء .هذا يتناقض مع الحكمة الإلهية .فالعقل يدرك أن البعث ضروري لإتمام العدل وإظهار الحكمة.

الرسالة العملية:
اجعل شعار حياتك: "لست سدى" .كل حركة تقوم بها، كل كلمة تقولها، كل عمل تعمله، سيسألك الله عنه .فلا تستهين بصغيرة ولا تكبر كبيرة.

مثال تقريبي:
تخيل مديراً وظف مئات الموظفين في شركة، وأعطاهم تعليمات مفصلة، ثم تركهم بلا متابعة ولا محاسبة، ولا يعرف من يعمل ومن يتكاسل .هل هذا عقل؟ كلا .كذلك الله، خلق الإنسان وأرسل له الرسل، ولا بد أن يحاسبه .فمن ظن أنه سيترك سدى فقد أساء الظن بحكمة الله.

الأمر الثاني: لماذا خص الله "الإنسان" بالخطاب في هذه الآية؟

خص الإنسان بالخطاب لأنه الذي يتكبر وينكر البعث .والسبب:

السبب الأول: لأن الإنسان أكثر المخلوقات تكبراً : هو الذي ينسى أصله ويتعالى على خالقه.

السبب الثاني: لأن الإنسان هو المكلف : الملائكة مطيعة، والحيوانات مسخرة، والإنسان وحده هو الذي يختار الطاعة أو المعصية.

السبب الثالث: لأن الإنسان هو الذي يحتاج إلى هذا التذكير : الحيوان لا يظن أنه سدى، لكن الإنسان قد يظن ذلك فينحرف.

السبب الرابع: لأن الخطاب للإنسان فيه تنبيه على عظم المسؤولية : أنت أيها الإنسان لست كسائر المخلوقات، بل لك شرف التكليف وخطر الحساب.

الرسالة النفسية:
هذا التخصيص يشعر الإنسان بأهميته عند الله، لكن في إطار المسؤولية .لست مهماً لأنك كبير، بل لأ نك مكلف .هذا يخلق تواضعاً مع شعور بالقيمة.

الرسالة التربوية:
نعلم أبناءنا أن الإنسان ليس مهملا ً، وأن قيمة الإنسان في تكليفه ومسؤوليته، لا في قوته أو ماله . ومن عاش بلا هدف فهو كالبهيمة.

الرسالة العقلية:
العاقل يعرف أن تمييز الإنسان بالعقل والإرادة يعني أنه مكلف، وأن التكليف يستلزم الجزاء .هذا منطق عقلي سليم.

الرسالة العملية:
لا تقل: "أنا حر، أفعل ما أشاء" .بل قل: "أنا عبد مأمور منهي، أسأل عن كل شيء" .هذه العقلية تمنع الطغيان.

مثال تقريبي:
تخيل طالباً في المدرسة، أرسله أبوه للدراسة، وأنفق عليه، ووفر له الكتب، ثم قال: "اذهب، افعل ما شئت، لا أحد سيسألك" .هذا لا يحدث .فالأب يسأل عن درجات ابنه .كذلك الله يسأل الإنسان عن عمله.

المحور الثاني:} أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى{

الأمر الأول: لماذا بدأ الله بذكر النطفة في معرض الرد على منكري البعث؟

بدء الخلق من نطفة هو أقوى دليل على قدرة الله، لأنه:

السبب الأول: النطفة شيء حقير ضعيف : لا تراه العين، لا قيمة له في نظر الناس .فإذا كان الله قادراً على خلق هذا الإنسان العظيم من شيء حقير، فهو على إعادة خلقه أقدر.

السبب الثاني: النطفة تمثل بداية الخلق من العدم : قبلها لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً .فمن قدر على الإيجاد من العدم، فهو على الإعادة من العدم) أو من العظام النخرة (أقدر.

السبب الثالث: تذكير الإنسان بأصله ليرد كبره : كيف يتكبر من كان نطفة حقيرة؟ هذا يكسره ويذلله.

السبب الرابع: أن النطفة تتطور إلى بشر كامل : وهذا تطور عجيب يدل على قدرة الخالق.

السبب الخامس: النطفة تجمع صفات الذكر والأنثى : منها يخرج الذكر ومنها تخرج الأنثى، وهذا من أعجب آيات القدرة.

الرسالة النفسية:
تخلق هذه الآية شعوراً بالتواضع في نفس المؤمن .كلما شعر بالكبر، تذكر أنه خلق من نطفة قذرة . وكلما استبعد قدرة الله، تذكر أنه خلق من لا شيء.

الرسالة التربوية:
نربّي أبناءنا على تذكر أصلهم لئلا يتكبروا .ونساعدهم على فهم مراحل الخلق كمعجزة إلهية تثبت قدرة الله.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن الإنسان ليس خالداً ولا قديماً .له بداية حقيرة، وله نهاية .فكيف يتكبر ويتجبر؟ وكيف يستبعد أن يعيده الله كما خلقه أول مرة؟

الرسالة العملية:
إذا شعرت بالغرور، كرر: "لقد كنت نطفة حقيرة، وبإرادة الله صرت إنساناً، فلماذا أتكبر؟" .هذا التذكير يردع الكبر.

مثال تقريبي:
تخيل أنك رأيت تمثالا ً ضخماً جميلا ً، فأعجبك، ثم قيل لك: هذا التمثال مصنوع من طين حقير . قد يقل إعجابك به .كذلك الإنسان، إذا تذكر أصله الحقير، قل كبره .قال الشاعر: "ألم تر أن الماء إذا كان راكداً ...أسرع فيه التغير والفساد؟" الإنسان إذا غفل عن أصله أفسده الكبر.

الأمر الثاني: دلالة التكرار في "مني يمنى"

مني يمنى : كرر ذكر المني للتوكيد والبيان .والمعنى: من ماء مهين يمنى في الأرحام .وقيل: يمنى أي يقدر ويخلق .والتكرار له دلالات:

الدلالة الأولى: بيان الحقارة والضعف : "مني" يدل على المني القذر، و"يمنى" تدل على أنه يصب ويهراق.

الدلالة الثانية: الإشارة إلى أن الخلق بقدر : "يمنى" من الإمناء، وهو التقدير، أي أن الله قدر هذا الخلق.

الدلالة الثالثة: تكرير الذكر للتأكيد : ليطبع المعنى في النفس، ويزيل أي شك في أصل الإنسان الضعيف.

الرسالة النفسية:
هذا التكرار يثبت في الوجدان حقيقة أصل الإنسان الضعيف، فلا يعود ينسى تواضعه .كلما تكررت الكلمة في الذهن، ترسخت فكرة التواضع.

الرسالة التربوية:
نستخدم التكرار في تربية الأطفال على تذكر أصلهم، حتى لا يصابوا بالكبر .نقولها لهم مراراً: "تذكر أنك خلقت من نطفة".

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن الأصل الواحد) النطفة (يتنوع إلى ذكور وإناث، وأن هذا يتطلب قدرة إلهية خارقة.

الرسالة العملية:
ردد على نفسك: "أنا من مني يمنى، لست شيئاً، والله خلقني فلماذا أتكبر؟"

مثال تقريبي:
كرر قول الشاعر: "ولقد علمت ولو نزلت بجهة ...أني من نطفة الذكر المذاب" .هذا التكرار يعالج داء الكبر.

المحور الثالث:} ثمّ كانَ عَلَقةً فَخَلَقَ فَسَوّى{

الأمر الأول: لماذا ذكر الله مرحلة "العلقة" بالذات؟

العلقة هي المرحلة الوسطى بين النطفة والإنسان المخلق .ولها دلالات:

السبب الأول: أن العلقة تدل على التطور العجيب : من ماء سائل إلى قطعة دم جامدة، وهذا نقلة نوعية تدل على قدرة الخالق.

السبب الثاني: أن العلقة تستقر في الرحم : مما يدل على العناية الإلهية بالجنين وحفظه.

السبب الثالث: أن العلقة تسبق مرحلة الخلق والتسوية : فذكرها يؤكد أن الإنسان لم يخلق دفعة واحدة، بل مر بأطوار متعددة، كلها بيد الله.

السبب الرابع: أن العلقة تشبه العلق الذي يتعلق : دليل على تعلق الجنين بأمه ورحمها، وهذا من رحمة الله.

الرسالة النفسية:
هذه المراحل تخلق في نفس المؤمن شعوراً بالعجز أمام قدرة الله .من كان منياً ثم علقة ثم خلقاً سوياً، فكيف ينكر قدرة الله؟

الرسالة التربوية:
نعلّم أطفالنا مراحل خلق الإنسان لنريهم عظمة الله، وليشعروا بأن وجودهم معجزة إلهية.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن هذه الأطوار لا تحدث صدفة، بل بتدبير خالق حكيم قدير.

الرسالة العملية:
تأمل في مراحل خلقك، وازدد إيماناً وإعجاباً بقدرة الله.

مثال تقريبي:
تخيل مصنعاً لصناعة السيارات: تدخل المواد الخام، فتخرج سيارة كاملة .هذا يحتاج إلى آلات معقدة وبرمجة متقنة .فكيف بالإنسان الذي يمر بنطفة ثم علقة ثم خلقاً سوياً، دون مصنع ولا آلات؟! هذا هو الله الخالق.

الأمر الثاني: الفرق بين "خلق" و "سوى" في الآية

الخلق: هو الإيجاد والتكوين والتصوير .أي أوجده وأعطاه الوجود بعد أن لم يكن شيئاً.

التسوية: هي الإحكام والإتقان والتناسب والاعتدال .أي جعل أعضاءه متناسقة، طولها مناسب، وظائفها متكاملة.

العلاقة بينهما: الخلق هو إعطاء الوجود، والتسوية هي إعطاء الإتقان .فالله لم يخلق فقط، بل أحكم الخلق وأتقنه.

الرسالة النفسية:
تخلق هذه الآية شعوراً بالامتنان والشكر .ليس فقط أن الله خلقنا، بل سوانا وأحكم خلقنا .هذا يزيد المحبة والشكر.

الرسالة التربوية:
نعلّم أبناءنا ألا يكتفوا بمجرد عمل الشيء، بل يحسنوه ويتقنوه، اقتداء بالله الذي سوى خلقه .فالإتقان من صفات الله، ويحبها من عباده.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن الإتقان في الخلق دليل على كمال القدرة والعلم .لا يمكن أن يكون الكون بهذا الإتقان صدفة.

الرسالة العملية:
أتقن عملك، وأحكم صنعتك، حتى في صلاتك ووضوئك .فالله يحب إذا عمل أحدكم عملا ً أن يتقنه.

مثال تقريبي:
تخيل طبيباً ماهراً أجرى عملية جراحية معقدة، ثم جاء طبيب آخر ليكمل ويجمل العملية .كلاهما مهم .لكن الله خلق وسوى بنفسه، فهو الخالق المبدع المسوي.

المحور الرابع:} فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى{

الأمر الأول: دلالة أن الذكر والأنثى من أصل واحد

هذه الآية تشير إلى حقيقة علمية: أن الذكر والأنثى ينشآن من نطفة واحدة .وهذا من أعجب آيات القدرة:

الدلالة الأولى: توحيد الأصل : كل البشر من آدم وحواء، وآدم من تراب، والنطفة واحدة، فلماذا التكبر والتفاخر؟

الدلالة الثانية: التمايز مع وحدة الأصل : من نطفة واحدة يخرج تارة ذكر وتارة أنثى، مع اختلافات في الخلقة والأعضاء .هذا يدل على قدرة الله الباهرة.

الدلالة الثالثة: التعايش بين الزوجين : خلق الذكر والأنثى ليألف كل منهما الآخر ويكتمل به .وهذا دليل على الرحمة والحكمة.

الدلالة الرابعة: التنوع في الخلق : مع وحدة الأصل، تجد تنوعاً في الأجناس والأشكال والطباع، فسبحان الخالق.

الرسالة النفسية:
تخلق هذه الآية شعوراً بالتساوي بين البشر، فكلهم من أصل واحد .فلا فضل لأحد على أحد إلا بـ التقوى .هذا يزيل الكبر والعنصرية.

الرسالة التربوية:
نربّي أبناءنا على احترام الآخر، ذكراً كان أو أنثى، فكلاهما من أصل واحد .ونعلمهم أن الاختلاف ليس تفاضلا ً بل تنوعاً في الخلق.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن هذا التمايز بين الذكر والأنثى مع وحدة الأصل، دليل على إرادة خالق حكيم، لا يمكن أن يكون مصادفة.

الرسالة العملية:
عامل النساء باحترام، فأنت وأخواتك من أصل واحد .ولا تفتخر على غيرك بنسبك، فالناس كلهم من نطفة واحدة.

مثال تقريبي:
تخيل كيساً من البذور .زرعته في أرض واحدة، فنبتت أزهار مختلفة الألوان والأشكال .هذا تنوع مع وحدة الأصل .كذلك الإنسان: من نطفة واحدة يخرج الذكر والأنثى، بألوان وأشكال مختلفة .سبحان الله.

الأمر الثاني: لماذا ذكر التذكير والتأنيث في ختام مراحل الخلق؟

ذكر التذكير والتأنيث بعد التسوية للإشارة إلى أن تمام الخلق يكون بتمايز الجنسين .وهذا الترتيب له حكمة:

الحكمة الأولى: إتمام نعمة الخلق : الخلق لا يكتمل إلا بتحديد الجنس، ذكراً كان أو أنثى.

الحكمة الثانية: الإشارة إلى تنوع القدرة : الله قادر على خلق الجنسين من أصل واحد.

الحكمة الثالثة: التمهيد للاستدلال على البعث : إذا كان الله قادراً على خلق الجنسين بأعضاء مختلفة من مادة واحدة، فهو قادر على إحياء الموتى.

الحكمة الرابعة: إظهار الحكمة في الاختلاف : الاختلاف بين الذكر والأنثى ليس نقصاً، بل حكمة لإتمام الحياة.

الرسالة النفسية:
تخلق الآية شعوراً بالرضا بقضاء الله .فكونك ذكراً أو أنثى هو بتقدير الله، فكن راضياً بما قسم الله لك.

الرسالة التربوية:
نربّي أبناءنا على تقبل اختلاف الجنسين، واحترام كل منهما للآخر، فكلاهما مخلوق بحكمة.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن تحديد الجنس بعيد عن إرادة الإنسان، فهو بيد الله وحده .وهذا يردع التكبر.

الرسالة العملية:
اشكر الله على ما وهبك من ذكورة أو أنوثة، ولا تتمن غير ذلك .واعمل بمقتضى ما خلقت له.

مثال تقريبي:
تخيل فناناً عظيماً يرسم لوحات، فتارة يرسم طبيعة وتارة يرسم أشخاصاً، مع أنه يستخدم نفس الألوان والفرشاة .هذا تنوع في الإبداع .كذلك الله يخلق الذكر والأنثى من أصل واحد، تنوعاً في الخلق.

المحور الخامس:} أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى{

الأمر الأول: لماذا ختم الله السورة بهذا الاستفهام التقريري؟

الاستفهام التقريري) أليس (معناه: بلى، إنه قادر .وختم السورة به له حكم:

الحكمة الأولى: تثبيت الإيمان بالبعث : بعد كل هذه الأدلة، يقرر الله أن من فعل هذه الأشياء قادر على إحياء الموتى، ليكون آخر الكلام هو الإيمان بالبعث.

الحكمة الثانية: إقامة الحجة على المنكر : السؤال التقريري يجعل القارئ يجيب بنفسه: "بلى، إنه قادر" .فيكون قد اعترف بلسانه.

الحكمة الثالثة: الربط بين بدء الخلق وإعادته : ليكون خاتمة السورة دليلا ً على قدرة الله على البعث.

الحكمة الرابعة: التوجيه إلى التفكر : ليسأل القارئ نفسه: أليس الله الذي فعل هذا بقادر على ذاك؟

الرسالة النفسية:
تخلق هذه الآية يقيناً في نفس المؤمن بأن البعث حق، لأنه يتولد من الإيمان بقدرة الله على الخلق ا لأول .ويدفع الكافر إلى المراجعة، لأن السؤال ينتظر جواباً.

الرسالة التربوية:
نربّي أنفسنا وأبناءنا على التفكر في قدرة الله، والاستنتاج بالقياس: من قدر على البدء فهو على الإ عادة أقدر .هذه مهارة عقلية مهمة.

الرسالة العقلية:
العقل السليم يصل إلى أن الإعادة أهون من البدء .فمن خلق من لا شيء، فهو على إعادة ما كان

موجوداً أقدر .هذا قياس عقلي صحيح.

الرسالة العملية:
آمن بالبعث إيماناً جازماً، ولا تترك مكاناً للشك .واجعل هذا الإيمان دافعاً لك للعمل الصالح.

مثال تقريبي:
سألك صديق: أليس الذي بنى هذه العمارة الضخمة قادراً على إصلاحها لو تهدمت؟ ستجيب: بلى . كذلك الله، الذي خلق الإنسان أول مرة، قادر على إحيائه بعد الموت.

الأمر الثاني: لماذا قدم الله كل هذه الأدلة قبل أن يثبت البعث؟

قدم الله مراحل الخلق كاملة قبل أن يثبت البعث، لأن:

السبب الأول: بناء الدليل خطوة خطوة : لا ينتقل إلى النتيجة قبل تجهيز المقدمة .نطفة، علقة، خلق، تسوية، تذكير وتأنيث – ثم النتيجة: قادر على إحياء الموتى.

السبب الثاني: إظهار عظمة القدرة : كل مرحلة من مراحل الخلق تتطلب قدرة خاصة، فإذا اجتمعت كلها، كانت القدرة أظهر.

السبب الثالث: إقناع العقل بالتدرج : العقل يقتنع إذا سار مع الأدلة خطوة خطوة.

السبب الرابع: رد الكبر بتذكير الضعف : قبل أن يثبت البعث، يذكر الإنسان بضعفه وأصله الحقير.

السبب الخامس: تقريب البعث إلى الفهم : البعث قد يبدو مستبعداً، لكن مراحل الخلق مألوفة مشهودة ، فيقاس الغائب على الشاهد.

الرسالة النفسية:
هذا التدرج يخلق في النفس ترسيخاً للدليل .لا يصدم العقل بالنتيجة مباشرة، بل يجهز بالمقدمات، فيصل إلى اليقين بنفسه.

الرسالة التربوية:
في التربية، لا تنتقل إلى النتيجة قبل أن تقدم الأدلة .درّب ابنك على بناء الحجة خطوة خطوة.

الرسالة العقلية:
يدرك العقل أن هذا الأسلوب هو أسلوب البرهان العقلي السليم: مقدمات تؤدي إلى نتيجة .وهذا يزيد إعجاباً بالقرآن.

الرسالة العملية:
عندما تريد إقناع شخص بحقيقة، ابدأ بالحقائق المسلم بها خطوة خطوة، ثم استنتج النتيجة.

مثال تقريبي:
سألك أحدهم: كيف تعلم أن البناء يستطيع أن يبني عمارة أخرى مشابهة؟ تقول: لأنه بنى هذه العمارة .هذا قياس .كذلك الله: لأنه خلق الإنسان أول مرة، فهو قادر على إعادة خلقه.

ثالثاً: دلالات الآية والجوانب البلاغية والخواطر والتأملات

الأمر الأول: دلالات الآية كمحفز لتحويل النص إلى سلوك

هذه الآيات تحفز الإنسان على:

1.ترك ظن العبث والإهمال : والعمل للآخرة كأنه سيبعث غداً.
2.التواضع وترك الكبر : بتذكر أصله الحقير.
3.التفكر في مراحل خلقه : للوصول إلى الإيمان بالله وقدرته.
4.الإيمان بالبعث : والاستعداد له بالعمل الصالح.

.5شكر الله على نعمة الخلق والتسوية : واستخدام الجوارح في طاعته.

الأمر الثاني: خواطر الآية وكيفية استشعارها والاستفادة منها

الخاطرة الأولى: مع "أيحسب الإنسان أن يترك سدى":
يا رب، أنا لا أحسب أني سأترك سدى .أعلم أني سأبعث، وأني سأحاسب .اللوفقني للعمل لهذا اليوم.

الخاطرة الثانية: مع "ألم يك نطفة":
أتأمل أصلي الحقير، فأخجل من كبري .كيف أتكبر وأنا من مني يمنى؟ هذا يملأني تواضعاً لله.

الخاطرة الثالثة: مع "ثم كان علقة":
أتأمل كيف كنت قطعة دم لا قيمة لها، ثم خلقني الله فأحسن خلقي .هذا يملأني شكراً وحباً لله.

الخاطرة الرابعة: مع "فخلق فسوى":
أتأمل جسدي: عيناي، أذناي، يداي، رجلاي، كلها متناسقة متسوية .سبحان من سواها وأحكمها.

الخاطرة الخامسة: مع "فجعل منه الزوجين":
أتأمل كيف خلق الله من نطفة واحدة ذكراً وأنثى، كل له خلقته .سبحان الخالق البديع.

الخاطرة السادسة: مع "أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى":
بلى، يا رب، إنك على كل شيء قدير .آمنت بأنك تبعث الموتى، واحتسبت أجر ذلك .فاغفر لي وارحمني.

الأمر الثالث: التصوير البياني في الآيات

أولا ً: تصوير الظن الخاطئ:
"أيحسب الإنسان" صورة إنسان جالس يحسب ويظن، يخدع نفسه، يظن أنه سدى .صورة الغرور و الجهل.

ثانياً: تصوير النطفة:
"من مني يمنى" صورة السائل المهين الذي يخرج ويصب .صورة الحقارة والضعف.

ثالثاً: تصوير العلقة:
"كان علقة" صورة قطعة دم حمراء معلقة، تتحول تدريجياً إلى بشر .صورة التطور المذهل.

رابعاً: تصوير الخلق والتسوية:
"فخلق فسوى" صورة الخالق العظيم يصور الإنسان، ثم يسوي أعضاءه ويعدلها .صورة الإتقان والإبداع.

خامساً: تصوير الزوجين:
"الزوجين الذكر والأنثى" صورة تنوع الخلق، مع وحدة الأصل .صورة الحكمة والقدرة.

سادساً: تصوير الاستفهام التقريري:
"أليس ذلك بقادر" صورة سؤال ينتظر جواباً، يلزم السامع بالإقرار .صورة الحجة الدامغة.

الأمر الرابع: كيف تغير الآية نظرتنا للحياة

.1تغير نظرتنا إلى الوجود : لم يعد الوجود عبثاً، بل له غاية وحكمة.
.2تغير نظرتنا إلى أنفسنا : لسنا كباراً متكبرين، بل خلقنا من ماء مهين.
.3تغير نظرتنا إلى الموت : الموت ليس نهاية، بل بداية مرحلة جديدة.
.4تغير نظرتنا إلى قدرة الله : من خلقنا من نطفة قادر على بعثنا.
.5تغير نظرتنا إلى المسؤولية : لسنا سدى، بل سنحاسب على كل شيء.

الأمر الخامس: تأملات ووقفات تدبرية

الوقفة الأولى: مع "أيحسب الإنسان أن يترك سدى":
قف مع هذا السؤال .كم مرة أهملت عملا ً ظناً منك أنه غير مهم، أو أنك لن تسأل عنه؟ تب من

هذا الظن، واجتهد.

الوقفة الثانية: مع "ألم يك نطفة":
قف مع أصلك .أنت من ماء مهين .فلماذا التكبر؟ هذا الموقف يردع الكبر.

الوقفة الثالثة: مع "ثم كان علقة":
قف مع مرحلتك الوسطى .كنت قطرة دم لا تذكر .فمن أين يأتي العجب؟ هذا الموقف يملأ القلب تواضعاً.

الوقفة الرابعة: مع "فخلق فسوى":
قف مع إتقان الله في خلقك .انظر إلى جسدك، أعضائه، تناسقه .هذا الموقف يملأ القلب إيماناً بقدرة الله.

الوقفة الخامسة: مع "فجعل منه الزوجين":
قف مع تنوع الخلق .كيف من نطفة واحدة خلق الذكر والأنثى؟ هذا الموقف يملأ القلب حيرة وإيماناً.

الوقفة السادسة: مع "أليس ذلك بقادر":
قف مع الجواب .قل بلسانك وقلبك: بلى، يا رب، إنك على كل شيء قدير .هذا الموقف يثبت الإيمان بالبعث.

رابعاً: أهم الدروس والعبر والتوجيهات والرسائل والمهارات المستخلصة من الآية

الأمر الأول: مفهوم النجاح الحقيقي في ضوء هذه الآيات

النجاح الحقيقي هو أن يعلم الإنسان أنه ليس سدى، وأن يدرك أصله الضعيف، وأن يشكر خالقه الذي سواه، وأن يؤمن بقدرته على البعث .الناجح من استعد ليوم البعث، وخاف أن يكون من الذين قال فيهم} أيحسب الإنسان أن يترك سدى .{الناجح من عرف قدر الله فخضع له، وعرف نفسه فتواضع.

الأمر الثاني: كيفية الموازنة بين متطلبات الدنيا والآخرة في ضوء هذه الآيات

الموازنة أن تعمل لدنياك دون أن تنسى أنك لست سدى، وأنك ستبعث .خذ من الدنيا حاجتك، واعمل للآخرة زادك .ولا تغتر بقوتك أو جاهك، فأنت من نطفة خلقت .قال تعالى:} ألم يك نطفة من مني يمنى .{فكلما أتتك عظمة الدنيا، تذكر أصلك، فيعود التوازن .تواضع لله في دنياك، ترفع في آخرتك.

الأمر الثالث: الدروس من الآية في حياتنا العملية) تفصيل واف(

الدرس الأول: لا تظن أنك سدى : أنت مخلوق لغاية، مأمور منهي، محاسب على أعمالك .فلا تضيع وقتك.

الدرس الثاني: تذكر أصلك الحقير : من نطفة إلى علقة .هذا يردع الكبر والغرور.

الدرس الثالث: تأمل إتقان الله في خلقك : التسوية تدل على الحكمة والقدرة .فاستعمل جوارحك في طاعة الله.

الدرس الرابع: اشكر الله على نعمة الخلق والتسوية : بالصلاة والذكر والعمل الصالح.

الدرس الخامس: آمن بقدرة الله على البعث : فمن خلقك أولا ً قادر على إعادتك.

الدرس السادس: التواضع أصل كل خير : تذكر أصلك يمنع الكبر، والتواضع يرفع الدرجات.

الدرس السابع: لا تستبعد قدرة الله على أي شيء : فالذي خلق الإنسان من نطفة، قادر على كل شيء.

الدرس الثامن: الإيمان بالبعث دافع للعمل : من آمن أنه سيبعث ويحاسب، اجتهد في الطاعة وترك المعصية.

المهارات الحياتية والمعرفية والعملية من الآية

المهارات الحياتية:

.1مهارة التواضع : تذكر أصل الضعف يمنع الكبر.
.2مهارة التفكر : التفكر في مراحل الخلق يزيد الإيمان.
.3مهارة تقدير النعم : شكر الله على نعمة الخلق والتسوية.

المهارات المعرفية:

.1مهارة القياس المنطقي : من قدر على البدء فهو على الإعادة أقدر.
.2مهارة الاستدلال بالأثر على المؤثر : إتقان الخلق يدل على كمال الخالق.

المهارات العملية:

.1التأمل اليومي في خلق الله : خصص وقتاً للتفكر في مراحل خلقك.
.2ذكر أصل الضعف : كرر "ألم يك نطفة" لتذكير نفسك.
.3الإيمان بالبعث : اجعل هذا الإيمان راسخاً في قلبك، ينعكس على سلوكك.

خامساً: مفاهيم وأبعاد وآفاق وقيم الآية

الأمر الأول: آفاق وأبعاد الآية

البعد الأول: البعد الفلسفي الوجودي : ترد الآية على من يقول بفلسفة العبث، وتثبت أن للحياة غاية ومعنى.

البعد الثاني: البعد العلمي : تشير الآية إلى مراحل تكوين الجنين، وهو ما لم يكن معروفاً وقت نزول القرآن بهذه الدقة، وهذا من الإعجاز العلمي.

البعد الثالث: البعد النفسي : تعالج الآية داء الكبر والغرور بتذكير الإنسان بأصله الضعيف.

البعد الرابع: البعد التربوي : تؤسس الآية لمنهج التدرج في التعليم، وبناء الأدلة خطوة خطوة.

البعد الخامس: البعد الإيماني : تثبت الآية قدرة الله على البعث، وتجعلها خلاصة السورة.

الأمر الثاني: القيم التي تغرسها الآية في النفوس

القيمة الأولى: قيمة التواضع : التطبيق: تذكر أصلك الحقير كل يوم.

القيمة الثانية: قيمة الشكر : التطبيق: اشكر الله على نعمة الخلق والتسوية.

القيمة الثالثة: قيمة الإيمان بالبعث : التطبيق: استعد للبعث بالعمل الصالح.

القيمة الرابعة: قيمة التفكر والتأمل : التطبيق: تأمل في خلق الله ليزيدك إيماناً.

القيمة الخامسة: قيمة عدم اليأس من رحمة الله : الذي خلقك من نطفة قادر على أن يغفر ذنوبك ويرحمك.

الأمر الثالث: المفاهيم

المفهوم الأول: مفهوم "السدى": هو الإهمال والترك بلا هدف ولا مسؤولية .والإنسان ليس سدى.

المفهوم الثاني: مفهوم "النطفة": هي مبدأ خلق الإنسان، وهي حقيرة ضعيفة، تذكير لأصل الإنسان.

المفهوم الثالث: مفهوم "العلقة" : هي قطعة الدم المتعلقة في الرحم، مرحلة وسطى بين النطفة والإ نسان.

المفهوم الرابع: مفهوم "الخلق والتسوية" : الخلق: الإيجاد، والتسوية: الإحكام والإتقان.

المفهوم الخامس: مفهوم "الزوجين الذكر والأنثى" : هما نوعا الإنسان، يخرجان من أصل واحد.

المفهوم السادس: مفهوم "إحياء الموتى" : هو البعث بعد الموت، وهو من قدرة الله كما هو خلق الإ نسان أول مرة.

الأمر الرابع: كيف تحول هذه المفاهيم إلى طاقة بناء الإنسان والمجتمع والحضارة الإسلامية

بناء الإنسان:

· يبني إنساناً متواضعاً يذكر أصله فلا يتكبر.
· يبني إنساناً متفكراً يتأمل في خلق الله فيزداد إيماناً.
· يبني إنساناً مؤمناً بالبعث يستعد له بالعمل الصالح.

بناء المجتمع:

· مجتمع يتسم أفراده بالتواضع ونبذ الكبر.
· مجتمع يقدر نعمة الله عليه فيشكره.
· مجتمع يؤمن بالبعث فيكون أفراده أكثر استقامة.

بناء الحضارة الإسلامية:

· حضارة تقوم على التواضع لله وللناس.
· حضارة تشجع على التفكر والتأمل في آيات الله.
· حضارة تجعل الإيمان بالبعث دافعاً للإتقان والإبداع.

الأمر الخامس: أهمية الأسلوب القرآني في إعداد وإصلاح الإنسان

أهمية أسلوب الاستفهام التوبيخي :"أيحسب" يوقظ العقل، ويحرض على التفكر.

أهمية أسلوب التذكير بالأصل : تذكير الإنسان بضعفه يرد كبره ويصلح نفسه.

أهمية أسلوب التدرج : عرض مراحل الخلق خطوة خطوة يسهل الفهم ويثبت الدليل.

أهمية أسلوب الاستفهام التقريري :"أليس ذلك بقادر" يلزم السامع بالإقرار، ويجعله شريكاً في النتيجة.

أهمية الإعجاز العلمي في الآية : إشارة القرآن إلى مراحل تكوين الجنين قبل أن يكتشفها العلم، دليل على أنه من عند الله.

رسالة ختامية

أخي الكريم،

ها هي سورة القيامة تختم بآيات تردد في نفسك: أنت لست سدى .من خلقك من نطفة، ثم علقة، ثم سواك، ثم جعل منك ذكراً أو أنثى، هو قادر على أن يبعثك بعد موتك.

فتوقف عن الظن الخاطئ : لا تظن أنك ستموت وتنتهي القصة .هناك بعث وحساب.

تذكر أصلك : كنت نطفة حقيرة، فلماذا الكبر؟ لماذا التكبر على الله وعلى الناس؟

تأمل في نفسك : كل عضو فيك آية على قدرة الله .عيناك، أذناك، يداه، رجلاه – كلها مسواة محكمة .

فلماذا لا تشكر؟

وآمن بالبعث : فإن الإيمان به هو الذي يغير حياتك .من آمن بالبعث، استعد له .من استعد له، عمل صالحاً .من عمل صالحاً، فاز بالجنة.

والحمد لله رب العالمين